

AMERICAN UNIV. IN CAIRO LIBRARY



3 8534 00990 1392

P.
7
A.
18



FROM THE
LIBRARY OF
THE
AMERICAN UNIVERSITY
IN
CAIRO

من مكتبة
الجامعة الامريكية بالقاهرة



AMERICAN UNION

ITY

الج

99-67011

Put 202011

10

SITY

الج

PJ

7541

A2

1946

مدرسة اجود / ٢١

علي المحاكاة

نظرات وآراء في الشعر والشعراء

دار العلم للبيانات

كانون الأول ١٩٤٦

٨١١, ٩

للمؤلف

•

وجوه وحكايات

زوبعة الدهور

الرؤوس

زوابع (شعر)

•

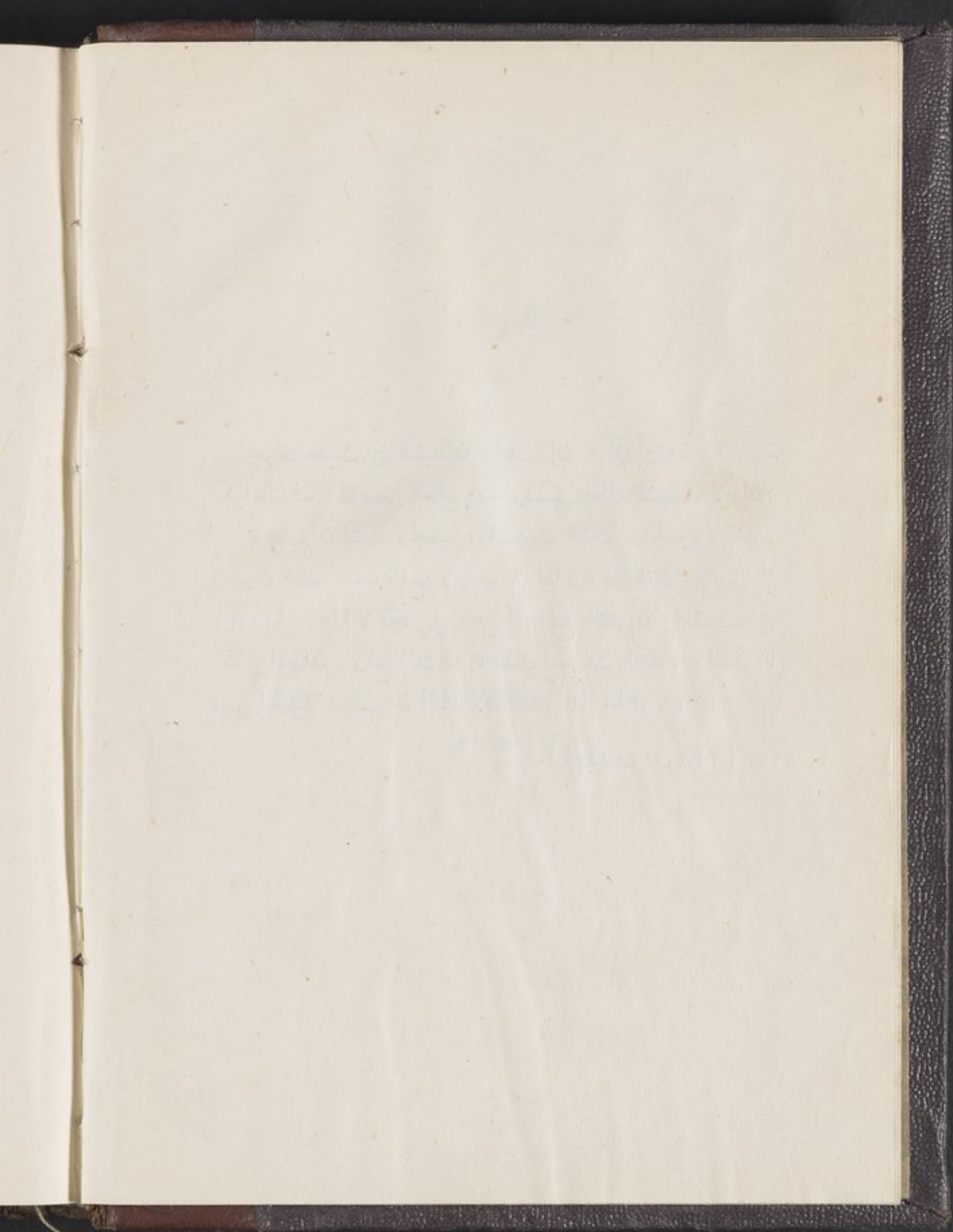
مجددون ومجترون (تحت الطبع)

فارس آغا (في الاعداد)

51542

جرى حديث بين الشيطان وايفان ، في رواية « الاخوة
كرامازوف » للقصصي العظيم دوستوفسكي ، فقال الشيطان لايفان :
« يجب أن تشكّ وتجحد ، فبدون الشكّ والجحود لا نقد .
وبدون النقد كيف ننقح ونهذب ؟ اذا توارى النقد لم يبق إلا
(أوصافنا) وهذا لا يكفي . يجب ان نضع التقريظ والنقد في
كفتي الميزان . ومع ذلك فما أنا الذي اخترعت النقد ، ولست أنا
تيس الخطيئة . يجب ان انتقد لان النقد أصل الحياة . »

(الرؤوس ص ٢٧٨)



أنيقداً أم حسداً؟

الويل للنقاد في أمة لم يألف ادباؤها إلا قرايين المدح ونذور
الثناء ، يطرحها المؤمنون على اقدام تلك الالهة ثم حسنبهم الرضا
والشفاعة ...

والذي لفته ضباب الندى والبخور بازار حجابيه عن الابصار حتى
تنكّرت سحنته وأصبح شبحاً مقدساً ، يؤذيه النقد ويذيبه التحليل .
وكيف لا ، اما صار عند نفسه كتابوت العهد ، من لمسه
صعق .. ؟

ومن لم يبرح هياكل التقريظ الموصدة النوافذ يضره القعود
بالمروحة . ومن لم يتعود النظر الى شمس الحقيقة يتململ اذا فجأه
نورها ، ويرمد اذا ثار في وجهه الريح ، فماذا نفعل لاصحابنا ليألفوا
تقلبات الانواء واكفهرار الاجواء ؟

ان عاصفة امريء القيس انزلت العُصم من «القنن» واقتلعت
نخل تيماء ، وهدمت الاطم الا المشيد بجندل ... وهكذا النقد
فبصره يرتد كليلا دون جبل السؤال . ولكن ادباءنا المعروفين
كذلك « المدلل » القائل فيه شاعره المأفون :

خطرات النسيم تجرح خديبه ولمس الحرير يُدمي بنانه
فلله آدم كم ولد اسباطه من أشكال ومن الوان ؟ ! والله شاعرنا
العربي كيف هام في محبوب اذا لمسه تخرج بدمه ولوته به . أو
ليس هذا الحبيب ، كما صورته لنا شاعره - والشعراء في كل واد
يهيمون - كتلك الديدان التي تنفزر ان لمستها ؟

لقد تجاوز ادباء العرب تخوم البشرية ، فصاروا طوباويين ، فلم
لا تحف رؤوسهم بهالات من نور كصُور القديسين ؟ ان اهله
الكهرباء سهل اصطنائها ، ولكن كيف نختال لجري كهربائي
يتصل بهم فلا يفارقهم في الحل والترحال ؟

اذا كتب احدهم مقالا لم يرق لك فالويل لك اذا جهرت
بعقيدتك ، فديوان تفتيشهم يؤدبك . واذا اسمعوك قصيدة ولم
تكبر - كما أشار مولاي محمد علي منذ سنوات - عند كل بيت ،
فانت حسود . واذا لم تصفق لكل شطر فانت لئيم خبيث . اما اذا
نقدت فانت كافر بالعباقره ، تنهاون بنوايح الامة ...

يجب ان تقول في الشعراء الكبار - وما اكثرهم عندنا ، اتم الله
نعمة الشهرة عليهم - ما قاله بيار لويس في فكتور هيغو :

« عندما تقرأ فكتور هيغو يجب ان تقول : هذا سام ، هذا
فريد ، هذا عجيب ، واذا كنت لم افهم فانا حمار . يجب أن نقول
في فكتور هيغو مقال النصارى في يسوع : هذا انسان ، هذا اله . »
واخيراً ثلث لويس الاقانيم وقال : « الاب والابن وفيكتور هيغو . »
مثل هذا القول يرضي شعراءنا ، مفاخر العرب وسادة العجم ،
بيضات الزمان ، ومفارد الأوان . اما كتابنا ، فعليك ، لكي

ترضي كبارهم ، ان تقول فيهم ما قاله فيكتور هيغو في رنات :
« ان الله خلقه بمرسوم خاص » .

هكذا قل ان كنت تؤثر رضاهم على سخطهم . واذا التقيت
باحدهم على اثر قصيدة أو فصل اذاعته احدى الصحف أو المجلات
فمضّ شفّيتك كالعنز ، واستلهم بديهتك والويل لك ان تحبّبتك
البلاغة ! هات اضخم الالقاب والنعوت ، ولا عذر لك اذا قلت لم
اقرأها . عليك ان تقرأها ، وإلا فأنت جاهل لا تتذوق الادب
الرفيع . ثم هب انك لم تقرأها فلا تكسر خاطره وقل فيها ما
يتوقع أن يقال ، أو ماعود أن يسمع ، وترحم بينك وبين نفسك
على الحريوي القائل :

والصدق ان القاك تحت العطب لا خير فيه ، فاعنصم بالكذب
اما اذا تلهجت ولم تقرظ فأنت حمار يا صاحبي ... كما قال
بيار لويس عن قاري فيكتور هيغو .

الحسد ترس تناقلته أيدي ادباء العرب منذ عرفوا النقد ، فكم
اتقى به المتنبي صدمات منتقديه ، سواء امتحاملين كانوا أم منصفين .
اما قال المتنبي منذ الف سنة :

أزِلْ حَسَدَ الحساد عني بكتبهم فانت الذي صيرتهم لي حُسدا
ثم قال ابو فراس : مشيت اليها فوق اعناق حُسدي ...
وكذلك قال شوقي أمس ، وكذا يقال اليوم ، فقل معي اذن :
اعوذ بالله من الحسد ، فالحسود لا يسود ...

لقد عفّت هذه الدعوى معالم الحقيقة ، فاغامت سماء الازهان
وتنكرت المحجة ، وكاد يتجمع كل ناقد مخافة هذا الظن ، ولكن

الاخلاص للفن يدرأ الشبهات . وكم تمنى على الله ان يكون فينا
من يحسد لنرفع رؤوسنا بين امم الارض ...
فحتماً تلوك السنتنا هذه الكلمة ، وإلام يقبع وراءها
ادباؤنا كالصائد في داموسه ، وفيهم من لم نخطر له ببال يوم كان ينقد
ولا ينتقد ؟

لقد قال طه حسين يوم نقد شوقي « ان شوقي شبع مدحاً ولم
يشبع نقداً » ثم اشبعه ... فما باله يتبرم ويضيق صدره بالنقاد ؟
آمين مفروضة على قرائه وليس لهم ان يفكروا أو يحصوا ؟ وبعد
فما دعاه لذكر الحسد في معرض كلامه عن بارتو وبوانكاره ؟ الفتوى
عند سلامه موسى صاحب كتاب « العقل الباطن » .

تطالع مقال الأديب اليوم ، وخصوصاً المأجور منهم ، فتأسف
على دقائق هدرتها . فاذا قرأت مثلاً مقالة طه « التأديب » أي درس
الادب ، تقرأ صفحتين من جريدة الاخاء الوطني العراقية ولا تظفر
إلا بغمزات ولمزات . ما هكذا كان يكتب طه . لقد كنا نظفر
بشيء متى قرأناه . فهو إما اكتفى وشبع شهرة فطرح « منجله »
واستراح ، واستهزأ بقرائه كما قال عنه حسين هيكل ، وإما
انه يكتب لاجل الجمال ، كما يشتم من الكلام المنقول عنه في
المقال عينه . ورحمات الله على الفن ! ما دخلت السياسة شيئاً الا
افسدته . صدق الكلام المأثور ...

لقد قرأنا لبعض شعراء العرب في مصر ، والعراق ، وسورية ،
والمهجر ، قصائد طويبتها الصحف ونعتت شعراءها بالكبار .
ومعظم هذه القصائد لا يتعدى مبتذل القول ويدور على كل لسان .

شعر « مناسبات » : تهنئة ورثاء ومديح ، وبكاء على المجد
الضائع ، والثرورة المفقودة . ويضحكننا شعر بعضهم الذي لم يفق
تعبيره كلام العامة ، فكأنه اخبار محلية ، في جريدة . فهل الشعر
ما استقام وزنه ورصفت قوافيه كمداميك البنّائين ... ؟ لقد بتنا
إذا عرفنا « المناسبة » عرفنا ما سيقال فيها ، ومتى عرفنا الشخص
عرفنا القافية ، كما سمعنا في لو كندة قاصوف بعرس صلاح المنذر
قصيدة على الحاء ... لقد أتعب شاعرية شعرائنا اسم تلك العروس
اللطيفة (ليندا) فما ذكره منهم الا امراء الكلام ...

وبعد ، أفليس ما ننعاه على المتقدمين هو هو الذي ننظمه اليوم ،
ونسماه شعراً ؟ ويا ليت لنا بلاغة اولئك ! فاكثر كلامنا حركات
سيمائية تسحر عيون الناس ، بل هذيان محوم يضحكه ذكره متى
فارقه العارض ...

اما آن ان يتعدى النظم هذه المناسبات ، ويتجاوز شعرنا
« يا ليل » المغني و« يا عين » المطرب ؟

فما تقول في قصيدة 'يمدح بها او يرثى ملك' ، او يبتأ عريس ،
او تنظم حفلة ، فلا تفهم منها الا انها تصلح لكل ملك ، ولكل
حفلة ، ولكل من سبتأهل منذ نوح حتى المسيح الدجال ...

اليست قصيدة كهذه ، في نظرك كما هي في نظري ، مثل
« شروال » اهالي قرية ... الذي كان يلبسه كل من يتغرب عن
القرية - وأبعد غربة كانت الى جبيل - حتى صار شعار الضيعة ...
اليست كذلك الخلعة التي كان 'يلبسها المشايخ' ، في ذلك الزمان ، كل
عريس مشمول بالرضا ، ثم تعود الى « الدار » لتعاد ، بعدئذ ،

الى كل عريس ؟

الشعر الحقيقي هو ما لا تستطيع ان تفصله عن صاحبه ، ولو
حلته في مختبر باستور . وما يخرج منه ويذيعه الاديب على الملأ يصبح
ملك الجمهور بحق لكل مفكر ان يقول كلمته فيه ولا حسد ولا
حقد ولا غيره هناك ... فان اصاب الناقد افاد . وان اخطأ هزيء
به الناس ، فلماذا كل هذه الضوضاء ؟ وهل يكثر النقاد - في
الغرب - لغير الشعر البارع والنثر الممتع ؟ هناك يناز الاديب
بكثرة منتقديه ، فترك النقد عندهم منقصة وسببة . وهذا شوقي
ماذا تنقصه النقد ؟ لقد استحسنته فاحتث ، وجلت على شيخوخته .
انظروا في القرن العشرين كما كنا في القرن السابع ؟ قال
الاخطل : « جرير يغرف من بحر ، والفرزدق ينحت من صخر »
فجر هذا الرأي الادبي الى هجاء كان جنائياً على الادب والاخلاق .
وكذا حدث في القاهرة . فقد حمل ابو شادي حملة شعواء على
العقاد فسبّه هذا بما يندى له جبين الادب . وكذا حدث بين
شيلي وبشاره في حفلة تأبين المرحوم وديع عقل وان كان تأميراً لا
تصريحاً .

وارى اليوم طلائع مثل هذه في حديث بشاره مع صاحب العروبة ،
الحوماني ، ثم في ردّ ابني شبكة على بشاره ، كما اذكر حملة نقدية
كادت تكون خصبة لو لم تنته بالحيد عن خطط النقد ، وتعقد
الهدنة على ضفاف البردوني ، فلو لم يهتم منها بشاره ما اخرج قصيدته
الرائعة « عمر ونعم » وما قال له بدوي الجبل كما نشر في « بوقه » :
« ما هذا يا رجل ؟ المتنبّي من 'خدامك' الخ ... »

وأذكر - وما أكثر ما أذكر - حملة لغوية ، منذ سبع وعشرين سنة ، على الملاط أوقد نارها بشارة ، وكان من فرسانها إبراهيم منذر ويوسف مراد الحوري ومن لا أسميهم ... وكانت الساحة جريدة « لبنان » للأسود ، فاتهمهم الملاط بالحسد ، ثم سكنت الزوبعة بعد أن قالوا ما قالوه .

والآن أمامي مجلة العروبة (عدد ١٤) ، قرأت فيه مقالة لمدافع عن بشارة أسمى نفسه « قزم ... » ختمها بيتين من نظم بشارة في أبي شبكة ، وهما :

أبسا شبكة ، والأيام مهزلة

ماذا ، أحقاً حذقت الشعر أم لعباً ؟

لو كنت في الوحش لا أرضاك لي ظفراً

أو كنت في الطير لا أرضاك لي ذنباً !

حقاً أنها لبدة جديدة في الرد على النقاد بهذا العصر ... فما هذا يا أبا عبدالله ؟ .. لقد كدت أصبح بلاء في : « اكذب نفسي عنك في كل ما أرى » لولا خشيتي وخوفي قانون « اقلاق الراحة » ... بيد أنني ثبتت إلى نفسي وقلت : لعل الأخ بشارة يريد أن يقول الشعر في كل الأغراض كسميه الاخطل ، فلا حول ولا ...

*

هكذا سار ويسير النقد عندنا ... 'تختم' المسألة بأكل اللحوم ونش القبور ! فمن لنا بزياد جديد وبتراء جديدة الحدود . أما هواة النقد فنقول لهم ما قاله أمس المندوب السامي للصحفيين :

« انتقدوا الاعمال لا الاشخاص » ، ونزيد : « كونوا منصفين » .
فهل من نقاد مخلصين للفن لا يحابون كاتباً ولا يمالئون شاعراً ،
فلا يكيلون الثناء لشهير ، ولا يتعامون عن جيد جاء من نكرة ؟
ليت الصحف والمجلات تقلع عن هذه الالقاب التي تغرّ الادباء
وتخدع القراء ... وليتها تذكر اسماءهم كما يذكر في اوروبا اسم
فاليري و كبلنغ وتاغور وولز وشو وجيد ومن اليهم من كبار
كتاب العالم ، ثم لا يُعرض لمصولهم الادبي الا في مختبرات
التحليل . فلتترك الصحف هذه الطلاسم التي ترقى بها قراءها ،
وتنفج الادباء حتى يصبحوا كالقطن المنفوش .

حقاً ان محصولنا الادبي في تأخر مستمر ، ونحن على ابواب
محاكاة روحية . فادباؤنا اكتفوا بشهرة جوفاء تذهب بذهايمهم كصدى
ينقطع بانقطاع الصوت . انهم كتلك الزهرة « شبّ الليل » التي
تعيش في الظل ليلة واحدة . فالى النور ايها الاخوان ، الى الادب
الحالد ، ولا يغرنكم ما يقال اليوم ، فالغد حكم جبار لا يعرف
رحمة ولا محاباة .

وبعد فاقول ، والاسف ملء الفؤاد ، اننا اذا قرأنا شيئاً قيماً
فهو عيال على كتاب الغرب وشعرائه ، ان لم يكن نصاً فمعنى .
فعلى رفوفي كتب اعظمها جدد الاعظام حتى كتبت الى احد مؤلفيها ،
وانا لا اعرفه ، أثني على جهوده وعمق تفكيره .. وكما كانت خيبيتي
مرة بعد سنتين ، إذ عرفت أن معظم الكتاب « مأخوذ » ...
والبلية انك اذا ارشدت الناس الى هذا الاخذ الشريف ،
وقلت كلمة في احد هؤلاء « الطوباويين » تغامزوا جميعاً عليك

وقالوا : « حسد ! » وهكذا ينجو المتلبسون بالجريمة ...
وجماع الكلام ان الناقد التزيه كالصيقل الماهر يبدو جوهر
السيف تحت اغله شيئاً فشيئاً ، او كالمُرشد الامين يجذبك الى متحف
مليء بعرائس الفنون ، ويدلك عليها واحدةً واحدة ويشرح لك
معاني جمالها . وما كان النقد قط ، منذ كان ، الا معواناً على رقي
الفنون . وفنان لا يسمع غير التقريظ لا يبدع ، والماء ان لم
تصفقه الرياح ركد وأسن .

١١ - ١٩٣٤

إمارة الشعر

وتفرقوا شيعاً فكل قبيلة فيها امير المؤمنين ومنبر
لعنة الله على هذه الامارة الجوفاء ، إمارة الشعر ، فهي مخافة
بلقاء اسقطتنا من عيون المغاربة . واشد الناس رقاعةً وعتاهية
شاعر يحلم بها ، وشرّ الثلاثة اديب يدعو اليها ، ويحمل الناس عليها
حملاً . فهل كانت إمارة شوقي - وهو شاعر جميله - غير مهزلة
سجلها الدهر ، وابى ان يكتبها علينا التاريخ الذي لا يمحي ما يسجل ؟
وانكى البلايا ان تكون « الردّة » في مدرسة طه حسين .
اما انكر شيخ هذه الطريقة على الناس مبايعتهم امس ؟ فكيف
يمهد ، اليوم ، لها ويوطئها لينقمصها فلان ؟ .. أنسي ، هداه الله ،
ونفعا بعلمه ، كيف سخر من مهرجان شوقي ، وكيف شهر من
مؤثره رجلاً يؤثره أي حافظ ابراهيم ؟ وان أنس لا أنس انه لم
يسلم من لسانه والسنة انصاره أحد حتى النظارة .

أخارجي الادب المتبوع يجترح اليوم ما عدّه أمس جريرة لا
تغتفر ؟ ! لقد كان أخرج من النظام في حظر العفو ، فما عدا بما بدا
حتى حشر الناس حول العقاد فابقظ فتنه نائمة واعادها جذعة ؟ !

الا ليت الطفولية تعود ! فكم لهونا بمثل هذه الأضحوة يوم
 كنا غلمانا تغلي صدورنا توقاناً الى الرجولية . فمن لا يذكر مثلي
 تلك الاعراس الصبانية ... فعربسنا كان صبيّاً شارباً من صوف ،
 والعروس صببة ذوائبها من الياف لا خرج علينا بنوعها ان اجتمع
 فيها الطول ، فما اجملها اعراساً حافلة بكل طريف : دفوف من
 تنك ، وخيول من قصب ، والشراب ماء مصبوغ لا اذكر بماذا ...
 فهلا تتذكر معي تلك السخريه وتقول : « انها وامارة الشعر
 صنوان . تلك شهوة غلمان وهذه امنية شيوخ قلائد العقيان ،
 وكهول شكسبير وشبنهور وهوفمان .. » ولقد صدق اغوستينوس
 حين قال : « الرجال اطفال كبار . » ورحم الله نيتشه القائل :
 « طلبت رجالاً عظماً فلم أجد الا قروداً تقلد حركاتهم ... »

*

منذ سنوات اربع عرفت استاذاً أجنبياً « جامعياً » ودكتوراً
 من السوربون أيضاً ، تفرد للادب ومارسه تعليماً ونقداً ، فتذاكرنا
 مرة ادب المغاربة واتجاهاته الحديثة ، ومناحيه الأشبه ، وموجاته
 الصاخبة ، قبل الحرب وبعدها ، فانجمر الحديث الى ادب المشاركة
 عامة ، فادب العرب خاصة ، وتلوى البحث كما طابت له الريح
 فتناولنا حتى اللغة العامية والفصحى ، فاذا صاحبي على دين كليمان
 هبار يري رأيه ، وملء عينه مرونة اللغة العربية وكفاءتها ، كما
 وصفها لنا المتمشرق ماسينيون ، ولو شكاً حسين هيكمل عجزها
 عن تأدية مراده ... ودعا سلامه موسى في « يومه وغده » الى نبذها
 وأشار علينا ، اصلحه الله ، بالالتحاق باوروبا حيث نفنى في ذلك

الحُضَم العجاج ، منتظرين « كالبهائي » ان نؤهل يوما الى « الانعدام »
في ذات تلك الوجدانية ...

فمن يقرأ محاضرة ماسينيون ولا يقول مع الشاعر :
نعيب زماننا والعيب فينا وما لزماننا عيب سوانا...؟
واطررد الحديث فقال صاحبي : « عندكم امير شعراء . »
قلت : « نعم يا سيدي ، فنحن العرب نحب التأمر ، ولو على
أهل البيت ... »

قال : « وهل لاميركم هذا عرش وتاج وصولجان كاحشورش
استير ؟ »

قلت : « نعم ، ويصلب هامان ... له كل ما للملوك المهازل من
أزياء وطراز . أما لهذا من أثر في بلادكم ؟ »

أجاب : « لا فنحن الى الجمهورية اميل منا الى الملكية . »
فقلت : « أما والله انك لجاذ . دع المزاح . اتظن ان كبار
ادبائنا يشايعون هذه البدعة ؟ »

قال : « أظن نعم . »

قلت : « لا يا صديقي العزيز ، لم تقرأ ما كتب طه حسين
عنها ؟ فطه حسين اديب مجدد ، ضخم أمره ، وله تشيع انصار
الجديد . فهو شيخ أزهري « شرقاً » وسربوني « غرباً » ، وشمالاً
وقبلاً يعلم الله ماذا . فهذا الامام ولقاهُ يسفّهون حتى من يتحدث
بالامارة ، وان خبرت انه جاء على ذكرها فللهزء والسخر . »

فقاطعني وقال : « لا تدافع يا صاحبي ، حقا يا صديقي انكم
معشر الشرقيين ، مطبوعون على التبجيل والتعظيم . » وابتسم .

فقلت : « مالك ؟ »

قال الستم تقولون عندما تذكرون الله : « سبحانه وتعالى ، جل جلاله » بينما نحن لانقول الا : Le Bon Dieu ، واذا ذكرتم شعراءكم وكتابكم نسجتم حول اسمائهم عناكب القاب ونعوت حتى يخنقوا فيها كالدبابه التي تجذبها الرتيلاء ؟ ان الالقاب عندكم تصال ولا تزان .

قلت : « أما تعظيمنا لله فما إخاله عيباً . اما الشعراء فهم ابناء الآلهة ، اليس كذلك ... ؟ »

فلنعدّ عن هذا ، انني لم افرغ بعد من حديث « الامارة » ، فاسمح لي ان ادرأ هذه الشبهة ، فاتم كالحجاج وكثيرا ما تأخذون بالشبهات .

ألم يأتك نبا العقاد ، وهو من مدرسة المجددين ، على طريقة غوت وشلي وشكسبير وهو فنان ؟ ...

فما سمع بمهرجان الامارة حتى هدر كالجمل الاورق ، وطفق يكتب فصولا « الشعر في مصر » يدحض بها تلك الضلالة ، هاك نفثاً منها ، قال لا فض فوه :

« ونظرت الى العصور الحديثة بعد الاسلام ، فلم اعثر بشاعر واحد انبثته مصر يزكر بين اعظم الشعراء وتذكر له رسالة من رسالات الحياة . فكل شعرائها عرب او مقلدون للعرب ، وكل هؤلاء وهؤلاء عالة على الادب ونفاية ضئيلة اولى بها ان تبعد وتهمل . »

فطابت نفس صديقي واهتز لما قلت وغنم .

فقلت : اسمع ايضاً :

« فشاعت بيننا مقاييس الادب الافرنسي الدارجة ، وهي
الطلاوة السطحية واللباقة العابثة . ومثينا معه في عيوبه ومحاسنه ،
وهي شبيهة بعيوننا ومحاسننا ، فلم نفطن الى فارق بين الصحيح
والزيف ، وبين الصدق والتمويه ، ولم نخرج مما نحن فيه الى
مذهب غيره . »

وتفرست بوجه صاحبي ، فاذا بلونه قد اكتمر وابتسامته اصفرت
وقال : « انت ما كرت خبيث . »

قلت : « لا . صبراً ! » وسقت الكلام :

« وخفيت علينا مقاييس الجد والاستقامة والبساطة التي امتاز
بها الشعر الانكليزي والالماني . »

وحباً بالاختصار قلت له : « ويقول عن شاعركم العظيم هينغو
انه مجلجل مزوق خلاّب . فهل من يقول هذا يؤمن بامارة
شعر ، و ... »

فقطع علي حديثي وقال : « اينظم شعراً صاحبك هذا ؟ »

قلت : « نعم . »

قال : « وكيف اسلوبه وديباجته ؟ »

قلت : « لا يطبع على غرار هينغو . »

قال : « لا شك . اظن انه في التعبير . »

قلت : « لم اقرأ له بعد ما يصح السكوت عليه فأحكم . اليك
الان ما يقوله عن « امير الشعراء » وامارته في معرض نقده « خطاب
العرش » الذي القاه الامير في مهرجان « المبايعه » على وفود

الشرق قال ، اي العقاد :

« وقد يكون اميراً كامير الشعراء ، لا حس فيه ولا عبقرية ، ولا اشعار له ولا الحان » ثم « فان كان اماره كذابة في هذه الدنيا فهي اماره هذا الذي لا يكفيه ان يعد شاعراً حتى يعد امير شعراء ، وحتى يقال انه عنوان لأسمى ما تسمو اليه النفس المصرية من الشعور والحياة » .

فقاطعني هنا قائلاً : « ابطع هذا ان يكون امير شعراء ؟ »
قلت : « لا لا لا ، اسمع ايضاً » :

« انما هم جميعاً - أي شعراؤنا - سواسية في تشبيه الورد بالحدود ، والبلابل بالقيان ، والازهار بالاعطار » ثم يقول : « فكل شعرائنا طويل قصير ، بدين هزيل ، ابيض اسود ، احول أعمش ... وكل ما يشهدونه من روعة الحياة لا يتعدى ذلك الذي يشهده كل ذي عينين حيوانيتين ، كلبيتين او بقريتين او فيليتين الى آخر ما في الحديقة من ذوات العينين . فلو نظمت الكلاب والقطط يوماً باللغة العربية لعلت منها انها هي ايضاً تفهم كما يفهم شعراؤنا ان الورد احمر الخ . وربما زادت على شعرائنا بفهم ما لا يفهمونه وهو تحية الحب الخ » .

فصاح صاحبي : « هوب لا ، إنه يغالي جداً ، هذا سباب وشتائم ، ما هذا نقداً » .

وكان معي صديق يسيع الادب ويلذ له حديثه فقال لي :
« فضحتنا يا شيخ ، بحياة أبيك ، كف عنا شرك ، إلى هذا الحد ينتهي تجريسك بنا ؟ »

فأجبت : « لا تحتج يا أخي ! كل هذا في كتاب العقاد » ساعات
بين الكتب .

فقال صاحبنا الأستاذ الأفرنسي : « ولكنها ساعات سويداء ،
اظن انه كان يحلم بالامارة والتنفش ساعة كتب هذا ! »
وافترقنا على ان نلتقي ، ولكن البحر ابتلع صاحبي الأستاذ
ففجع به الادب والعبقرية .

*

وكان مساء وكان صباح عام ثان ، على لغة سفر التكوين ،
وطوى الموت امير الشعراء ، فخوى العرش الأسنى ، فقلت في
نفسي : « لقد أراح القضاء طه والعقاد من خزعبلته خالط ألها اللحم
والدم . » ولشد ما تعجبت حين فجأتني الصحف بشاول بين
الانبياء .

لقد آمن طه بما ججده امس ، والتفت صوب العراق ، وشوقي
لم يُدفن بعد ، وقال : إن اماره الشعر ستكون في العراق بعد
شوقي ، كأنها الخلافة البطرسية ، فلا بد منها للكنيسة الكاثوليكية ...
يا سبحان الله ، إن التحوّل والتطور اظهر في الآراء والامبال
منه في كل ما هو كائن ، وإلا فكيف يعترف طه بامارة زائفة تهزأ
بها امس ؟ وهبه اقرّها وارادها فلم أشاح وجهه عن خليل مطران
وهو احد الثلاثة المفروضين ... ألم يثن عليه طه ؟ ألم يقدمه حين
ذكره في مقالاته « حافظ وشوقي » ؟

ودارت الافلاك دورتها والعقاد كالسماك الاعزل ، لا يفتأ
يذكر يوسف ، لا يشارك ولا يساهم ادباء الجيل في شيء حتى كان

يوم ٢٧ ابريل فاذا بحفلة تقام للعقاد بمسرح الازبكية من اجل «نشيد»
نظمه ، فينتصب طه حسين فيها خطيباً ، ويتكلم عن «العقاد
الشاعر» وتكلم وتكلم وتكلم (على لغته) حتى نودي بالعقاد امير
شعراء ، فحلّ اليوم ، في شرع طه والعقاد ، ما لم يجز البارحة . انما
لنكد طالعهما ويمن طالع الادب والتاريخ لم يكن في الحفلة شاعر ،
فكانت الحفلة مفلسة «اديباً» غير مكثور عليها «وطنياً» .
فكانت امارته كولاية ابن المعتز ، فلم يحص بين الخلفاء ...

اما الشعراء فأدر كوا بدهائمهم - وهم ابناء الالهام - تلك الحيلة
المدبورة ، فلم يقعوا في فخّ معاوية الذي اوحى الى (مسكين) ان
ينصبه ، فراح ، والأسفاه ، تعب النقادة الحاذق سدى كصيحة
النسر في الجو ، وارفضت الحفلة عن لاشيء ، اللهم الا عن شنشنة
نعرفها من اخزم ...

وهكذا فشل العقاد وطه كما فشل الهراوي من قبل بدعوته الى
«الموسم» فقامت عليه قيامة الكتاب والشعراء في «السياسة»
يتهمونه بمراودة امارة الشعر عن نفسها ، كما راودها ويراودها في
كل قطر غواة ، وهواة ، هم اشبه بصفدة لافونتين ، فانشقوا وما
صاروا جواميس ...

وأنت نوبة العقاد وطه بعد شهرين ، فثار عليها الشباب الشعراء
وشقوا عصا الطاعة . انقلابات ومفاجئات تذكرني بما يحدث في
المكسيك والبرازيل واميركا الوسطى حول انتخابات الرؤساء ...
واذا كنت لم تملّ حديثي بعد فاسمع احداثك كيف ردّ الشعراء
على حفلة العقاد . التأموا بمسرح الهبيرا ، - اظنها الحمراء تنكرت

علينا كلمة Alcool فعربها - احد الفطاحل (الالكحول) -
واقاموا حفلة كبرى لزكي مبارك افتتحها خليل مطران (لا اقول
شاعر الاقطار ، فلكل قطر من فيض الله الف شاعر ، وانا لست
من مذهب من فاته اللحم ...) افتتحها خليل بنثر وشعر ، وقال
فيها شعراً : ناجي « وراء الغمام » وابو شادي « الينبوع » والهراوي
« الموسم » والزجال رمزي نظيم ، وغاب عنها صاحب الملاح النائه ،
وغنى عبد الوهاب ، وهذا هو الوفاء . فهو يرعى عهد « اميره » في
مناواه . أولم يقل عبد الوهاب عن نفسه : « انه قصيدة من قصائد
شوقي »؟ اذن كيف لا يكون مطرب حفلة تقام رداً على طه
والعقاد ؟

وبعد ، أفلم تر مثلي ان الناس احتفلوا ليكرموا كاتباً - أنا
ارى رأي المازني في شاعرية زكي وقد عاهدت نفسي ألا احابي -
فتجمعت فئة من رؤوس الشعراء لتقول فيه شيئاً ؟ واحتفي بشاعر
نظم « نشيداً » لم يتوخم به احد ، بل بكاتب اقام الدنيا واقعدها
ليحطم شاعر الجيل ، فما حضر الحفلة شاعر...؟ ألا رحم الله صاحب
ابن عباد ، فهو والعقاد عندي سواء ، كما سوف ترى .

روى سلامه موسى صاحب المجلة الجديدة عن طه حسين في
معرض الكلام عن الذين « يسمون انفسهم ادباء الشباب » انه قال
له : « حب الشهرة عدو الفن » .

لقد وقعت على موضوع عتيق . انما اسأل الان الدكتور طه
حسين ، على عجل : هل يطبق مولانا ، ايده الله ، ان يطبق لنا ما
نصح به ادباء الشباب ، على طه حسين ؟ اقول هذا ولا اخال مطلبي

يعجز من عنده مقياس ديكارت .

حاشية - لقد بعثت بأمرى - على لغة المنفلوطي الذي فرض درسه مجلس معارفنا الأعلى ، وقد كنت بينهم ولا فخر ، واهمل جبران - وتلفت كثيراً لعلى ارى المازني إما هنا وإما هناك فما وقفت له على اثر فقلت في نفسي : لئن تخلف عن شهود حفلة تنصيب الأمير لسمعنا مقالا اشبه بخاط لي زيد قباء . . ولكنني تعبت الليل كله ولم اصطد شيئاً كما قال بطرس لملمه .

*

قل معي اذن يا اخي ، قاتل الله امارة الشعر ، البشعة امس ،
الحلوة اليوم في عيني العقاد ! ان هذه الامارة فتنة عمياء كمنابا زهير
فهي في ادبنا بيت الداء وطلابها متخمون حتى الافواه ، يعضغون
ما يتجشأون ويحترون ، وعلى هذا الضعف في المعدة والامعاء
يحاولون ان يكونوا امراء . ولما أتى نبا امارة العقاد خليل مطران
ظل يردد حتى آخر الليل بيته في علي يوسف :

بنات الدهر عوجي لانهابي خلا الوادي من الاسد الغضاب
هلا ، هلا ، يا خليل ، ففي كل واد اسد واشبال لولا تقليم
اظافرها . فالمستأثرون بالشهرة الناهون عن طلابها يحوّلون الانظار
عن الأجهم ، فعطفاً على الذرية ففيها بقاء النوع ، وتعهدوا الشباب
كالبيستاني الذي يشد الفسيلة الجذعة الى جذع الشجرة الشائخة .

بجياتك قل لطفه عني ان يلاطف ادياء الشباب - قد تكون
كلمة يلاطف لا تعجبه كلمة « تلاشي » - ويجري معهم على ما
عوده اياه حفي ناصف . اما قال طه عن حفي : « كنا نستعينه على
ان نكون خيراً منه . وكان يعيننا على ذلك راضياً به ... » فما

بقي من جملة الاستاذ لا يعني ، ولا اقول لا يعجبني ، كما يقول هو ،
فانا حسبي الرضا .

وقصارى الكلام : إن كنا نروم خلق ادب عربي غزير المتاع ،
عظيم الخطر ، يتعدى ما يشهده ذووه من روعة الحياة ذلك الذي
يشهده كل ذي عينين حيوانيتين كليتين او بقريتين الخ .. فلا نؤدر
نتاج الشباب ، ولنمدّ اليه مبضع النظامي لا مدية الجزار .
اما اذا اردنا أدبا ، ان نظمت فيه الكلاب والقطط باللغة
العربية ، علمت انها هي ايضا تفهم كما يفهم شعراؤنا ان الورد احمر
الخ ... فاجعل « صاحبك » امير الشعراء وخاتمة الادباء .
وان راى سموه ان كلمتي هذه لاذعة قارصة جارحة ، فاني
احيله على زميله العتيق ، صاحب بن عباد القائل : هذه بضاعتنا
ردت الينا . والسلام على من ادى الامانة ورد التحية .

٨ - ١٩٣٤

الشعراء

لولا الشاعر لماتت الالهة ، فالشعراء خالدون ومخلدون .
لا نعني بالشاعر كل علاك وقواعة ، فمن مقلع واحد يصنع
المثالون شخوصهم ، فمنها ما يرفع ليصير إلهاً في المحراب ، ومنها ما
يبطح ليجعل اسكفة للباب .

ولا نعني بالشاعر ذلك الصاف الكلمات ، الغواص على « درر »
الالفاظ ، فمن يعجز عن التفكير والابداع يعتصم بالفصاحة الجوفاء ،
ومن لا يحسن رمي الطير في مهايتها يقبع في الداموس ، ومن يفته
ابداع الجديد يكثر من اجتار القديم ، فحتام ننبش القبور
لنلبس الاكفان عربية واعجمية ، والام يهيم شعراؤنا المناكيد في
كل واد ؟ ..

فمنهم من ينكت الطلول والدمن ويستوحي دارة جليجل حيث
توقح امرؤ القيس وقعد على ثياب العذارى ، فأخرجهن من مستحباتهن
على حد قول ايوب : عرياناً خرجت من بطن امي ...

ومنهم من يفتش عن نفسه بين حكم ابن أبي سلمى الجافة كرمال
الصحراء ، وزهديات اني العتاهية الملمومة من هنا وهناك كخبز
الشحاذين ، أو كالرداء المعدّ يصلح لجل الناس ولا يليق بواحد .

ومنهم من ينشدها في طويلات الاخطل التغلي فيقفو أثره حتى
يفرق في موطىء رجله ، وتهب هوج الرياح فتزدرده الصحراء .
ومنهم من يتعنتر فيعرض سيفاً ورحماً ، ويناجي عبلة وهمة
كقول تأبط شراً .

ومنهم من يتبع النابغة الى دارمية ، ويلحقه مع من لحقه في
يوم صيده المشهور ، فيخفي عنه زياد ويتركه مع واشق وضمران ..
ومنهم من يهدج حول بيت الفرزدق كالقنافذ فيراه موسعاً
لكيره في المقعد ... فيدعه ويتبع جريراً فيظماً في فيفائه ، ويتوه
في بهائه التي تكذب فيها العين والاذن .

ومنهم من يشوقه ابن ابي ربيعة فيتضخ ويقف مثله في الدروب
حتى اذا أدرك أن مطلبه عسير قعد حسيراً ، والعين بصيرة واليد
قصيرة .

ومنهم من يتغلغل في ماخور ابي نواس ، ويأوي الى خمارته ،
فيضرب معه بسهم ظفر ، كما قال البديع ، فيحلو انشاده لانه
صادف نفسه .

ومنهم من يغزو ابا تمام ويشن الغارة على البحري ، ويقف
بباب المتنبي فيصدف عنه شيخ الشعراء هازئاً متمناً : اراه غباري
ثم قال له الحق ..

ومنهم من يقصد البهاء فيرى في الفسطاط رجلاً محتشاً حتى
الميعان ، فيتفياً في ظلال واحنه ، مستروحاً نسيمها البليل ، ثم
يُسف ولا يقع .

ان معظم شعرا العربي لا تزال في أنفه الحزامه ، وفي حنجرته

هدير الفجول، وفي رجليه خلاخيل. 'تحشيش'، لقد صور الجاهليون والعباسيون انفسهم ومحيطهم في شعرهم، اما نحن فنصورهم هم في شعرنا، كما كان يفعل مصوروننا منذ نصف قرن اذ يصورون مار جرجس ومار شليطا ومن اليهم - كأننا صبية مدارس ينسخون المثل ليأخذوا العلامة ...

اما كان اولى بالبحثري ان يسأل ابا تمام متى يا كل حين سألته متى ينظم؟ أتسأل الطير متى تغرد، ام الرياح متى تهب، ام النار متى تنقد؟؟ ان الشاعر يقول متى جاش صدره. عفواً، لا يفعل، هذا الا شاعر وجد نفسه. اما من يفتش عنها بين طول الجاهليين وخمّارات العباسيين وقصور الغربيين فينظم كل ساعة ...

يسألون لماذا أخرج المهلهل وعمرو بن كلثوم شعراً رقيقاً جياشاً وهما قبل الفرزدق الحشن الذي ينحت من صخر كما قيل فيه. فقل لهم ان الفرزدق قال قافية لا يعدلها شعر عربي هلهلة ورقة نسج وهي: « هذا الذي تعرف البطحاء وطأته ». وكذلك فعل دعبل الشاعر في قصيدته: « مدارس آيات خلت من تلاوة ... » التي احتذى مثالها حافظ ابراهيم في رثاء الامام محمد عبده فكانت خير ما قاله.

ويسألون لماذا يحشن الشاعر الواحد الجاهلي ويرق؟ أليس هذا دليل النحل، كما يزعم نقاد اليوم؟ فقل لهم: لا، فالشاعر المطبوع يلبس لكل حالة لبوسها، يحشن ويرق في قصيدة واحدة. فما الشعر الا عود أوتاره ألفاظه، بصفقها الشاعر ويصلحها لتخرج اللحن الذي يود.

أما الشاعر المتلمس بين خرائب المتقدمين وقبور المتأخرين

فأكسعه وقل له : ارجع الى بيتك وفتش عن نفسك : في حنايا
خلوعك ، وثنايا لحافك ، وبين جدران مخدعك ، وان لم تجدها
هناك اولاً فلن تلتقي بها أبداً .

لا تفتش عليها في شكسبير وشار وغوت وهيغو وموسه وبودلير
فهؤلاء قد عتقوا وان ابدعوا ولم يروا ما ترى من العجائب . قل
له : انظر يا اعمى القلب فكل ما حولك يدعوك ، فلماذا ترج
نفسك في الاعماق كالحمد ؟ طالع كتاب الطبيعة فكل كلمة منه
جبل ، الا انها لا تضطرك الى نظارتين ! اسمع يا أطرش ، انت
احاديث الدنيا كلها في بيتك ، تسمع روزفلت ان سعل ، والميكادو
انت تنحج ... أنظر يا أعمى ! فالسينما تريك غرائب الكون
متحركة ناطقة ...

كان ابو تمام فطناً فأخرج معاني جديدة فلماذا لا تأتي انت
بمثلي ؟ انك عبي ما دمت تسأل : ما ترك الاول للآخر ؟ الجواب
عندي : ترك له الراديو والراديو والسيناء والطائرات والغازات
التي تخنقك ...

فحاول التجديد فنتقمص ثياباً بطلت في بلادها . ثم نتباله
ونقول : انظروا اننا جدد . لقد أسأنا من جهتين : التقليد ولبس
ثياب أخلاق .

قال العجاج : « كان الكميث والطرماح يسألانني عن الغريب
فأخبرهما به ، ثم أراه في شعرهما ، وقد وضعاه في غير مواضعه
لانهما قرويان ، يصفان ما لم يريا ، وانا بدوي أصف ما ارى فأضعه
في مواضعه . » فهل نتعلم من هذا البدوي ؟

كثيرون منا يفتشون عن انفسهم في الفاظ هاموا بها ، وكثيراً ما يسوقون المعنى لاجلها ، ثم يطلبون منا ان نتذوقها كما تذوقوها هم ، ونستحليها كما استحلوها ، كأنهم بلهاء تستغرب كيف يغبي عليك جمال ابنها البشع .

ان مخيلة الشاعر المبدع راديو يلتقط حديث عوالم الانيث ، وقرينته راديو يشع نوراً خالداً ، فعبثاً يحاول قرع باب الفن ان لم يكن في عون قلب متقد وعين ثاقبة ، وان فعل فهو كالنادبة 'تبكي ولا تبكي' ، او كأبي الطيب عندما استزادوه ، في اللاذقية ، رثاء ونفي شامة ..

ما الشعر الا حلم يقظة ، فالذي ليس له عين ترى ، وقلب يحس ، واذن تسترق ، وعقل يحلم ، والذي لا يصغي لسمع صراخ نفسه ، وعويل قلبه فهيهات ان يرتقي قمة الفن . فكم من افاء طريف حطم وسحق بعدما قال سيلي بريدوم قصيدته « الاناء المشعوث » ... وكم بين النساء مثل شولمية سليمان السمراء ، فاطورة الكروم ... وما اكثر اصحاب الزهريات والربيعيات بيد انهم لم يتحدوا باقائهم الطبيعة كالشاعر المتشائم ابن الرومي . حقاً ان في الكلام عقداً ورقى ، وليس بضخامة تأليفه 'يقوم' الشاعر . فقد تخلده اسطر ولا يخلد بالف قصيدة كلها اثرثة وهذيان محوم . فشهرة صمت خير من وأواة دهر ، وقد قال شكسبير : اشعر اني اقل وحدة حين اكون وحدي .

ان الفن قيد الارواح والدهور ، فلولا الذي تركه الجود من فن خلفهم ما عرفنا انهم مروا من هنا في طريقهم الى الابد . والشعر

والتصوير توأمان مدادهما الفاظ واصباغ . تتوكل الشمس عند المغيب
مشاهد والواناً فتانة ، والفنان الجبار يلتقط تلك المشاهد ويقيدها ،
اما المشهد فيتلاشى ثم يتجدد ، واما القصيدة والصورة فتخلدهما
العبقرية الفنية .

دخل احدهم معمل مصور فأعجبته صورة حمار فساوم المصور
عليها فأغلى ثمنها ، فقال له الرجل : أستري بهذا المبلغ عشرة حمير ،
فأجابه المصور : الحمير كثيرة ورخيصة ...

اجل ان الفن الرفيع عزيز ندر فلعل لهذا العصر من وده نصيباً
فنضم الى متحفنا الفني طرفاً جديدة . أما اكثر ما نقرأ ونسمع من
الشعر فالنثر الحلي خير منه .

قالت الشاعرة الافرنسية مدام دي نواي :

« متى انحدرت الشهوة المتقدة الى اعماق القلب يتولد المقطع
الجميل ، ويسري الدم في العروق وتسير الكلمات مشتبكة متساندة
هائفة كأنها ذوات افواه متفجرة كالينبوع المتدفق .. »

فهلا نتعلم منها ولا نفجر قوافينا كما فجرها بشار (العربي
القحاح) نبعة نبعة ، رغم انف بشار ، ولا نقول قصيدة كالتي
أنشدها العقاد بعد انقلاب ارقص الناس « بادنى الثغر او اقصى
الصعيد » .

يرحم الله شوقياً وحافظاً فكأننا اذا انشدا اطربا . إن لها من
مقلدات الشعر ما نذكرهما به في مثل ساعة الوفدين وقد انقشعت
عن مصر العزيزة ظلمات الارهاب والارهاق .

كم وددت ان ارى طه حسين ساعة كان يلقي « اميره الفن »

قصيدته في الانقلاب الخطير لاقول له : « دائماً الفرح عندكم
يا دكتور . ولكن حدثاً كهذا يجعل عالي مصر سافلاً ويبعدك الى
منصب لا تصلح الا له . لا بلذ لنا ، نحن العرب ، حدثٌ بلا شاعر ،
ففتش في قابل عن غير صاحبك هذا . »

وبعد فله درّ ظرفاء مصر الذين ردوا على امارة العقاد الشعرية
فأثروا (البرنسا) على الشعراء في حقلة احبوها لهذه الغاية .

٢ - ١٩٣٥

عبّاس محمود العقاد

احسنتم الصبر والعقبي لمن صبروا

نادى البشير ، فقولوا اليوم ، واثمروا

هكذا ينفجر العقاد بعد ان اسكت دهرآ ، وهكذا يخاطب
امة محموعة شاعرٌ أحصى عليه المستبدون أنفاسه ، فلزم بيته خوفاً
من عيونهم . ما زاد في صدر براعة استهلاله على الكلمة الحائرة في
افواه الناس : من صبر ظفر . عفواً ، بلى انه قالها بلغة حلزونية
عودناها شيوخ ادباء مصر في نثرهم الفني ...

اما العجز فهو أدنى الى اللغة العامية منه الى الفصحى ، فما
رأبك يا أخى بـ « قولوا اليوم ؟ » اليست اخت احكوا اليوم ؟ وما
قولك في « اثمروا » بعد « قولوا اليوم » ؟ اما هما بيضاً دجاجة
واحدة ؟ اتقول ان العقاد عندما جعل « اثمروا » قافية فكّر في
امرئ : في مؤتمر الوفدين ، وفي الآية : « ان الملا يأترون بقتلك »
ولكنه هذه المرة اتكل على ذكائنا ولم يحش كما فعل في « وحي
اربعينه » ص ١٥٨ عندما قال :

وارى السّور والجرو الى نمر فيها ، على غير الوصيد

ثم شرح قائلاً : « الوصيد العتبة ، وفي البيت إشارة الى الآية :

وكلهم باسط ذراعيه بالوصيد .

ما كنا لنعني بقصيدة كهذه هي برمتها من الشعر المقيت الغث ،
لو لم تكن للعقاد . والعقاد مجاهد وطني ، مكين المبدأ ، صلب
العقيدة حتى التجبر ، لا يتزعزع يقينه ولا تني همته ، قد ضحى
براحته وصحته على مذبح وطنيته الصادقة . فله العقاد مجاهداً
صامداً للاضطهاد والمضطهدين ! وان لم يحسن التعبير عن عاطفته
شعراً ، فهو لا يعجز عن ادائها نثراً ، ولكنه يحاول أن يقول
الشعر ، وما اراه يفلح ولو عمّر كليد .

وقبل نبش ما في قصيدته من خبايا ، ان كان هنالك شيء من
ذلك ، لا بد من الجهر برأي أعتقد صدقه ؛ وهو أن العقاد أسف
في الشعر « القومي الاجتماعي » منه في غيره من أغراض الشعر .
وآية ذلك مطلع قصيدة قالها في ذكرى الاستقلال السوري ،
سنة ١٩٣٠ (وحي الاربعين ص ١٤٦) .

ربيع الشام أعامر ام خال اليوم عيدك عيد الاستقلال
وهكذا دواليك ...

ما لنا ولهذا ، أودع ذا كما يقول زهير في استطراده ، وعد
بنا الى قصيدة هذا العام . فبعدما يذكر الشاعر كيف انقضت
السنون المرة بيتين مبتذلين لفظاً ومعنى ككل القصيدة ، ثم
كيف احولت أخيراً ، يطلع علينا بهذا البيت الحماسي :

سيهدم الطود من يبغيه معتدياً وليس يهدم من اركانكم حجر
لست محامي الاعشى لاستعدي التاريخ على العقاد الذي مسخ
هذا البيت ، ولكنني استغرب هذه العجلة التي حملت الناظم على

استعمال حرف التنفيس ... فهل هناك من يحاول هدم المقطم
في الغد كما حفرت توعة السويس؟ ثم ما رأي طه « بيبغيه » وكيف
يرى « معتدياً » أعجبته يا ترى؟ ألم يعرض العقاد قصيدته هذه
على من دعا الشعراء لبيعته يوم « النشيد » ولم يفلح؟ أم نهاء طه
عن انشادها ونشرها فما انتهى؟ الله اعلم .
وبييت وسط وطأ العقاد لهذا البيت الجيد ، وهو واحد ابية ،
فقال :

الدهر في غيرها هدام أبنية والدهر في شاطئها حارس حذر
أما قول شاعرنا في البيت الذي يليه : كنانة الله كم أوفت على
خطر الخ ... فكنانة الله تعبير شائخ بائخ ، وأشهد انني فتشت
القصيدة كلها فلم أقع على تعبير جديد ، ومعنى يصح السكوت عليه
- كما قال النحاة في تحديد الكلام ، بلى وقعت على الفاظ عجواء
محصرمة وتوطئات للقوافي كما كان يفعل أبو تمام في صنعته ، ولكن
حبيباً يضع اللفظ موضعه ، ويسهل طريقه ، أما العقاد فيعقددها ..
يناز الشاعر بخلق التعابير والمعاني وهذا محروم منه العقاد ، سبحانه
المعطي ...! ثم يقول :

وكم توالى على ابوابها امم ومصر باقية والشمس والقمر
في هذا البيت اهتزازة شعرية الا انها بليدة ، فإن تذهب مصر
وغير مصر ?? هل اخذ الفاتحون والغزاة جبال لبنان ونهر العاصي؟!
قد يكونون أخذوا من مصر مسلاتها وآثارها ، رحم الله القائل :
أمن سرق الخليفة وهو حي يعفّ عن الملوك مكفنيا
ثم لا يلبث صاحبنا ان يطلع علينا باين واين واين مقلداً بائية

ابي تمام، ولكن بلا روعة ولا قشعريرة ، فذكرني بالنداء اللبناني
العامي القائل : « وين نيرك وين صندك ، وين جرابك للبدار .. »
وأنا في مطاوي هذه الابيات بالزبانية الفتاة الشرر ، الفاظ
يابسة كالموميا لم تصور لنا شيئاً حتى استغربت كيف يكون
شاعر بلا خيلة .

ومضى يسب ويشتم فتكرمت الفاظ دارت على لسان قلبه ،
ووسعها بحر البسيط ، والبسيط بحر يتسع لتتالي الالفاظ فأجاد
وابدع في شتمه لا في نظمه حتى أسمعنا :

قالو انتخاب ، فقلنا ، اي نعم صدقوا .

هو انتخاب لمن خانوا ومن غدروا
حقاً ان زهيراً لم يوفق في حويلاته الى مثل هذه « اي نعم » ،
بل لم يوفق إلى مثلها إلا ابو فراس بقوله :

الشعر ديوان العرب ايضاً وعنوان الادب
فايضاً ابي فراس ، وإي نعم العقاد يتجاوزان ملاءة الحسن ..
ثم اخذ يعدد اشياء جمّة هي بالاخبار المحلية اشبه منها بالشعر
الى ان قال :

لا تدخلوها اذا جئتم بساحتها الا اذا غسلت الفا .. وتعتذر
حقاً انها لتورية لطيفة ... وخصوصاً هذا العطف مبنى ومعنى ...
نحن في غنى عن شرح هذه الفكرة السامية ... هذه الصورة
الشعرية الرائعة النظيفة ... فالعقاد ، والحمد لله من رواد
شعرنا الحديث .

ويمضي الشاعر على سننه ، كما جاء في وحي المتنبي ، ويسير لا

زبغ ولا غرر حتى يسمعنا :

يا فتية النيل هذا النيل مستمع ومصر ناظرة والشرق منتظر
اجل ، ونحن يا مولانا ، رعايالك الشرقيين انتظرنا ان نسمع
شعراً ممن سلم عليه المجاهد مكرم عبيد بالامارة ، فاذا بك تسمعنا
منظومة كلها من عريان الكلام ، كالفتية ابن مالك وارجوزة اليازجي ،
يقول خيراً منها متمرن موهوب لا فنان مثلك يدين بالفن والجمال .
وان آسف لا آسف الا على تصافح صحافيين جليدين - لا اذ كرهما
احتراماً - من اجل منظومة كهذه لا تستحق الاذاعة والنشر
بل الطمر ...

وبينا كنا نقرأ للعقاد وغيره من ادباء مصر نعيهم على الشعراء
المحدثين والمعاصرين تعمدهم الجناس والطباق وما اليهما من الصناعات
اللفظية اذا بهذا الفاضل يطلع علينا بقصيدة كلها من هذه البضاعة .
ما قولكم دام فضلكم وفضله بما يأتي : رجتم انتم العقبي وهم
خسروا ...

وفي التجارب من حق ومن عبر فما لهم ما رعوا حقاً ولا اعتبروا
على الصراحة ان ودت وان نفرت ويستوي بعد من ودوا ومن نفروا
هيهات تحجب عينيها براحتها لو اتقوا نظرة منها لما ستروا
وثروة من ثراها الخ ..

وظل هكذا يقول شعراً حتى اتانا بهذا البيت الذي يتكلم
شيطانه بالهندية :

ووفروا من قواها كل ما وفرت من الضائير في الجلى وما تفر
يظهر ان صاحبنا نسي عند شكسبير وملتون وشلي وغوت

فصاحة المركب ، او انه شاقه ان يقول كالفرزدق :
هما تفلا في في من فمويهما على النابج العاوي اشد رجام
واخيراً جرتب العقاد ان يقول حكمة كالمرحوم شوقي ، وكلاهما
مؤمر علينا ، كما قالت نعم عمر ، فاسمعنا ، لا فض فوه ، ولا عاش
من يشنوه :

وعلموا علمها من ينفعون به سيان في العلم ذو مال ومقتدر
كيف ترى ايها القاريء الكريم هذه الحكمة ، اقال مثلها شاعر
عربي بعد ؟!

وبعد فالعقاد من عشاق الفن ، ولكنه يحسن التحدث عنه نثرا
لا شعراً ، فاسمع رعاك الله :

ويسروا من صناعات الاكفها ومن فنون بها الارواح تزدهر
ما هذا يا استاذ ! هبنا رضينا بازدهار الأرواح أيرضى مؤمر
طه بصناعات الاكف ؟ اضاقت بك الالفاظ الى هذا الحد ؟ كنت
استغنيت عن ذكر الفن والصناعة الذي ابعذك عن فن النظم هذا
البعد ، عفوا نسيت حكمة ثانية ، فاسمعوا :

امانة تلك في اعناقكم عظمت وبالامانة فليعظم من اقتدروا
الشعرا يا اميرنا يجب ان ينزه ، في مثل هذه المواقف ، عن مثل
هذه التعابير... اأنت تحمل سلاماً لغائب حتى تتكلم كعجائز لبنان :
امانة في رقيبك سلم على فلان ...

واليكم بيتا ابداع فيه من حيث الفاظه المنتقاة !
وفي اسمه «المصطفى» معنى زعامته معنى من الخير والتخير مختصر
الاتون كيف ان العقاد كرر في عجز البيت حروفاً تنافرت

ومر بها ، ثم لم يحس شيئاً ... انني اتوسل اليه ان يراجع هذا البيت
عله يهتدي الى ما رمزت اليه فيصلح العطار ما افسد الدهر . هذا
اذا شاء ان يضم هذه القصيدة الى ديوانه الجديد .
ويلي هذا البيت قوله :

كفى بذلك عنواناً على وطن يدين بالثقة الكبرى ... ويفتكر
فهذه « الكبرى » تعبير ابتدعه ابو تمام فيما ابدع فقال :
بصرت بالراحة الكبرى فلم ترها تنال الا على جسر من التعب
فاخذه شوقي رحمه الله بالحرف الواحد ، وقال بيت ابي تمام في
شطر هو : اعدت الراحة الكبرى لمن تعب . وللقاريء الحكم .
اما العقاد فقد لاءم بين الكبرى والثقة فوقاً ، وقد انطوت
قافيته « ويفتكر » على معنى كبير وان نبت لفظاً .

واراد العقاد ان يرد العجز على الصدر مختماً ، كما كان يفعل
البديعيون فما خلص له ذلك وكانت الصنعة في قوله : « واسبشروا
ومروا بالحق واثمروا »

وقصارى الكلام : اعجبني من القصيدة بيت واحد (فقط لاغير)
عليه مسحة الشعر ، وفيه رائحة الخيال الذي هو ملاك الشعر ، واذا
اردت تلخيص رأبي في هذه القصيدة قلت :
اراد العقاد ان يحكي شعراً فحكى ، والاعمال بالنيات .

احمد الصافي النجفي

١

في ثاني نيسان لا في اوله حمل الي صاحب البريد كتاباً على غلافه اسم احمد الصافي النجفي ، فراغني ان يكون « التيار » لانني كنت قرأت في السياسة الاسبوعية ان الشاعر قال لواحد - نسيت اسمه - إن تياره سيجرف الشعراء اجمعين ...

وقفت عند هذا الكتاب وقفة النابغة في دارمية بالعلياء فالسند ، فعنوانه مكتوب بالقلم الكوفي المشجّر فكان كقرص مشبك . ولولا ان هناك عنواناً في قلب هذا ، لما قرأته وبرد قلبي . شكرت ربي لانه الامواج ، فالامواج قد غامشها اما التيار فمن يجاريه ؟ ! .. ثم حالت شؤون هزل اشغالها جدّ دون مطالعة الديوان حتى ذكرت ان للصافي مقاماً بين المعاصرين لا يبعد ان يظنه هو كمقام المتنبي بارض نخلة ... وظللت اروح واجيء حتى خفت ان يموت العام ولا اقول كلمتي فيه ، ولا سيما ان الكتب تتكاثر على الرف فأخذته . لم أطوّر اول صفحة منه حتى عرض لي عارض وكانت التجربة . قلت لنفسي كأنني احدث شخصاً غريباً عني : بأي وجه تقابل عبارة الصافي الكيسة وثناؤه العاطر عليك ؟ قاتل الله النقد ، انه

يسود الوجه . تذكرت التقائي بالصافي قبالة السراي الصغير في بيروت وتعرفني به ، وما أغدق من عبارات اعجاب ، فما كدت أمسك القلم حتى افلته . لا افكر بما اقول في الديوان حتى يتراءى لي شبح الصافي اللذيذ فأتمثل نظراته التأهية البريئة ، فوقف كالعريب في مفرق الطرق ، حائراً .

وبقيت هكذا زمناً حتى قالت لي نفسي : ما تراه يكون لو ضحيت باخلاصك للفن والشاعر ؟ ثم ما قيمة هذه العاطفة السامية .. وهي سكوت ونوم ؟ أتباع بفلس لو نادوا عليها في أسواق الادب ؟ ولماذا اهدى اليك الشاعر ديوانه ؟ اليس لتقول كلمة فيه ؟ فتنهت اذذاك لعهد قطعه ، يوم كتبت الكلمة الاولى ، فقهرت عاطفتي والقيت قاربي في « امواجه » ، فعسى الا اغضب الصافي كما أغضبت سواه من رفاق واصدقاء وخطاء صبا وشباب .

*

حقاً ان ديوان الصافي امواج فيها من كل شيء . وما أشبهه بليل امريء القيس ...

الصافي بائس حقاً ، وشعره بله المبالغة ، ينم عن بؤسه . ولكن البؤس ، وحده ، لا يعمل الفنان . اما البائس فيعمل شعراً ان كان ذا قريحة كالصافي ، وبين الشعر والفن مسافة لا يجوزها الا من يؤمنون ، ولا يشكّون كالصافي . ان في الشعر فناً يثقف بنيات القرائح ويهذبها .

ومشى القلم رويداً رويداً فأخذت انسى انني عرفت الصافي ، ثم بعدت الشقة بيني وبينه فنسيت كل شيء ، الا ان للصافي ديواناً

اهذه اليّ ، وقد خرج هذا الاثر من يده وصار ملكاً للادب العربي ،
فعلينا ان نصدق صاحبه القول ، كما نصدق النصيحة سواء ، ليعالج
شعره العتيد فيستقيم له الفن والشاعرية ، ولا يحيا شاعراً بلا فن .
وسألت نفسي : أتعرفين يا هذه ، بماذا يجرف الصافي الشعراء
اجمعين ؟ فعيت جواباً . فرحت أتساءل : أبلواضيع ؟ انها وحدها ،
لا تعمل شاعراً ، فقد يكتب ناثر أروع منها وارقص . ابا لنظم ؟
فهو يعترف انه لا يصنع شعره بل يرسله كما خلقتني يا رب . فهو في
الفن على دين الشاعر القائل :

ان المليحة من كانت محاسنها من صنعة الله لا من صنعة البشر
هب الصافي (لامرتين) اما غاب عليه نقاد الفرنجة استسلامه
لفطرته ؟ وهل يظن الصافي ان الاغراض وحدها تجعل الرجل شاعراً
خطيراً ؟ قد تجعله فيلسوفاً اما شاعراً فلا .

فشاعرنا المعري نظام في اكثر لزومياته وان أغرق في حبكها
وتقييدها بالقيود والاعلال . اما شاعريته الفذة ففي نثر « رسالته » .
ما أشبه منظوم فلسفة « لزومياته » ، من بغض انسان وحب
حيوان الا بالفية ابن مالك . ولولا ما فيها من شعور يكاد يتقد
لبوئت منها الشاعرية . والشك ! هل يعمل الشك شاعراً ؟ فكلم من
أناس شكوا حتى قتلوا ، كابن القدوس مثلاً ، ولم يرفعوا الى سرر
الشعراء الكبار لانهم شكوا وقتلوا ليس غير ...

بيد ان هنالك موضعاً آخر لشاعرية المعري هو في شخصيته .
والصافي من هذه الناحية ، شاعر أيضاً لو انه تأنى كالشعراء وهذب
شعره كما هذبوا شعرهم . فحب الحيوان لا يعمل شاعراً ، اذا لم

يتكلم الشاعر والحيوان معاً بلغة الشعر ، اذا لم يجسد الشاعر معانيه
الطريفة بالفاظ تأتلف حتى تكاد تونّ وتطن . فالشعر موسيقى قبل
كل شيء آخر ، والا فالنثر خير منه وابقى . ولو كان ملاك
الشاعرية الكبرى عطفاً على الحيوانات لكانت جمعية الرفق اعظم
شاعرة عالمية . ان ما كان بدعة في زمن فيلسوف الشعراء وشاعر
الفلاسفة صار اليوم مبتذلاً ، والشعر لا يحيا الا بالطرافة .

وبعد فليس للناقد ان يعارض الشاعر في اغراضه ، بل ان ينظر
فيها . وقد فعلنا فرأينا ان العناصر التي تتألف منها شخصية الصافي
في أمواجه ليست جديدة ، فهو لم يكتشف اقليماً جديداً ولكنه
توسّع وتبسط في وصف اقاليم عرفناها فأثانا بشعر هليل النسيج
ولكنه صادق . الصافي شاعر ولكنه لم يحذق فن الشعر بعد ، فما
أحوجه الى ديباجة متينة مشرقة كالتي للرصافي - لو قلّت رواسمها
(الكليشيات) - اما اذا كان يطمح الى شاعرية كالتي للزهاوي
فليسترح ، لقد وصل . إلا ان هذه الشاعرية العتاهية - نسبة الى
ابي العتاهية - لا يعمر منها طويلاً إلا القليل مثل قوله :

يا للشباب المرح التصابي روائح الجنة في الشباب
وهذا قليل بل ندر في شعره الكثير . أما ما كتبه ابو العتاهية
على كسر الجرار للفتيان والغلمان فقد هلك ، كما تهلك الاعشاب
اذا اشتد القيظ ، فلا يبقى الا الزرع يرتقب الحاصدين ليفضّض
مناجلهم .

ان اكثر الذين حدثونا عن الصافي ودلونا على شاعريته لم ينظروا
الى فنه بل عبروا لنا عن تأثرهم باغراضه . فخلعوا على الشاعر جبياً

فضفاضة لا يشبهها شيء غير أعطيات ملوكنا، في ذلك الزمان، اجريت
على الشعراء الوفاً وكرّات، واعطوهم من الجمل اذنه .

قال رنه دوميك الناقد الفرنسي بمعرض كلامه عن جليل
لامتر الناقد الآخر : « كل حكم فني ليس له مقاييس مستقلة عن
شخصيتنا تبطل قيمته متى انسلخ عنا وانفصل ، فلا يكون الا وصفاً
للذة شخصية قد لا يشار كنا بها احد . وقد نرى نحن رأياً آخر اذا
قرأنا ذلك الاثر الادبي مرة أخرى، وذلك لاننا نحن نغير . فمقياس
الفن يجب ان يكون غير التأثر والعاطفة . أما اذا كان النقد هو
ما نتأثر به نحن لا غير ، فتلك هي الفوضى في الادب » .

*

نبشنا الصافي انه لا يعني شعره ، فهل هذا يعفيه ؟ فلشعر لغة
غير لغة النثر لا بد من امثال طريقته لمن يقوله . وان نسال
شعراءنا شيئاً فهو الخلق والابداع ، ليس في الاغراض وفي المعاني
فقط بل في التعابير التي تتغذى من حياتنا الحاضرة ، فنحس بها
كما فعل شعراء العرب في كل طور . ان التعابير الشائخة الهرمة
كالاغصان المكرفحة ، والقضب في اعمال البستاني كمخافة الله في
حكمة الاقدمين ، ولهذا نطلب من هواة التجديد في ادبنا المعاصر ،
تعابير حية لصور ومعانٍ حية .

ولم لا يكون للشعر لغة خاصة ما زال للسهرات اثواب ،
وللمراقص لبوس ؟ فهل من يلومنا اذا اوغرنا الى اخينا الصافي بان
لا يدخل ديوان العرب ببذله هذه .. ؟ فاي عذر لحسنا ، ونحن لم
نستعجلها ، حتى تدخل علينا منبوثة الشعر ، دسما الثياب ، تفوح

من اردانها رائحة المطبخ ؟ !

فالادب لا يثبت إلا إذا استقام له أسلوب وتعبير رائعان بعيدان
عن التقليد والابتذال ، تستقر بهما العاطفة الانسانية بجانب العقل
الرشيد . اذا كان اللماس يشمن ويسدس ويخرط ليفوي ويفري ،
ثم ينحت ويصقل حتى يكو كعب فكيف بالشعر ؟ هب المعنى الماساً ،
فمن رأى رجلاً تحلى بالماسه فصرّها في طرف منديله ؟ انه يجعل لها
ظرفاً من الذهب الابريز ويغالي في زر كشته . ثم من رأى زهرة
بلا كم ؟ هب المعنى عبيراً فهو لا يطيب لنا محبوساً في قارورة كما
نشاقه ابتسامة في فم الزهرة .

فلا يتوهمن احد اننا ندعو الى جمال التعبير على حد قول الناظم :
وما مثله الا كفافع حمص خلي من المعنى ولكن يفرقع
فما هذا غرضنا ، اننا لا نبتغي الا معنى طريفاً في قالب ظريف
تتحد فيه كل الفنون الجميلة ، فالموسيقى والتصوير والمثالة والعمارة
كلها من اعمال الشاعر ، وان ظن انه لا يتكلف شيئاً منها . ياله
حملاً ثقيلاً يلقيه الفن على ظهره ، فكم يجب ان يكون قوياً !

اجل يجب ان نحس الموسيقى والتصوير والمثالة والعمارة في
قصائد الشعراء ، والا فهي كلمات مرصوفة لم ينفخ فيها الفن من
روحه . الاثر الادبي تصوير قوامه الشعور وتوافق الاحاط
وموسيقاها ، والشاعر بناء استاذيهم بالتآلف الفني بين بنياته
حجراً حجراً ومدماً كماً ، ثم البناء بجملته . ومثال حاذق
ترقص الحياة تحت ضربات ازميله وتشرّب كلما رفع مطرقته .

ان مهمة الكتاب وخصوصاً الشعراء شاقة جداً ، ولهذا لم أتعجب

حين قرأت في مجلة « الطليعة » كلمة كاتب افرنسي هذا ملخصها :
نحن الكتاب اقل الفنانين عملاً ، فالمصور والمثال يصرفان نهارهما في
معملهما ، اما الكاتب فلا يجلس الى مكتبه الا هنيهة ، بعد ان يحوم
حوله ساعات ولا يقع .

تلك حقيقة لا تجحد ، فالكاتب كسالى والشعراء عجالى .
نتوهم ، كلما سودنا ورقة ، اننا نسطر وحياً بلا جبريل ، ونخضع
لمشيئتنا الالهية والانسانية ، الف سطنائيل ... ولا يجرؤنا على هذا
الا قلة النقد : بالمعنيين .

وعندي ان ادبنا هذا لا يهتدي الصراط المستقيم ما لم نقيم عليه
وصاية نقد صارمة ، فنحن اليها في الادب احوج . السياسة عرّض اما
الادب فجوهر ، والاديب الحق المخلص لبشريته يخلق امة ، إن لم
يكن الان فغداً . ومن يعترف بكفاءة وجدارة امة ليس لها ادب
صحيح ؟ ألم نر الامم تشهر الحروب اليوم باسم العلم والثقافة بدلا
من الدين ؟

نحن في حاجة الى اقلام لا تراعي في المنام خليلا ، واول
واجباتها تقدير الموهوبين كالصافي مثلاً ، ليبسّعوا مبنى ومعنى .
وهناك واجب آخر اقدس وهو الدفاع عن الادب ضد الدجالين
المغرورين ، فأي سوق بلا مراقب ؟ ان سوق الحضرة له شيخ ...
وقبل ان نكون فنانين وكتابا يجب ان نكون رجالا - كما
قال برونيتير - اما الرجل والشاعر فوجدناهما في صاحب الامواج ،
فعسى ان يقذف تياره الى شط العرب درر الشعر الحالد ، ونرى
فيه الشاعر والفنان معاً . الشاعر الفنان من يقطع المسلك الوعر

ويشتق طريقه في الغابة العذراء ، اما من يسلك السكك ويمشي
القافلة فلا رأي لي فيه ، فليسم نفسه ما شاء .

« لا يكفي ان نقول شعراً - والكلام لـ « فاعيه » عن
لامرتين - بندر الحصول عليه من عمل السجية والقريحة ، بل يجب
ان نقول شعراً من عمل الفنان » لا من وحي الجن كما اعتقد
المرحومون اجدادنا وغيرهم من شعراء الشعوب . وبكلمة اوضح
يجب ان تقترن القريحة بالفن لتلد الشاعر . ويمكن الصافي ان يكون
شيئاً من هذا ولا يكلفه الا ان يعرج على منسج دمشقي ويقف
متأملاً ...

لا بأس على الشاعر ان يكون كجواد امريء القيس حين يقيد
او ابد موضوعه ، اما اذا بلغ العمل التهذيب فليستعن بالصبر والاناة ،
بل فليكن ابلد ستة الشاعر جميعاً ...

اما جمال الشعر فجمال داخلي ، جمال نفسي ، يشع من الالفاظ
كالخمرة في كأس بلورية ، فتتحد الالفاظ بالمعاني اتحاداً كلياً فتصير
كخمرة صاحب بن عباد وانائها . ومن هذا الجمال الذي لا تحيط
بوصفه السك والكيف يأتيه السناء الفائق كالذي يلوح في « المحيا »
الساحر « بارقاً » لو رآه الاخطل الصغير لما أرسل دمه فقط ...
وليقبل الريحاني ما شاء .

قلنا في الفصل السابق ان الصافي توسع في اغراض قديمة - ومن شاء فليسم هذا تجديداً - فضعف تعبيره وتشوش عليه التركيب . وقد ادرك هذا قبلنا احد النقاد الافرنسيين - اظنه برونتيير - فقال : « ان التجديد يتعب الفنان ويعجزه » . فكما ان المثال لا يستطيع ان يصير الصخرة من الروائع بضربة واحدة كذلك لا يقدر الشاعر ان يبدع في اسلوب ما لم يتأن كثيراً . الى هذا أعزو ضعف التركيب في شعر الصافي . فالاسلوب القصصي الذي يتعمده تعوزه تعابير جديدة وأنماط حديثة ، وقوالب طريفة ، يصوغها من معدن الكلمة ، فهو لا يحتاج فقط الى كلمات يبحث عنها الشاعر ويضعها حيث استرخى شعره فيشتد ، بل يحتاج ايضاً الى الفاظ سائرة لا يغني عنها غيرها ، ولا يتم المعنى الا بها . واللفظ السهل لا يشتد ولا تأتلف الحانه الا اذا كان قائله كالبحثري او كالأعشى حين قال بلسان السؤال :

فشك غير طويل ، ثم قال له اقتل أسيرك اني مانع جاري
فهل رأيت لفظه غريبة او شديدة ، فمن اين جاء الشعر هذا
الاسر ؟ هذا هو سر الأدب الرفيع . ومن هذا المنفذ تتسرب
الركاكة الى شعر الصافي كما يلج المكروب جسماً غير منيع . ويفضح

هذا العيب فيه تقارب اغراضه وتمائلها ، فيبدو لك من بعيد كالعنزة البلقاء ، ففي تنوع الاغراض ستره الشعراء .

اقرأ قصيدة الصافي « الليل والنجوم » التي مهد لها الزهاوي فقال لنا : « انه اكتشف نجما جديداً .. » ففي هذه القصيدة ترى ديباجة رصينة بل عبارات الفتها وتعودتها ، فمن اين هذا ؟ إنه أتى من تقليد الصافي للمتقدمين في المعاني والصور ، فتوفر على تعبيرهم ، واثاك « برواسمهم » التي يجترها كل شاعر فقال لك : بحر الفسق ، ونبل الحدق ، ورث الجبل وخلق ، ونهر المجرة انبتق ، وفحمة الليل ، وقرن الشمس ، وعمود الفجر ، وقدرح الزند ، والفرقدان صاحبان ، والافق درع ، وأحمر قان ، وابيض يقق ... وهلم جرا من هذه البضاعة التي كبّلت وتكبّل الفكر العربي .

ليس يضير الصافي قولنا إن اغراضه غير جديدة ، فأمثاله كثيرون ، وحسبه هذا التوسع لولا الذي فيه من رخاوة . فالفكرة لا تنمو في الزاوية التي ولدت فيها ، بل تتجاوز حدود القرية وتخوم البلدان وتهاجر كالناس ، ولكن بلا جواز ... فدولة الادب لا قنصل فيها ولا سفراء للتأشير ، وكل فكرة « مرغوب فيها » لا تبعد ولا تنفى بل تتطور وتتكيف وتثري من هجرتها . وهكذا تتلاقح الادمغة الحُصبة وتتوالد ، كما رأينا بين الفرد دافيني وسعيد عقل في بنت يفتاح ... فلا يخش الصافي ان يصير جديداً بلا احفاد ، كما قال ، فالافكار تتناسل وتحيا وتبقى ، واخذها اصلها .

واذا قلنا : ان هذا تأثر بذاك ، فلا نعي ان هذا الزواج المبارك يعقب ، دائماً ، بنين صالحين من ابناء السلامة ... فالمعري

ودانتى واغوسطينوس ، ومن لف لفهم تأثروا برؤيا يوحنا حين
حدثونا عن نعيمهم وجحيمهم . اما اولئك النخاسون الذين يسرقون
اولاد الناس بشحمهم ولحمهم ويدمون آذانهم - لا عفا الله عن آذانهم
الطويلة - فما هم الا قرصان بحر وصعاليك ليل .

اما الصافي فلا يقفو اثر أحد ، وليس في شقيقته على الحيوان
تقليد للمعري ، كما ان تبرمه بنا نحن البشر ليس كتبرم ذاك .
وإن تمادى فرأى الحيوان خيراً منا فقد قال شاعر قبله :
عوى الذئب فاستأنست بالذئب مذ عوى

وصوت انسان فكدت اطيّر
تلك ساعات سوداء ، أوحى الى الصافي ما قال ، وما اكثر
سويداء المريض . اقرأله من قصيدته « البرغوث العاشق » :
وإن أصل ربوتها أصل في محرابها
الثمها من فرعها لمنتهى كعابها
لتعرف ان عنده ما عند البشر ، اولئك القروود الذين انحطوا
فصاروا ناساً ، كما قال فيهم :

فالقرود يعمل ما توحى فطرته والمرء يعمل ضد العقل والسنن
وهل يعمل الانسان يا أخى بغير فطرته ؟ وهل السنن غير لجام
لها ، فمتى صار الرسن شريعة . . . اقرأ قصيدة البرغوث ترحباً
ساذجاً وغزلاً فطرياً ، لتعلم ان اخانا الصافي غضبان علينا وحدنا
نحن الجنس الحشن ، الثقيل الدم ، وتدرى ايضاً ان شاعرنا تاعس
الجد فيختم « برغوئيته » بقوله :

وان تصدني كفها أمت فدا شبابها

حلو هذا الوفاء... سلمت يا أخي، وعدت بخير من رحلتك المضنية .

لقد صدق العرب : السفر قطعة من العذاب .

والصافي تأثر على كل شيء ، وراض عن كل شيء ، واطمنه
يفتش عما يثور عليه تفتيشاً ، وفق الله سعيه ، ولهذا يصعب علينا
الآن تحديد اتجاهه في أمواجه ، أو نقول من يشبهه ، فهو لا يشبه
إلا أحمد الصافي النجفي ، بل لا يشبه ذاته في قصيدة وأخرى . إني
لعلني يقين أن الصافي يحلل لنا نفسه في مواضيع عديدة ، ولكننا
لم نظفر بعد بصورة واضحة الدلالة بالوانها وخطوطها ، فلا أدري
إذا كانت نفسه معقدة بهذا المقدار فلم يوفق إلى تحليلها . فبدلاً من
أن يرينا الصافي نفسه أرائنا مبادئه ، وما عنده من آلة فجاءت وجوه
بعض صورته مقرفة ... خبرنا عن عواطفه خيراً ، ولم يتغن بها
كالشعراء ، فكالمقرر عندي أنه لم يجد نفسه بعد ، فهو في لبكة
عواد يصلح أوتار عوده المشوشة ، أو كالسديم الذي يدور على ذاته
ليتّم نوره ، فعسى أن نرى كوكباً ساطعاً وشهاباً ثاقباً .

والصافي في أمواجه كطفل يبكي ، فما نحن ندري ولا هو يدري
ما يريد . فينأزاه يحنق على فارة وينصب لها مصيدة إذا به
يطلقها ، والعفو عند القدرة جميل... ثم يزعبه ديك فيتمنى له الذبح
ويشتهي أن يكون له ابن آوى لولا السباح المحيط به ، اسمها
شعراً :

فلو أستطيع كنت له ابن آوى ولكن قد أحاط به سياج
العهد بالشعراء بحبّون الموسيقى والجمال ، والديك موسيقار
جميل فائنة ألوانه ، وشتان ما بين فارة وديك ، ولكن الصافي

مولع بالنقااض . اما ما يبدو لي ، الآن ، من اتجاهه فهو ميله الى الوصف ، وخصوصاً ما يخالف منه العرف ، فيستخرج حكماً وعبراً كشعراء العرب الذين توهموا ، أمس واليوم ، ان الحكمة خالة الشاعر ، ومن لم يقل الحكمة فهو عندهم كمن لم يزر حلب عند اخينا بشارة في متنبئته ... وهذا ما اقصى شعراء كثيرين عن الفن . وبعد ، فليثر الصافي على كل ما تواضع على احترامه البشر الا ديباجة الشعر والفاظه والقواعد النحوية ، فان ازدرأها ازدرى فنه . لم ار له ضرباً في هذا النحو الا فرنسيس مراش الحلبي ، كلاهما حاول التجديد وكلاهما لم يؤد اداء حسناً ، والفرق بينهما ان الصافي لا ينقصه الا الجلد ، اما مراش ففعل ما اطاقه .

اية ضرورة قضت على الصافي ان يقول :

اذا (هجن) الديوك (و صحن) حيناً

فذا طول الظلام له هياج

ثم قوله :

وكم (ضعن) مني في خيالي لذائذ

فلم تبق لي منها ولا لذة الذكرى

ما لنا وللبحثري ، ولكن أنرضى بها غلطاً ، كأني به يريد أن

يتابع عمر بن أبي ربيعة حيث قال :

(رأين) الغواني للشيب لاح بعارضي

فأعرض عني بالحدود النواضر

وكن اذا ابصرني او رأيني

سعين فرقعن الكوى بالمحاجر

فلو قلنا لعمر مغفورة لك خطاياك لاجل هذه الصورة الجميلة ،
أنقول ذلك للصافي وهو لم يخبرنا الا ان الديك يلج في صياحه ...
فما احسب الصافي قد ارتكب هذه الاخطاء الا عمدا ، لانه يجب
الاطفاء كما سترى ، أو أن غرفته تذكره دائماً بلغة « اكلوني
البراغيث »! كفى لغتنا هذا التميع والتعطط في قواعدها والفاظها .
ثم ما أجبره على القول : « فلو باية حيوان تبدلني »؟ وعلى القول :
احشاهما باليات كما (بلت) احشائي

ما لنا ولهذه الاخطاء الان ، أفلا أظفر بتعبير جديد في ديوان
قرآته من الدقة الى الدقة ؟ فبماذا تفوق امرؤ القيس وعمر حتى
قالوا بهما : اول من قيد الاوابد ، واول من حير الدمع وماء
الشباب ؟ الخ ...

ان في الصافي حسناً ولكنه في شعوره لا في شعره ، حسن
جميلة غير مهندمة ، ضاعت معاني جمالها في ثنايا ثوبها المجمد . قلما
نلمس في ديوان الصافي اثرًا للشباب بل للرجولية ، وقد قلت الوانه
حتى الندورة . اما رجولته فتتجلى حتى في أشد حالات بؤسه ، فما
هو ذلك البائس الرخو بل بائس صلد كالرخام تحت مطرقة النحات
وازميله . اما العزمة العربية في شعره فهي كالبرق الذي وصفه
امرؤ القيس ، كالمع البدين في حبي مكمل . والخلاصة ان في الصافي
نخوة الفرس العربي الاصيل مهما هزل ودق . اما حنينه الى الطبيعة
وغضبه على المدن فينبع من نشأته الاولى التي طلقها فصار يرى
نفسه كمنفي ، ولهذا جاء شعره وثيق الاتصال بحياته .

ترى في ديوان الصافي أشباه صور ، فهي لا تستوقفك ولا

تستهويك لان صاحبها لم يحذق ابراز خطوطها ذوات المعاني ولم يجد
تلوينها ، وهو لو فعل لأرانا جمالا . يحاول الصافي اجادة الختم
كأبي نواس وان لم يحسن جمع نفسه في زوره كأسد المتنبي ، ليقفز
ختمه قفزاً ويجز جزءاً . اسمع ما يقول عن التاجر الشامي الذي
خال الصافي أميراً بدوياً ، وهو مار بـدكانه :

ثم القى شباك بشرٍ ولطفٍ فوق وجهي يرجو بها أن يصيدا
هبّ لما مررتُ بالقرب منه قائلًا : ما تريد؟ قلت : «نقودا»
وبوجه عام ينقص شعر الصافي كثير من الدم ، فهو بحاجة الى
كمية وافرة من زيت السمك . اما هو فيرى الشاعرية كلها في
مخالفة الناس ، ولهذا يكتبني بوصف الاشياء دون تشخيصها ، فتبقى
كما هي ، أي أشياء . واذكر انني قرأت له شعراً قال فيه انه يريد
ان يقول شعراً منطق الطير لفظه ، فيا حبذا ، وعسى أن يكون
أعذب الطيور ترتيباً ، ومن يؤت هذا فقد أوتي شيئاً كثيراً ...

نحا الصافي في ذكر قبحة نحو عنقوة ، ولكن الشاعر الجاهلي
كان أبرع جداً فاستغل سواده حتى لم يبق غذاء في ذلك السواد الا
امتصه ، فأخرج الصور الرائعة مبني ومعنى . واييات عنقوة
مشهورة . واذكر شاعراً آخر ، أسود ايضاً ، هو محمد امام العبد
المصري ، قد أخرج صورة رائعة لسواده حين قال يعتذر عن
عزوبته :

أنا ليل وكل حسناء شمس فاجتماعي بها من المستحيل
وقد حلل ايضاً عنقوة نفسية جواده - ولم يتعلم علم فرويد -
كسلامه موسى الذي طلع علينا مؤخراً بسادية المتنبي - فاجاد بقوله :

فازور من وقع القنا بلبانه وشكا اليّ بعبرة وتحمحم
كما حلل الصافي نفسية بعض القطط والكلاب والفار، ففي قوله :
« فضحونا حتى أمام الكلاب ! » ختام رائع وسخر لاذع ذكراني
بقصيدة لأسعد رستم الشاعر الظريف ختمها بما معناه : إن هز أذئاب
الكلاب أصدق من هز أيدي البشر .

وأرى الصافي يبائع جداً في وصف « غرفة شاعر » وغيرها .
يرشدني الى هذا الحكم تغنيته بقبحه . أنا لم أر فيه جمالا ولكني
ما رأيت قبحاً كالذي يصف ، فلا قبح ولا دمامة ولا عاهة - خلقة
كاملة ، نعمة زائدة - كما يقول المثل . هذا اذا لم أكن مبتلى بخداع
النظر يوم لقيته ، او جعلت وجهي مقياساً للجمال الرائع ...
ذكرتني قصيدته « غرفة شاعر » بقصيدة ابن الاعمى في ذم دار
سكنها ، والشاعر ان بالغاً جداً . لو كان في غرفة الصافي قيراط بما
وصف لأكلته تلك الحشرات ، فالمومياء لا تسلم من تلك الفئران
والجرذان . واذا كان الشاعر ينام حقاً في « اوضة » كالتي وصف
فقد ظلمناه في تلمسنا الفن عنده وتطلبه منه . اليك ما يقوله في
مفرشه وغطائه :

صارا ثمينين لما	صارا من القدماء
احشاهما باليات	كما (بلت) احشائي
حتى كأنني شلو	أنام في اشلاء

وما زالا من جيل نوح فاعجب كيف اجتاز بها الحدود ... !
وأشك أن في دمشق بلدية ...

١٢ - ١٩٣٥

ان شعر الصافي يشتد في القصائد القصيرة الوزن، وتقل فيه :
 قد ، والكل ، وكل ، والغير ، وذا ، والبعض ، ووجود ، وما
 اليها ، من الالفاظ التي يحشو بها شعره ليستقيم الوزن . قابل اذا
 شئت ، قصيدة « البرغوث » « وسراجي » ، و « الوحدة » ،
 و « البدر في الهالة » ، و « الى العميد » ، بغيرها من قصائد الصافي
 الطويلة الوزن .

ويشتد شعر الصافي أكثر في المواضع العتيقة ، قلباً وقالباً ،
 كالليل ، والنجوم ، وقد اشرنا اليها ، والهواجس الشائنة ، وبين
 الفرس والعرب ، ووصف الشاي ، فيكاد يسلم من حوشي الكلام ،
 وتلك الطفيليات . والصافي لا يتحاشى تسكين المتحرك - قاتل الله
 من جوزه للشعراء - فيسكن الحيوان ، والحسن ، والنهم ،
 فيزحف شعره سلحفاة ، والشعر يحمل أن يكون فراشة . فاذا
 صحت ان للمحيط تأثيراً بالشاعر ، وهذا لا شك فيه ، فخطيئة الصافي
 في رقبة تلك الغرفة . فالذي يأوي الى مثلها لا يبالي بتكررس
 الفاظه وتدريبها ...

ورب قائل قال : قد فرغ الصافي مما تستجهد فيه ، اما قال في
 مقدمة أمواجه :

واسكن كوخاً ما به أيّ زخرف ولكنه كوخ اقامته لي يدي
فلنا اذا كانت البلديات تهدم مثل هذه الاكواخ وتحرقها ،
وتسهر على هندسة الشوارع وتخطيطها ، فأحر بنا ، نحن ، أن نفعل
مثل هذا للمدينة الخالدة .. وكيف نرضى للصافي بكوخ وهو يقدر
على تشييد قصر لو تجلد ؟ فلو لم يكن الصافي شاعراً سليقياً لما أعرفنا
ديوانه هذا الاهتمام . فالنفس نفس شاعر ، اما التعبير فكذب
البحثوي ما فيه إلا العظم والروح والجلد . ومن يكفل لنا ان
الصافي لم يقل هذا إتضاعاً كدي موسى ؟ فالشعراء كالنساك في
السننهم تواضع عميق .

أما بؤس الصافي فتلمسه في قصيدته « ما اسم هذا اليوم » لا في
« غرفة شاعر » ، ولا « في الوحدة » ، ولا في « الحنين الى الطبيعة »
حيث يقول :

طبيعة الكون في خلقي لقد غلظت فلو بأية (حيوان) تبدلني
هل جئت دهري هذا في أواخره أم انني في وجودي سابق زمني
أما أنا فاظن الامرين : الزمان آخر والصافي سابق . اما الحقيقة
فعند صبي المعري الحبيث .. ثم ما لي ولهذا الجهد فحديث الشاعر
من باب تجاهل العارف ، وتلك شكوى الشعراء من « أهيل »
زمانهم فلا حول ولا قوة ...

ويتم الصافي يذكرني « بأمّ ينم » الرصافي ذات الديباجة
البحثرية . اما كيف انشقت الارض وبلعت شاعرية الرصافي فهذا
ما يحيرني ...

تلصص الرصافي من قال ، وقالت وتقول ، ويقول ، وتعثر

الصافي يقول ويقول ، وكأنه شعر بثقلها فاراد ان يتخلص منها
فجاءنا بتدعو ودعاء ، فكانت أثقل وأشنع كما ترى :

فيقول ابن ابي (فتدعو) غائب فيقول غاب اما له من مرجع
ولربما وجد الحنان من امرى . (فدعاء) انت ابي وكنت مضياً
اما صرخة الصافي في ختام « يتيمه » فموجعة حقاً ، لانها
منبعثة من كبد مقروحة ذاق مرارة اليتيم :

ليت الصغار جميعهم لم يعرفوا آباءهم وربوا معاً في موضع
كيلا يصيب اليتيم بعضاً منهم فيعيش عيشة بائس متسكع
وما اوقع الصافي في تلك الورطة الا تبسطه في الغث والسمين ،
وتفصيله كل حركة كأنه يصف حفلة لجريدة : اقرأ « اليتيم » « وانا
والدجاج » و« الشاعر والفار » و« الشاعر والقط » ، فتوى ان
الكلام لم يَنْقَدْ له في القصص الا في « بين شاعر وصاحب فندق »
التي اجاد الريجاني حلها في « قلب العراق » فأخرجها فكهة رشيقة
ككل ما يكتبه الريجاني في هذه الاغراض :

فبينما تراه يقول ويبدع :

ان رمت في الدهر ان تحيا فكن خشناً

فمنخل الدهر لا يبقى سوى الحسن

يعدو الزمان فمن لم يعد مستبقاً

امامه سحقته ارجل الزمن

اذا به يسف ويورك شعره حين يقول :

ما ارى المجلس الا حاكياً صوته عن مجلس منعكس

ضم آلات بسلك ربطت فاذا حرك يوماً ينبس

الا ترى كيف اخبرك ان المجلس كالحاكي ، ثم شرع يفصل
لك كأنه يشرح للتلامذة درس فيزياء...؟ فهو لا يوجز ولا يرمز، ولا
يثق بفهم الناس . رأيهم لم يقدره قدره فساء ظنه حتى بفهمهم
شعره ، فشرح لهم حتى أملهم ، والمملدوغ يخاف جرة الحبل ...
وفي « خيبة الشعب » يخاطبنا الصافي بلغة « المبهجاة والعتابة »
فيقول :

تالله ما اعظمها من خيبة نحن زرعنا الزرع والغير حصد
اما الزجّال اللبّاني فقد قال ابلغ من هذا الشعر :
يا شجرة البالد دار ناطورك اسد
وتكسروا الاغصان من كثر الحسد
نمنا زرعنا الزرع واجا الغير حصد

يا حسرتي عبّوا القمح بعدالنا
اسمعت الشعر الباكي المؤلم ؟ هذا شاعر يبكي ويبكيننا معه
لانه صادق ، فاين « تالله ما اعظمها من خيبة » التي عصر الصافي
يا فوخه حتى اخرجها ، من قول الزاجل : « يا حسرتي عبّوا القمح
بعدالنا » ... أرايت يا اخي الفصيح ، روعة الشعر العامي ؟ فهذا
المتاف يا حسرتي ، وهذه الصورة الباكية : عبّوا القمح بعدالنا ،
أي حصّدوا زرعه ونقلوا الحنطة في عدله ، فتأمل .

وما قولك يا سيدي الشاعر الكبير ، بالصورة الاولى : « شجرة
في الدار ، وناطور اسد ، واغصان تتكسر من كثرة الحسد » ؟
لا تنس ان الحسد يشغل بال القروي جداً حتى على عزته وبقرته ..
ومتى عرفت ان هذا القوال لا يعني بالشجرة غير حبيبته التي

انتزعت منه ، فلا شك ، انك ستشابعني وترغم زعمي ان هذين
البيتين من الشعر الحي ، فكل لفظة تبوح بمعناها وتخبو عن لوعة
صاحبها ، حتى تكاد تشخصها لك .

و كأي بالصافي يدرك ان الالفاظ لاتطيعه فيقول لنا :
اهوى المعاني عن ثياب اللفظ تظهر عاريه
فالشعر تحجب نوره الفاظه والقافيه
اذن فليكتب نثرا فيريحنا من النقد! ان الوزن والقافية للفنان
كبؤرة العدسة التي يتجمع فيها النور . أما الصافي فما اكثر
لالفاظه ولا بالى بقوافيه ، فجاءت نافرة شاخصة ، طالعة نازلة ،
مداميك لا يردعها خيط ولا فادن ... واليك شاهداً من قصيدته
« الشاعر والقط » التي بلغناها الآن :

و كنت مكابدا خجلا لطردي قطيماً قط لم يذنب ويجني
حيائي من القطيط حياء نبل وليس حيائي منهم غير جبن
ففاق حيائي منه على حياهم لذاك ضمته لي ضم خدن
فهل هو شاعر القطط التقى بي فالف بينه طبع و (بيني)
ايبغي انت ينافسني بشعري ونظرته عن الاشعار تغني
حقاً انها منافسة غريبة قريبة ... ارايت مرة اخرى ماذا يفعل
« التفصيل » بأخينا الصافي؟ وهل من بأس علينا اذا تساءلنا هنا عما
تراء بورث الصافي شاعر القطط حتى يقول له :

و كنت اود لو تغدولي ابنا أورثه اذا صح التبني
لقد صح هذا يا اخي في اميركا واوروبا فورث القطط خيرات
كثيرة .. وما يمنعك من هذا فالوصية معمول بها عندنا فوص

لقطك ما شئت ... وان تستشري في قلتي لك : ورثته غرفة شاعر ،
اليس هو شاعر الققط ايضاً ؟

اما « الليل والهيم » فاعجبتني مبني ومعنى ، ففيها أثر الحبال
الذي فتشت عنه ولم اجده في شعر الصافي ، اسمع وصف همة :
والهم مجنون تراه هادئاً صبعاً ، وان جاء الدجى تهيجاً
وبعد ان يصف جنون « همة » المطبق ، وما كان بينهما من
طعن وضرب ، وكرّ ونزال ، حتى استحال الصلح ، قال لنا
الصافي :

لو كان همي عاقلاً أقنعتني لكنني قابلت همّاً اهوجاً
ويلى عليك يا اخي ! ما اجمل بيتك ، وما اروع همك الالهوج ،
وآه من (قابلت) ! ليتك تأنيت وجئتنا باحسن منها ، فلولاها
لقلت لك : انت اشعر العرب يا ابن اخي ، وترجمنا كلانا على
النابعة .

وظل الصافي يتصارع وهمه حتى مطلع الفجر ، واخيراً
قال لنا :

فرّ وألقاني صريعاً بعده وقال القاك اذا الليل سبجا
قد ذكرني صراع الصافي وهمه بصراع يعقوب مع الرب كما
خبرتنا التوراة ، وحمدت الله على ان الصافي لم يفك جنبه كيعقوب
اسرائيل الذي أورث البشرية « عرق النساء » .

وفي « غناء السواقي » ومضة صوفية ، وفي أبيات غيرها يقترح
الصافي تسمية الشوارع بالاخلاق بدلا من الرجال . هب اننا يا استاذ
سمينا شارعاً باسم العفة وكان كشارع المتنبى في بيروت فماذا تعمل ؟

واخيراً يرينا الصافي التناقض الذي يتعشقه في صفحتين متقابلتين
١٣٠ و ١٣١ فيقول :

أهوى الكلام من الشعور مجرداً إن الشعور قبوره الالفاظ
ثم يقول :

اللفظ قشر وفيه لبّ المعاني يقرّ
كلاهما مستحق ان يعتني (فيه) فكر
فاللب يفنى سريعاً إن لم يحط فيه قشر
وأخيراً يصارحنا الصافي بما في نفسه فيقول لنا :

لي في الشعر عالم مستقل انا فيه فرد بدون خلاف
لم اشرك غيري لأني كربي واحد لا نظير لي في القوافي
صدق الله العظيم ، الشعراء في كل واد يهيمون . وكأني أرى
بشارة الحوري يغضب غضبه المضربة حين يسمع هذين البيتين فينتصب
وينشد :

ومعشر حاولوا هدمي ولو ذكروا

لكان اكثر ما يبنون من ادبي
أما نحن فنترك الصافي وبشارة يتناحران على من هو شاعر
السماء والارض ، ونغضي في طريقنا عجالى لنرى ما عند الصافي بعد.
ها قد وصلنا . فهو يحدثنا عن نفسه بصورة اخرى فيقول :

كأني من الأخطاء طيني مركب فما أصلح الاخطاء إلا باخطاء
وقد فعل هذا حقاً في قصيدة « الطفلة السائلة » بقوله ص ٥٨ :

هل تستطيع العيش من عمل وسنونها لم تبلغ العشرا
فأصلحها في (التصحيح) وسنيتها ، وظلت خطأ .. ولا اعتبار

لما ذكره ابن عقيل فذاك سماعي ، وكان على الصافي ايضاً أن يحذف
الباء من « كافي » .

وفي آخر ديوان الصافي ثنائيات ورباعيات وخماسيات يجمعها
عنوان « أنغام مشوشة » ، وهي كذلك . نظم فيها الصافي كل شاردة
وواردة شعراً ، وهذه مصيبة . وقد لاحظت هذه القطع فرأيت ان
اياتها الاولى تسخر كلها للبيت الاخير فتبدو سحفتها كالحة كوجه
الاجير عند الصباح .

وفي خاتمة الامواج يشعروا الصافي في نظمه :

وجمال الاشعار في ان تبين الروح والسر في البيان الفصيح
وكجهم يسعى لتكسير مرآة مداوي الاشعار بالتصحيح
إنما الشعر مثل قذف البراكين ومثل الشكوى من التبريح
أعيدون قذف طاغي البراكين لترتيبها بشكل ملبح
إذن هو في واد ونحن في واد ، هدينا وإياه . أما ما قرأت له
أخيراً في غير الامواج فيثبت لي أن الايام وبممارسة النظم ستعدل
الصافي من حيث لا يدري .

أمد الله بعمره وأراحه من غرفته وهمه الاهوج ، وحسبه من
التجديد انه لم يمدح ولم يرث .

وليثق الصافي وغير الصافي ، بمن انتقدت وانتقد ، باخلاصي لهم ،
وانني أتمنى أن يكون العام الجديد أغزر وأجود محصولاً ، فيفيض
التقريظ ، ويقل الانتقاد .

٢٨ - ١٢ - ١٩٣٥

الزهراوي بشارة الخوري شيلي ملاط

انا ان رثيتك لا اقلد او ابالغ في النجيب
لا البدر هاور من ذرا • ولا الطبيعة في شحوب
لكن لحناً للمكا دم نام في الوتر الطروب
يتألمون له اذا افستقدوك في اليوم العصيب
هي دمة جمدت على شفة المرتل والخطيب
تقولا فياض

واعجباً لهذا القمر فكم مرة ينشق ويهوي ، وللشمس كيف
يحترق قلبها حزناً وتكفن وتدفن ، ولا يتألم لهذا الخطب الجسيم
غير الذين يقولون الشعر عربي اللسان - فكل فقيـد عندهم
قمر يجاو الدجى ولو كان عبداً ككافور ، وكل ميت نجم ياتم الهداة
به ولو كان أبشع من بشار ، وكل هـدرة سيف تقطع رقاب
الدواهي وشمس تضي .

وكانني بالدكتور فياض الخطيب الشاعر أحسن بمصيبة الادب

العربي ، وأدرك أن هذا الضرب من الشرصار أكره من طعام لا
تقبله النفس ، وأشأم من احلت املط يصبحك فجر الاثنين ، فقال
للناس في رثائه للمرحوم الدكتور الصليبي :

انا ان رثيتك لا اقلد أو ابالغ في النحيب

لا البدر هارٍ من ذراه ولا الطبيعة في شحوب

حاوٍ هذا القول من شاعر وخطيب تعرفه المناير ، فاتفق به ،
اللهم ، ابطال معارك الرثاء والمديح فيتعضوا ويقلعوا عن تلك
للصور السمجة ، والتعابير التي ينظمونها كما يصف الصبيان
الكعاب . ان لحن المكارم الذي نام في الوتر الطروب ، والدمعة
التي جمدت على شفة المرتل والخطيب ، تساوي الف شمس تكسف ،
ومليون قمر يخسف ، ومليار سيف يسقط بعد طول الضراب ،
وغيرها من معجزات النواحين التي تضحك الامم فوق نعش
وجيدها .

ظن بعضهم اننا تنشقى بهذه الكلمات التي تذيبها صوت الاحرار
وخالوا اننا نحاول الخط من قدر النوابع والعبقريين حتى استجملونا
وعدوا ما نكتبه تحاملا على امراء الادب ، وتمجما على الشعراء
العظام . الله ، الله ! كيف يفوت هؤلاء الاذكياء النبهاء ان الادب
لا يصلح إلا بنقد لا هوادة فيه ؟ فعلى المريض أن يقبل العلاج المر ،
وان يصبر على مبضع يشرط جلده ليستأصل الدمة قبل أن تستشري ،
وتنسي آكلة تسرح وترعى .

ان رسائل السب التي يشرفوننا بها ويفكهننا بتلاوتها كثيرة
جدا ، وخصوصا في هذه الايام ، فالحديدة حامية . اما ما انطوت عليه

تلك الرسائل فكما بصّرتني نورية عبقرية ... ناس يحبوني وناس
يسبوني ... واني ، علم الله ، لأقرأ السبّ كأنه الثناء ، فلا هذا
بمضيي ولا ذاك يثنيي ، ما دمت لا ارى الا كما قال ابو الطيب :
وذكر (شعر) ومحصولي على كلم .

ليطمنن اصحاب تلك الرسائل فما ضاع ثمن طابع البريد ...
فسنعلن رسائلهم العاطرة بكل ما فيها من مسك ينم عن اخلاقهم
الذكية ، وسوف نتمتع جهاراً بتلك الالقاب السابغة : كصاحب
الاذن الطويلة ، والذنب الاعقف وهلم جرا ...

*

ان محصول شباط كان هواء وعواصف هوجاء ، فلا بد من
عودة الى كانون . كان من مواد هذا الفصل قصيدة « سليل
القرد » للزهاوي ، رحمه الله ، فطواه الموت مأسوفاً عليه ، وطوبنا
نحن كلمتنا في قصيدته هذه ، رجاء ان نقول فيه يوماً كلمة أعم
وارفى . فتفكير الزهاوي يستحق الدرس ، وهو شاعر - على
قلة حظه من النظم - سار الى غاية ، وشمّر لغرض .

مات كبلنغ شاعر الامبراطورية الانكليزية منذ اسابيع فقالت
الصحف الكبرى الاوروبية : انكلترا بين حدادين ، فاستوى عندها
الشاعر والامبراطور العظيم . أفلا يعذرنا اللائون اذا نشدنا شاعراً
كنصف كبلنغ ؟ ولماذا لا يكون لنا هذا الشاعر لو قلع شعراؤنا
طيلسان ابن حرب ، وخلعوا مداس ابي القاسم الطنبوري ، ناظرين
الى ما قدامهم لا الى ما خلفهم ، وعافوا مستنقعاتهم فلا ينقّون
بلا شيء كشيوخ محارب ... ولكن من اين يأتيهم الابداع وهم

لا يعرفون ، بل لا يقلدون الا ابا الطيب وابا تمام والبحري
وابا نواس ويشنون الغارة حتى على شوقي ؟ كيف يكون لنا شعراء
كبار حقاً ، في عصر نأثر على كل شيء ، وشعراؤنا يجومون كالرخم
في جو ضيق ، بأجنحة قصيرة القوادم ، ممعولة الخوافي ، كالدجاجة
في كانون ؟ بل كيف 'يخلق' منهم الشاعر المنشود ومثلهم الاعلى
ارضاء العوام ، لا الشعور والفن ؟

ان هؤلاء الشعراء ، شعراء الظل ، كمن يأكل ثروته في حياته ،
ولا يبقى لذريته شيئاً . فلن يكون حظهم من ملكوت الادب
اكثر من غني المسيح الذي قال له الانجيل : تذكر يا هذا ، انك
أكلت خيراتك في حياتك ولعازار في بلایاه ...

كيف يخلق عندنا هذا الشاعر ولا تطوّر في تفكيرنا وتعبيرنا
وصورنا ومقاييسنا - نسمح بالخطوة والقصة ، ونكيل بالصاع
والاردب ، ونقيس بالشبر والباع والقامة ، فقليل من المهم يكشف
لنا خبايا هذا الشعر لاننا نقرأه منذ اجيال . معانٍ مبتذلة وصور
مضحكة مبكية ، وفخر صفيق . فلو أهدى الينا هؤلاء الشعراء كما
قال رمي غورمون في بعض شعراء جيله : « سلات حافلة بازهار
طريفة معقمة بطفيليات كهرياء فارغة » ، لهان علينا الامر ، ولكننا
لا نظفر الا بالشوك من هذا العليق ...

فلنا لا بد من رجعة الى كانون فما نظمه الشاعران شبلي ملاط
وبشارة الحوري اذيع فيه ، ما خلا ابياتاً شباطية لبشارة ستقراها .
اما الآن فسنعالج قصيدته في الزعيم الكبير ابراهيم هنانو .
جعل الاستاذ بشارة الزعيم المندوب سيفاً يسقط بعد طول

الضراب ، و ابراهيم هنانو سيف اي سيف ، ولكن شاعرنا اغرب
جداً فيما بعد . فاقام لهذا السيف الكريم مأتماً في الحدود للادمع
الحمراء ، وجعلها كبقايا جيش كسيح من الشهب ترمى الشهاب اثر
الشهاب ... من منا يستغرب تشبيه الدموع بالنيازك ؟ فالدموع
عندما تتدحرج وتتدهور في الحدود تمثل اصدق صورة للنيازك
الهاوية ! وهل في وسعنا غير الايمان بما يقول بشارة ؟ فان لم نؤمن
كفرنا بلاهوته ، وكانت خطيئتنا عظيمة لا يحلها الا رئيس اساقفة
بعد التوبة النصوح والندامة الكاملة ، ووفاء القانون ... وابدع
من هذا ما يقوله الشاعر في هذا الجيش الكسيح ، أي المكسوح
لا المقعد :

يتعثرت تارة بالذي جف وحينما يطفون طفو الحباب
ايحوز لمثلي يا ترى ان يسأل : كيف تتعثر الدموع بالذي جف ؟
لقد ادركت ذلك ، فليسبح لي الاستاذ ان اشرح لقرائه آيته هذه
فهي اعظم من آية يونان .. ان الدموع كماء البحر في الملوحة ،
وماء البحر كما تعلمون ، ايها القراء الالباء ، يصير ملحاً متى تبخر ،
وهكذا رأى الشاعر الدموع تتعثر في حدود الناس بالدموع التي
تجمدت وتبلورت ، وسدت على اخواتها الطريق فيطفون طفو
الحباب .. الم تر في زمانك الى (سكر) مطحنة ؟ .. اني اخشى
ان تدري الحكومة بهذه الملاحظات الجديدة فتحجزها ...

ثم ينتقل بشارة الى الاستفهام الذي ذاب به غراماً ، منذ رثاء
زغلول الى اليوم ، حينما سأل الناس اذا كان زلزل الهرم ، والى
المبالغة التي عشقها ، منذ سقوط عبد الحميد حتى الساعة ، فأوصى قل

الشرق بقوله : « حاذري ان تميدي ... » اما اليوم فتساءل بشارة
اذا كان ماتم الزعيم هنانو طغيان بحر فقال :

اطغى البحر ذو العباب على العرب فلف القصور بالاطناب
لينعم بالاشكسبير . فلئن ارسى المراكب في حلب فاضحك
الناس ، فهذا طوفان جديد قال له الشاعر كن فكان ، فخلق بحرا
ذا عباب يغطي عورة شاعر الانكليز الاعظم فلا يصيبه ما اصاب
نوح ، بعد طوفان التوراة .

وانتقل الشاعر الى الاستفهام عن مشهد أغرب فقال :

ام هو الحشر يوم زلزلت الارض على صوت برقها الصخاب
لا تتعجب ايها القارىء من قوله : يوم زلزلت الارض ، فهو
يحدثك عن الدهر العتيد ، ولكنه جاء بالماضي على حد آية القرآن
الكريم : لو ترى اذ وقفوا على النار . وان تقل : ليس العهد بالبرق
يصخب ، قلنا والقافية يا لبيب ؟ . ثم ما يدريك فقد يكون برقاً
جديداً فكل القصيدة عجائب ، وقد يكون برق الارض غير
برق السماء !

وخاف علينا الشاعر من الموت رعباً فأخذ يهدي روعنا ويؤكد
لنا باعظم الأيمان واغلظها ان القيامة لم تقم ، ولكنه ماتم ابراهيم ،
فاسمع ما يقول :

لا وربي بل ذاك مصرع ابراهيم هز السماء بالارباب
تخينة يا استاذ ، فلا موت المسيح ، ولا موت محمد أحدث شيئاً
من هذا ! أحشفاً وسوء كيلة ؟ كنت استغثت عن هذا القسم

العظيم ، فنحن نصدقك بلا حلف ، ومن من الناس لا يصدق هذا !
فالارض تدور وتهتز ، وقد تكون جنة الخلد كذلك فمن يعلم ؟
ولكن الاتخاف على شوقي الذي جعلته فوق سدره المنتهى أن
يمسه سوء في هذه الدربة ...

وانقض الشاعر ثانية على الاستفهام انقضا الصقر على فريسته .
اني اترك لك وصف استفهامه هذا قال :

سألوا من قضى فقلنا حسام عربي الافعال والانساب
أي سألوا من مات اليوم ، فقلنا حسام ، أي السيف الذي سقط
بعد طول الضراب ، وسبحان الباقي ! أما ما قاله بعد :

بل لواء من الكرامة في الذروة ارث الاحقاب للاحقاب
وكتاب من السماحة والاخلاق صلت عليه أم الكتاب
إن ابراهيم لحقيق بهذا الوصف . فقد كان ، يرحمه الله ، لواء
كرامة في أعلى ذروة ، وكتاب سماحة وأخلاق ، ولكن « صلت
عليه أم الكتاب » قلقة باردة ، بل ليست من الشعر ، فما جرّ
شاعرنا اليها الا قوله في اول البيت « وكتاب » فتذكر أم الكتاب
بمناسبة الدفن .

ويكرر الشاعر على الاستفهام كرة ثالثة ، نجانا الله من الرابعة ،
فيسأل سؤالا لا ادري ماذا اقول فيه ، فيقول :

سأل السيل نفسه ما سيول من افاس سدت علي شعابي
كأنه باكثره من « السين » في هذا البيت ، يريد أن يسمعنا
موسيقى المطر ، لان دفن الفقيد كان في يوم ماطر . أما كم مرة
يستفهم الناس فذلك ما يعرفه الشاعر الملهم وحده . ثم يغرب في

التصور وهو يظن انه يبدع صوراً ومشاهد لم يظفر بمثلها رافائيل ،
فيقول في البيت الذي يلي :

أطرقوا واجبن في الحلل السود كأطياف جنة في ثياب
إنه لمشهد غريب رؤية أطياف من الجن بعد « صلت عليه
أم الكتاب ... » . وكما اضحكني قوله : « في ثياب » . توفعت
حدثاً غريباً قبل ان يقولها ، واذا الخطب هين ، والحمد لله . اذكرني
هذا ما لاحظته بديع الزمان الهمداني في المقامة العراقية على قول
أحدهم :

عابتها فبكت وقالت يا فتى نجاك رب العرش من ... عتي
ومثل هذا فعل بشارة ايضاً في قصيدته « الحلبية » الاخرى ،
حين زوج عظيم الجن بماردة مساء ، فما تكشف الصبح حتى وضعت
« المحروس » ولم تطرق به كما عبر الرافعي ، ثم كان مؤتمراً جني
لينتقوا اسماً للطفل فمنهم من قال « صاعقة » ومنهم من قال
« عاصف » واخيراً اختال مدة مارد لسن ، لا ادري اذا كان رقص
الشرلستون او الدبكة ، ثم قال : سميت المتنبى ...

أفلا تراها اخت « اطياف جنة في ... ثياب » ؟ وهؤلاء الجن
صاروا بعدئذ في المأتم كمنشأوى مدهدين النخ .. ولا عجب في هذا
ايضاً ، فالجنّ ، نجّانا الله منهم ، كانوا يظهرون لما رانطونيوس ،
كما خبرنا السنكسار ، بالف شكل وشكل ، ولماذا لا يكونون
في يد الشاعر كخاتم لبيك ؟

اما مقطع « أي أبا طارق » النخ ، فشعر جيد لولا تكرار
التشبيه بالسيف والمبالغة ، ولولا تفدية الشاعر الميت بأبيه ، فوالده ،

رحمه الله ، مات منذ عشرين عاماً وأكثر ، وأنا حضرت دفنه .
وأرى بشارة تعرف حديثاً بالجن والمردة والاطياف فأكثر
منها هذا الاكثار المضحك ، ولكل جديد روعة ، إلا جديد بشارة
لانه عتيق جداً .

وشاء بشارة ان يخبر الناس ، في هذا المضيق ، عن تكريمه في
حلب فعاد الى السيف والمارد ، ومارد بشارة تارة يسقط من السماء
كالملائكة ، وطوراً يتزوج في الصحراء كما علمت . ثم انتقل الشاعر
الى قلعة حلب فابرزها لنا في مآتم ابراهيم كجنان ابي نواس ولكنها
تلطم بالعناب لا الورد ، اسمع :

لطمت صدرها له القلعة الشكلى فرقت لها عيون السحاب
وواساها بشارة ، جبر الله خاطره ، وثابت لديه عن حلب ، من
باب تسمية الكل باسم البعض ، فخبونا عن تكريمه وكيف كان
الفخر ملء اهابه . رحم الله لافونتين .

وشمر الشاعر شاداً الرحال الى دمشق ، وبلا حياً الله ، وسلم
الله ، سأل أخت مروان مستفهما منها أيضاً عن محفله في الامس كما
سأل شوقي عنه من قبل : في المصلى ام المحراب مروان ؟ قضت
القافية على شوقي فسأل عن مروان ، فأما ما قضى على بشارة فلا
ادري . اظن ان بشارة يريد موكب مروان لا محفله ، وآية ذلك
تسخيره الشمس لتعطي يمينها للركاب (كذا) . وبعد وصف أبهة
مروان وعظمته البائدة عزى دمشق قائلاً :

هما يومان يادمشق فيوم لزوال وآخر لايباب
فكسر البيت كما عدى اعطى باللام ، وهذا لا نفتقره لشاعر

يطمح الى الامارة ، فالناس على دين ملو كههم .
وحام بشارة مرات حول كلمة شوقي الرائعة في الثورة
الافرنسية ، فعاد بالحفين المعهودين . قال شوقي في دمشقيتة :
دم الثوار تعرفه فرنسا وتعلم انه عدل وحق
وللحرية الحمراء باب بكل يد مضرجة يدق
اما بشارة فاسمع كيف قال :

وسلاح من الحقوق المدمة نسيج القلوب والالباب
شهرت مثله فرنسا على الظلم فردته من دم بخضاب
فهذه «المدمة» ، و «ردته من دم بخضاب» ما مثلت لي إلا أنفأ
راعفاً ، ومنديلًا توسخ ، فقط ، لا غير . ومن الحيف بل من
الكفر بالفن ان تقابل هذا بذاك . ففي قول شوقي جمال ورواء ،
وفي قول بشارة دماثة وقبح . هذا نظم منحط وذاك شعر
سام .

قال اناطول فرانس في سيلبي بريدوم : « كان بريدوم شاعر الاناء
المشعوث ، فصار شاعر العدالة » . وبشارة افندي كان شاعر قلبه
فصار شاعر السياسة ، وما دخلت السياسة شيئاً الاّ افسدته . وقد
اتخذ بشاره هذه الكلمة الماثورة شعاراً « لبرقه » عندما كسدت
سوق السياسة عنده .. فطلقها وعافها ، ولكن بشارة لا يتعظ...

لماذا ارتجّت الامم ، وهذّت الشعوب بالباطل ؟ كما قال
ابو سليمان في مزموره الثاني :

- ذلك لاننا دخلنا قدس الاقداس ، وخرجنا منه قائلين
للناس : فارغ ...

ذلك لاننا لمسنا (تابوت) العهد اللبناني وهو لم يتعود الا
المباخر تتدلدل حوله وحواليه ، فيتشقق رائحة بخورها ولا يؤذيه دخانها .
عتب علينا صديق عزيز نحترم ادبه ونجله ، وأسف على جهد
تبذله لتغلق اعداء لنا في كل بلد ينطق بالضاد ، وسيتعلم « الحرف
الجاف » الذي خلقه جديداً المجمع العلمي المصري .

هذا الصديق محب للسلامة كثيراً ، يريد ان ينجو بشاره حتى
من الهمس . اما السلامة فنحن في حبها على دين الاستاذ الطغراني ،
وهل النقد شجار ونقار ؟ اننا نأنف ان يظل هذا الادب لعبه
يتلّى بها من يفرقعون اصابعهم ، ويتوهمون انهم قذفوا قنابل
تسف الارض فتخرج اثارها ، ثم يعجبون كيف لا تقول الناس :
« ما لها ؟ »

خبرنا هنري دي ربنيه كيف استقبل ادباء القرن التاسع عشر
النقاد فردينان برينتير وخلعوا عليه الالقاب الشريفة ... ونظموا

له في حياته ، ما زعموا انه سيكتب على قبره ، واليك العبارة
فأقرأها واعذر اصحابنا :

Avec son œuvre tout entière
Ci - git Ferdinand Brunetière

وبعد : فبشاره يسمي نفسه اليوم شاعر الامة ، كما سماها ، امس ،
الاخطل الصغير ، ففي قصيدته لفخامة رئيس الجمهورية - اده -
يقول :

عجباً لشاعر أمة حسنة في جيدها ، ويكافأ المتملق
انا لآمن ، رضيت أني طيرها الشادي وأنني جفنها المغرورق
وهذا ايضاً من تركة المرحوم شوقي ، اما شوقي فبسط جناحيه
على الشرق كله حين قال :

كان شعري الغناء في فرح الشر ق وكنت العزاء في احزانه
اما بشاره فرجل قنعان ... اكتفى بقطعة كالتي تمناها المتنبي
على كافور ، والتي وليها دعبل الخزاعي . بسط سلطانه علينا وقال انه
لا يمن ونحن لا ندري بماذا ، أبالرثاء والمديح ؟ أهذا هو الشعر ؟ ثم
هبه رضي هو ، كما قال ، فمن يكفل له رضا البنت ، واقناع أمها
وأبيها بهذا العريس ... اما من هذا المتملق الذي يكافأ ، فاظن
القاريء يعلم أن الشاعرين شبلي وبشاره عودانا مثل هذا التعريض ،
في كل مناسبة . فبشاره يقول لفخامة الرئيس : « ويكافأ المتملق » .
وشبلي يؤمله : « غمط الجميل ، والحيانة ، وطول المظهر » ، كما استقرأ
اما الآن فاسمع حديث بشاره :

نفس الكريم على الحصاة والأذى
هي في الفضاء مع النور تحلق

سيات عند اليأس موت عاجل
 او حرمة ترعى وعيش مورك
 أما الحصاصه فكل خبرها عند صديقنا الريجاني الذي قال له في
 حفلة جامعة عاليه الوطنية : انك صاحب بيت وبستان ، وصيت
 رنان ... لقد كان اولى باخينا بشاره ان يكتبها - والرزق على
 الله - متمثلاً بقول الشاعر : واذا تصبك خصاصة فتجمل . وأما
 الاذى فكلنا نفدي الشاعر بأبائنا ... لا عاش من يرشقه بورده .
 وشاء بشاره في هذه القصيدة ان يجدد في التعبير فجاءنا بلفظة
 (شرواك) التي لا تشرى بفلس ، ويلفظها الشعر كما تقيء المعدة
 مايشوشها . ولا بدع في محاولته هذه ، اما اراد ان يطول نفسه
 في القصيدتين السابقتين فتضعع ولم يتاسك كالبحثوي حين زعزعه
 الدهر ، وبرزت الكثيرات من قوافيه ساهمة كاشرة كالفرس في
 آخر الشوط ؟ !

وبشاره يحوم حديثاً حول المسيح ولماذا لا ؟ اما فعل هذا
 شوقي من قبل حتى شرد يسوع وراء دجلة ... ؟ ففي « الحلبية »
 شبه بشاره بالمسيح ، فاختأ لغة بقوله (نغالوا) ولحن في (لا شدوا
 ولا زغباً) . ثم عاد فرأى المسيح في شخص فخامة الرئيس
 - اده - حيث قال خاتماً هذه المنظومة :

فابسط يمينك كالمسيح فرميا بُعث الدفين وعاد حياً يرزق
 اما الاصلاح فمرجوة من الرئيس وامين السر اللذين مدحهما
 بشاره فكلاهما كفوا لا كبر من منصبه ، وآثارهما تشهد لهما ، وما
 نقدر نحن الا هذا النظم ...

وبعد ايام ظهر المسيح ثالث مرة - فترأى لبشاره افندي طبعاً -
متحدّاً بلاهوته وناسوته ، في شخص الصديق الدكتور فغالي .
ليس في هذا غرابة فالمسيح ظهر للرسول الاطهار مرات ، والتعليم
المسيحي يعلمنا انه موجود في كل مكان . اسمع هذه القصيدة العصماء
ولا تعجب إن سميتها قصيدة فكل سبعة ابيات قصيدة ،
وهذه ثمانية :

يداك ام بدا الملاك حيرت من تأملك
يا مخرج الروح من الروح ح ولولاك هلك
وهل وقت التوليد ساعة تأمل ، وصلاة عقلية يا اخي ؟ ! لقد
كانت تلك الاعرابية خطيبة امريء القيس ابلغ واشعر منك حين
قالت لسائلها عن امها : « ذهبت تشق النفس نفسين » (راجع
شعراء النصرانية) .

لم يظهر المسيح بعد بل بشّر به « الملاك » في مطلع القصيدة ،
فتنبأ للامر ايها القاريء لتشهد الآية :

كأنما الله الى الناس مسيحاً ارسلك
يا عجباً من ساحر فجّر نوراً من حلك
كان ملاكاً ، ثم تجسّد وتأنس مسيحاً ، ثم مسخ ساحراً عجيباً -
أفلا تراها اخت اطياف جنة في ثياب ... بعد ما صلت على المرحوم
ابراهيم ام الكتاب - فحذار يا بشارة ان تجرب الرب الهك فيما بعد ..
أناملي العشر وإن قلت تفدي أنملك

لقد فدّى هذه المرة بما يملك ، سلمت يدها للبحث والتنقيب
والكتابة ، فالامة في حاجة الى شاعرها وطيورها الشادي ، الباكي ،

المولع بالتفدية كالعجائز :

يا واحد التوليد ما خاب جنين أمك
وماذا تراه يؤمل الجنين ؟ ان باب المجاز واسع فليعبر هذا
البيت بسلام لئلا نتهم بالتعنت ، ولندع ابا نواس يستعدي الادباء
المنصفين على بشارة . فكأن بشارة قرأ حديثاً تلييات أبي نواس
ففسج على منوالها واليك الخبر :

حج ابو نواس حين حجت جنان ، وقال شعراً في التقائها عند
الحجر الاسود ، ولما احرم النواصي لبي شعراً ، وهذه أبياته نقلاً
عن الاغاني ، فقابلها بشعر بشارة ثم قل في ذلك ما تشاء . قد
حكمتك ولا أخشى ان تكون كأبي موسى :

الآهنا ما أعـدك	ملك كل من ملك
ليـك قد لـيت لك	ليـك ان الحمد لك
ما خاب عبد أملك	أنت له حيث سلك
لولـاك يا رب هلك	كل نبي وملك
وكل من اهل لك	سبح او لبي فلك

بيد ان ابا نواس قال : ما خاب عبد املك ، كما قرأت . واخيراً
اسف الشاعر بشارة حتى هذى فقال :

لولـاك ما كان نجـا ولا زقا ولا دلك
ونسي ، على قرب المسافة ، انه قال لنا فوق : ولولـاك هلك .
ثم يختم هذه التهيلة الرائعة بقوله :

إن نقـتسه بيننا فالجـم لي والروح لك
لا اعتراض على هذه القسمة فقد يكون رضي بها الدكتور

فعالي ، انما لي ملاحظة اخرى على هذه الأبيات « الأبيات » هداية اليها علم فرويد . ولماذا لا ندعي علم النفس والعقل الباطن ؟ فكل الناس يدعونه . إن العقل الباطن عمل عمله الخطير هنا فنظم بشاره أبياته هذه ، دون ان يشعر ، على لحن : « المجد لك يا الهنا المجد لك » التي تقال عند النصرى حين يكمل العرسان ...

والآن وقد مات الزهاوي فجأة فلا بد ان يكون بشاره وغيره شرعوا في النظم . ليت الرجل مرض وترك مجالا لحليم دموس ليقولها يوم نعيه . البكاء على رأس الميت حلو ، ولكن موته بغتة اراحه واراحنا من عذابين ، اما نحن فالى حين . فمن الرب نطلب أن يلهم « شعراء الظل » شيئاً ، فنسمع شعراً لا نرى قلع اضراسنا كلها في ساعة واحدة أهون من سماعه ، كما كتب الي طالب الحقوق البيروتي الذي لم افك اسمه .

*

ومن محصول هذا الشهر ايضاً قصيدة الشاعر شبلي ملاط وهو الذي علم بشاره قول الشعر فخراً بنفسه ، وان أقل شبلي منه اليوم فلابتذاله . اما بشاره فتفرد به حتى صار شاعر نفسه قبل كل شيء .

وقصيدة الملاط ، وهي في فخامة الرئيس - اده - ايضاً بدأها بقوله :

بيني وبينك ذمة لا تخفر تتغير الدنيا ولا تتغير
فجاء عجز مطلعها على قياس : تتزعزع الدنيا ولا تتزعزع .
ويمضي الاستاذ في قصيدته مبيناً تعلقه بفخامة الرئيس حتى يقول :

لا عاش من غمط الجميل، وخان من لولاه ليس له مقام يذكر
لا يخفني مثلي ولو رفعوا الذي دوني ولي بالارز عهد اشهر
الى ان يصرخ - بعد وصف ما لاقى من احوال - كما صرخ
سمعان الشيخ :

اطلق سراحي إن اردت وخلصني فلقد سئمت وطال ذاك المطهر
المعضلة أعوص من المسألة الالمانية الافرنسية ، ساعد الله الرئيس
المدبره الحازم على حلها ، فيجد منصبا يليق ببشارة فيملاً عينيه ،
ويذهب خصاصته ، فلا يقول لنا عجباً لشاعر امه .. كما قال
في حليته .

ويمطر الضيم في ارضي واشربه . وكنت لا ارتضي ان اشرب السحبا
اما خير حل للقضية فهو اخراج شبلي من مطهره ليدخله بشاره
التائق اليه ...

ثم يقول شبلي شعراً في المعركة الانتخابية فيعدد انصار الرئيس
واحداً واحداً من نواب وصحف وزعماء ، فتأتي الاسماء بلقاء ،
وبعضها نابية ، ناهيك بما يتعمده من جناس وتورية ، فلولا الوزن
والقافية خلت انك تقرأ نثراً حتى يقول :
واذا نسيت فلست انسى (روكساً)

انت ابن صنين الاشم غضنفر
يذكرني هذا النسيان بالنسوان اللواتي يزغردن في ايام الفرج
ويغنين لهذا وذاك حتى اذا نسين واحداً ، وان غائباً ، اعتذرن
اليه بقولهن : « آووها ، لا تقول يا فلان اني نسيتك . انت
الباسمين وانا خييتك . الخ » إن « خييتك » تحتاج الى شرح أي

خبأتك .. وهكذا فعل بشارة ايضاً في حفلة نقيب الصحافة الجليل
خليل كسيب لفخامة الرئيس . راجع (صوت الاحرار ٣٠ ك ٢)
ترانه نسي ، ثم اوحى اليه بذلك شعر صلاح اللبايدي فاعتذر .
وبعد ذكر الانصار اجمعين يفتط لنا استاذنا الملائم حساب
المسلمين الذين انتخبوا الرئيس فحصل « اليكون » سبعة . وكأنه
شاء الا تفوته عبارة « عدا السهو والغلط » التي لا بد منها لكشف
التاجر فقال : « ورثة ثامن يتستر . » خير لك ولي ان تسمع
البيتين بنصها وفصها :

زعموا بأن المسلمين تنكبوا عمّن تؤيده البلاد وتؤثر
فاذا الالى قد بايعوه سبعة منهم ، ورثة ثامن يتستر
ويمضي شاعر الارز متدفقاً كنبيع قاديشا فيصف لنا هدوء
الانتخاب قائلاً :

وجرى انتخاب هادي متروصن حرعليه من المهابة مظهر
في دورته كان (ادة) ظافراً والله يسعد من يشاء وينصر
حاو هذا التسليم الرباني . ثم يصف الشاعر اصوات المدافع
وحرس الرئاسة خلف الرئيس وامامه وحواليه ، ويدقق حتى لا
ينسى التصفيق الماليء الفضاء ، واستبشار الحلق ، وخصوصاً معلمنا
شيلي الذي غلب السرور عليه حتى ابكاه ، فقال :

وتفرقت عيني وقلت لصاحبي يا ليت نعوام المكرزل ينظر
وقد عجبت لهذا الصاحب من اين نبت بفتة ؟ واين كان نجاً ؟
ولكن الوزن في شعرنا يخلق لشعرائنا ما لا يعلمون ...
أما « يا ليت نعوام المكرزل ينظر » فاخذ الحكي البليد ، واذا

قلت : الزجل خير منها ، ظلمت الزجل وحقّ ربي . اما استاذي
فرآها آية حتى جعلها عنوان قصيدته ... وشاء الشاعر أن يبين
جدارة الاستاذ اده بهذا المنصب السامي فقال :

أميل قد عدل الزمان فانت من

كل الجوانب بالرئاسة أجدر

علماً ومقدرة ومنزلة فها

أحد عليك باي شيء يفخر

ان جدارة الرئيس ، رجل الساعة ، لا قول فيها ، وقد اقرت

له بها امهات الصحف الاوروبية . وأما « من كل الجوانب » و« فها

أحد عليك باي شيء يفخر » ، فهذه بنت عم « على الاطلاق » في

قول بشارة في المتنبي :

رب القوافي (على الاطلاق) شاعرهم

الحمد والمجد في آفاقه اصطحبا

واخت « شرواك » في قوله لفخامة الرئيس عن الدكتور ايوب :

(شرواك) او هو منك ما اقترح الهدى

صدر بكل يتيمة يتدفق

ان هذه الهنات كثيرة في قصيدة الشاعر شبلي ملاط ، فيخيل

اليّ انه نظمها ساعة نخوة ، فوثق بكل كلمة قالها حتى « الأبر »

ومعناها المقطوع الذنب ، وليست صفة للسيف ، « وليلك مقمر »

وهي كناية مشهورة عن الشيب ...

أكد أجزم أن الملاط لم ينقح بيتاً من قصيدته هذه ، ولا

شطب فوق شعر استقام وزنه . فهو في نظمه وخصوصاً في هذه

الآونة ، يستسلم لسجيته السخية حتى تكاد ترى بطانتها وظهارتها .
وهذا من عيوب استاذنا ، فلو تأذى لاجاد وقال شعراً يحيا ،
ولكنه يرحّب بأول قادم . ومن يقرأه في هذه الايام يشايعني
على ما اخذته به .

اما بشارة فيخالفه في هذا فانه كثير التنوّق حتى التعمّل ،
يتعنى كثيراً فتتفكك منظوماته ، ويجتهد في عمله ليخرج لك صورة
فلا يوفق كثيراً لضعف خياله . ولكنه إن أخطأ الابداع فلا يفوته
أن يزخرف ويموّه ويزبرج .

وبشارة يحاول أن يخلق لك اسطورة فتأتي بليدة لا تستفزك
روعتها ، بل تضحكك عقدها حين يفكها بشارة وتنجلي عن لا
شيء . كما فعل في اسطورة ميلاد المتنبي التي أراء استلهمها من حلم
والبة بن الحباب في غلامه الشاعر ابي نواس . وان تسنح لك فرصة
ارغب اليك ان تقرأ رثاء بشارة لمحي الدين الحياط (جواهر الادب
ج ٥) فهناك ترى ايضاً شبه اسطورة ، ولكن درجة حرارتها
٥٠ تحت الصفر .

إن بشارة يحيد الغزل فقط ، وعلى النمط العتيق ، وبخاصة اذا
حُرم . فعندما تغزل في صدر «الحلبية» أجاد التعرق ، وان حمل القرب
على فمه لا على الجحش مثل الزير ابي ليلى المهلهل . . اسمع البيت :
ما للشفاه الكسالى لا تزودنا فقد حملنا على افواهنا القربا
فهو يريد أن يكون اقوى من الجمال التي حملتها فوق ظهورها .
اما شبلي فيجيد الشعر القصصي حتى الابداع ، وإن لم يوفق
اليوم في قصيدة الرئيس فلاّنه ألزم نفسه ما ليس يلزمها ، تعمد سرد

ما كان في غنى عنه ، فأسماء العلم يابسة لا تلين مهما نقعتها في مجور
الشعر . ولكن قصيدته ستبقى وثيقة تاريخية كيفما دارت بها
الحال ، وقد تغنيه عن تدوين وقائع جلسة الانتخاب اذا حورها
قليلاً ...

وقصارى الكلام ان الشاعرين لم يقولوا شعراً في هذه الاعوام
الاخيرة ، بل هما يكرران ما قالاه . فخير للقاري ان يسمع
شعرهما ، في الرثاء والمديح والسياسة ، ولا يحمله وينقده . ومن نقد
قصيدة واحدة من شعرهما فكأنه نقد شعرهما كله . ولعلنا ننظر
قريباً في غير هذه الناحية من شعرهما ، وهي خير وأبقى من هذه .
اما الآن فما يتكررس اماننا من الآثار الادبية يدعوننا الى الاحتفاء
به والقيام بواجبه فنودعهما آسفين ، فالى حين ..

٣ - ١٩٣٦

شعراء الفرح والترح

١

معروف الرصافي ، بشارة الخوري

*

ان شعر الفرح والترح كالرثاء والمديح والتهنئة ميراث اجيال
بعيدة وتوكة دهور مات عنها جدودنا الشعراء الدوارون ،
كالقرادين اليوم . وكنا بارين بهذه الثروة المباركة فانميناها ، إن
مدحنا رجلاً انشدناه شعراً ، وان قلنا لرجل : خلف الله عليك ،
نظمناها شعراً ، وان جلسنا الى مائدة دار الشعر في اشد اقنا مع اللقمة ،
وان شربنا هزجنا وتغنينا نظماً ، فكأنما الشاعر عنافا بقوله :

ولا تشرب بلا نغم فاني رأيت الخيل تشرب بالصفير
لقد كان لكل أمة شعراء دوارون ، ولكن الادب عندهم نبذ
منذ اجيال هذه الاغراض ، اما عندنا فكثير من الشعراء ينتظرون
تلك الساعة التي لا يعرفها احد ، كما انتظر احد الكهنة موت واحد
ليقبض « المعلوم » ويدفع للسكّاف ثمن المدايس ... اما « شعراء

الظل ، فينتظرون الموت لا شيء فهم يعطوننا الشعر مجاناً كما
أخذوه من الآلهة وسيان عندهم ساعة الفرح وساعة الحزن . فهم يلبسون
لكل ساعة لبوسها إما نعيمها وإما بوسها . إذا سألتهم دمة برشموا
وجوههم وذرفوها كأنهم فجعوا حقاً باخ أو بابن عم ، وإن تطلب
ابتسامة تأخذها منهم عريضة ملء الفم فائضة عليه ، فشعارهم
افرحوا مع الفرحين وابكوا مع الباكين ، كما علم مار بولص
أخوته المؤمنين بالمسيح مصاباً .

هذه أسباب انحطاط الشعر عندنا ، فالذين قالوه ، في كل عصر ،
أكثر من النمل ولكنهم بادوا مثله وذهب ذكرهم مع الدوي لتفاهة
اغراضهم وابتذالها . قالوه كما يقوله أكثرنا اليوم ، غبّ الطلب ،
فكأنما الشاعر هو الحاكي ، شدّ جنزيره ، وضع الابرة والاسطوانة ،
وركب البوق تسمع الصوت الذي تشتهي ...

قال زهير قصائد شتى في المديح ما حفظ منها الناس ، على
صدقها ، إلا ما مس حياتهم فقط ، وقال الاخطل والفرزدق وجري
وابوقام والبحري والمتنبي وغيرهم شعراً في المديح والرثاء نسبة
الناس ، لم يعلق بأذهانهم منه غير شذرات فنية صبغها الشاعر بدم
قلبه ، فكانت قطعة أرجوانية لم يأخذ الدهر شيئاً من لونها . أما
نحن فما زلنا نقتل أولئك الشعراء متمسكين بأذنانهم ، سائرين خلفهم
كالعميان . أمت في نفوسنا هذه العاطفة ظروف واحوال أمانت
عزة النفس ، ثم كان للمدرسة اليد الطولى في إحيائها حقبة من
الزمن . فقد كنا في المدرسة نعد الايام والجمع منتظرين عيد معلمنا
لنهنته بالشعر ونظهر براعتنا للمعلمين والتلاميذ ، فيجلس على كرسي

متقنفساً ، ويتبارى الصف في مدحه وتقريظه . وقد يكون الاستاذ
فرنجياً ونسعه شعراً عربياً فيبتسم متهللاً كالاطرش في الزفة
عند ذكر اسمه الكريم . وقد يسمونه شعراً سريانياً ايضاً كما فعل
احد اصحابنا بأحد « الاخوة » في مدرسة ... قال له قصيدة سريانية اي
عربية الالفاظ سريانية اللهجة فاستغلب الضحك على الناس عند
سماعها ، ولكن جبل الكذب قصير فما جازت الاضحوكة اياماً حتى
حس بها « الفرير ميشال » وكانت قصاص التلميذ الخفيف الروح
ركوعاً في المائدة واكل الخبز المقرمش اسابيع .

وقس علينا طلاب المعاهد الشرقية كلها وشعراء كل محيط ، فلا
بد من تهنة الامير بالعيد ، وبالرجوع من السفر ، ولو كان يوم
صيد ، ليقال له : على الطائر الميمون ، والعود احمد ، وغير هاتين
الكلمتين من الرواسم المعلومة ، ثم بسلامة قلبه اذا زكم ، فنقول له
كلتني الذي قال : « اذا اعتل سيف الدولة اعتلت الأرض » .

ثم لا بدّ إن زار الضيعة مدير الناحية أو قائم المقام من تكليف
طالب نظم قصيدة يقال له فيها : حجارة الضيعة رقصت فرحاً ،
والشجور غنى ، والاغصان صفقت ، والعندليب صاح في الافنان ،
وعظام الجدود تهلت في المقبرة بزيارة ابن البيت الكبير وقد يكون
الكلب لا يعرف بابيه ... وان كان الزائر مطراناً فالامر هيّن ،
يقال له ، مثلاً : « مبارك الآتي باسم الرب » ، وان وافق ذلك
اسمه فهناك البلاغة والتصفيق الحاد ... وان مات رجل عنده من
الوجاهة عشر الخبز فلا بدّ من رثائه واقامة وصيّ على البائسين
والمساكين بعده ... واذا سم شاب كاهناً فلا بد ان يهنأ ، وان

يقال له : ان الروح القدس حل عليه ولو كان لصاً مثل مار شينا ،
واذا بشر الشعراء بسيامة خورفسقفوس أو ارشمندريت فبحال
المدح والتهنئة واسع فيقولون له : انت الصفا وعليك أبني بيعتي ،
وما تربطه الارض يكن مربوطاً في السماء ، وبالاختصار يسلمونه
مفاتيح السماء ويستريحون .

واذا صار شيخ أو امام قاضياً أو مفتياً فلا بد من القصائد
أيضاً ، فتعطى القوس بارها ، ويهتفون المؤمنين باستقرار الحق في
نصابه . واذا صار رجل عضو بلدية أو مختاراً في ضيعة فيها احزاب
فيفيض الشعر احمر كنهر ابراهيم في الربيع . يهني بعضهم بعضاً
بالفوز ، ويعرضون بالاخصام بالشعر الحامي .. واخيراً هل يؤخذني
القارئ اذا خبرته ان احدهم هنا بالشعر صاحباً لنا شقي من داء
البواسير ؟ ...

اما عدة هذا الشعر وبردعته فاولها ان تكون القافية موافقة :
اذا كان اسمه لوقا كانت القافية حريقاً وضيقاً وحنديقاً ... واذا
كان اسمه فنيانوس مثلاً ، حاولوا ادخال اسمه في الشعر وجعلوا
القافية ملائمة اسم ضيعته أو مهنته ، أو عائلته ، أو مركبه ، وما
شاكل ذلك ولا ينصاعون ! . فاذا كان اسمه غير طيع نجروه ليدقّ
ويدخل حيث يريدون ، واذا كانت رتبته التي يهنا بها لا توافق الوزن
الشعري حذفوا منها شيئاً غير خائفين بأساً ، ولماذا الخوف ؟ ألا
يجوز للشاعر ما لا يجوز لغيره ؟ كما فعل احدهم حين قال منذ اشهر :
ومن غدا كرديفالا الخ . فكسر الشعر والتبس علينا الكرديفالا
السامي الاحترام بالدواء المعد في الصيدليات للمصابين بالنقطة .

ان البند الاول من دستور شعر المناسبات كثرة الاعلام لتعلو
الآهات والحسرات في المناحات، والتصفيق الحاد في مواقف الفرح.
اننا لا نلوم الشعراء وحدهم بل نلوم أيضاً من يقبلون على هذا
الشعر الكذاب ويرغبون فيه ، فالشعر عاطفة وفن ، واذا خلا من
هذين كان مثالا غير ناطق الملامح ، فلو حضر شاعر حفلة صلاة
« كبيرة » فهناك من يقول له ، بعد الصعود الى القلاية : اسمعنا
شيئاً في ابينا الحوري وقداسه الحلو ، فيصفه من طربوشه الى
« سكرينته » ... وقد يقول له ، كما قال احدهم لحوري صار كاهناً
بالغلط ، ثم لا ادري كيف صار وكيلا للمطران :

وستلبس (الاسكيم) بعد هنيهة ونحو الازرار والزئارا
فمصيبة الشاعر انهم يطلبون منه الشعر في كل محضر وكل
محفل ، والشعر لا يستجيب كلما دعي . الشاعر كالطائر يغني متى
تحرك للغناء ، وعبثاً تكلفه الامر اذا لم يندفع . كان عندي كناري
كنت اصفر له ليغني فيكر كر قليلاً ثم يقف ، وعبثاً كنت اهيجه .
اما متى طاب له الغناء فيغني ما شاء ، وقد يسكت اياماً حتى اظنه
نسي التغريد ، او احسبه زكرياء بعد خروجه من الهيكل . ثم
يعود فينطق ويفرفر في قفصه ، وهكذا الشعراء .

اما الشاعر الذي يغني للبشر متى ارادوا فاقف عقلا من الطير .

*

امامنا الآن شاعران : واحد عراقي والاخر لبناني ، فاضت
قريحتهما حين مرّ الوفد العراقي بسوريا وفلسطين ولبنان قاصداً
مصر . اما الشاعر العراقي معروف الرصافي فتترك في كل وليمة

أثراً ، وفي كل حفلة ذكرى - راضياً او مكروها لا ادري . اما
في بيروت فكانت الكلمة لزعم شعراء الفرح والترح الاستاذ بشاره
الحوري . قال قصيدة سينية من وزن :

اصبح الملك ثابت الآساس بالبهاليل من بني العباس
وراعى القافية كما يقتضي شعر المناسبات ، ان لم يكن في اسماء
الاشخاص فعلى الاقل باسم الضيعة .. ولا سيما ان هذه القافية
تستدعي ما قاله بشاره :

وفد هارون هذه راية (الفضل) وهذا فخر القريض النواسي
أرأيت كيف يقال شعر المناسبات ؟ الوفد وفد هارون ، بعد
الف سنة واكثر ، رحمة الله على توابه ، وليغضب دعبل الخزاعي ما
شاء فقد أمّنا شر لسانه الفالت . والقريض قريض النواسي شاعر
بلاطه ، والفضل جعلت بين هلالين تنبيهاً الى التورية وغيرها ،
والحاذق يفهم ، ثم جاء :

فجح الطيب طيب دجلة من غوديك في موكب من الاعراس
هذا لغز ، ان هبوب الطيب من نهر دجلة اختراع جديد ،
قد يكون تحول ذلك النهر الى « كولونيا » فصار في العراق نهر
عطر وبنابيع نطف . اما ذكر موكب الاعراس فلا بد منه تنمة
لنفع الطيب وتصديقاً لقول المثل العربي : لا عطر بعد عروس ،
ناهيك ان القافية مبنية ، وأية كلمة احلى من الاعراس يستعملها
الشاعر الفراغ ؟

كنت اتوقع ظهور جنان لاني نواسنا في هذا العرس ، كما
ظهرت لذاك في المأتم تلطم الورد بعناب ، ثم قال الشاعر :

غزوة للقلوب قام بها الحب فكان الآسيّ نفس المواسي
 فجاء ذنب هذا البيت ، لتكرار السين ، كرأس نوع من
 السمك اسمه ابو منشار - انظر رسمه في المنجد - ثم قال الناظم :
 صفق الارز للمبشر بالوفد واهدت تيجانهن الرواسي
 أليس من البلية أن يكون الشاعر لبنانياً ويقول : صفق الارز
 للمبشر بالوفد... فكأن بشارة ما رأى الارز في حياته . ان الارز
 لا يصفق يا أخي ! الارز شيخ وقور مترصن وبده لا تطاوعه ،
 ولكنه إذ يرحب ، يمد يده احتفاءً ، فاذا شئت ان تسخره في قابل
 فهذا ما يقدر عليه . على الشاعر ان يكون ذا عينين على الاقل ! أما
 «اهدت تيجانهن الرواسي» فقد تكون صخور لبنان صالحة للتيجان
 ونحن لا ندري ، أما اذا كان يعني الزهر فهذا اوانه .
 ثم جاءنا بيرناس لان القافية سينية ، ولو كانت رائية لحلت محلها
 عبقر دون شك ، وانتهى الى قوله :

عز بالصيد من ذوائب فهر وزهته الوفود من عباس
 ان هذا شرط اساسي في قصائد المناسبات . وكل سر « الصناعة »
 هنا . فالقصيدة من اولها الى آخرها مسخرة بل مؤسسة على هذه
 الكلمة « عباس » ، ففيها يرى شاعر المناسبات كل الروعة والفن ،
 وان جاءت عابسة بل كاشرة بليدة قلقة تصيح المدد .
 ثم قال بشارة عن جبلنا العزيز ، وفي هذا دعوة وتشويق الى
 الاصطياف يستحق عليهما بشارة مكافأة اخرى :

هو جينيف يعرب كل ما فيه مؤات وكل ما فيه آس
 رأيت ما أحلى جينيف هنا ؟ انها احلى من «شمس الشموسة» !

أرأيت كيف يقول الشعر شعراء المناسبات ، وكيف يلوي زعيمهم
الاعلام لياً ويطويها طياً على هواه ؟ لم تخضع له سويسرة فاحتل
بلحظة عاصمتها واستولى عليها ... ! ولا غرابة في الالتجاء الى جنيف
فهي اليوم مرجع جميع الشعوب الضعيفة ، وللعراق كرسي فيها ،
ولنا عن قريب ان شاء الله فنريح الامم المظاومة من بلاياها واوجاعها
وبخاصة « معذبتنا » القديمة الجبشة .

أما تكثير الاعلام فقد وفّاه شاعرنا بشارة حقّه ، فذكر لنا
في تسعة ابيات احد عشر علماً ، وهي : هارون ، الفضل ، النواصي ،
دجلة ، الارز ، لبنان ، برناس ، فهر ، عباس ، جنيف ، يعرب .
اما كلمة الوفد فرددها مرات ليفهم الناس انه يحكي للوفد ...
ان هذه لا تستحق التفات ناقد ، ولكننا نريد ان ننزه بشارة ،
وهو الشاعر اذا لم يطمع ، عن هذا النظم البارد فلعل في النقد
بعض الفائدة له فيقلع عن خطته هذه فلا يقول الشعر للرائع والجلاني ،
ولا يدكدك الاوزان بهذه الالفاظ ويحسبها شعرا . اما نصيحتي له
فهي ان لا يلبي الدعوة اذا لم يوفق الى قول شعر ، فالمعد التي كانت
تقبل جرعات كبيرة من هذا الشعر اصبحت تقي . « المسهل » اذا
لم يكن من نوع « الملبس » و « الليموناضة » ...

وهذا معروف الرصافي شاعر العراق ، وأحد اعضاء وفده ،
 كان ينثر الشعر حيث يمر الوفد كأنما هو يبذر ترمساً وكرسنة .
 قال ابياتاً كالشعر لا اشك في انه نظمها مكرهاً وانشدها
 مرغماً ، والاُعدَّ عدياً او غير مكترث ، فلفق ما لفق حتى استقام
 الوزن ، واصطفت القوافي ، وتزاحمت الرواسم ، وقال الرصافي
 شعراً صفق له الحاضرون حين انتهى من انشاده ، وقرضته الصحف
 لأن قائله معروف . بيد انني احلف لك الف يمين ان شاعر «ام اليتيم»
 و « الطبيعة شعر » و « تربية البنات » و « قصة ابي دلامة » الطيبة ،
 كان غير راض عن هذا الشعر الخفيف الذي عرضه في اسواقنا .
 فكل ما قاله معروف من البضاعة الرائجة وان نقدناه فلنكي يعدل
 هؤلاء الشعراء عن قول مثله .

اسمع ما قاله الرصافي بحيفا في سفح جبل الكرمل ، حيث لا
 يزال النبي الياس (حياً) يسمع ، كما تؤكده لنا التوراة :
 قفا صاحبي بهذا البلد نحني رجال الهدى والرشد
 خاطب الرصافي الناس بلفظة الجمال كأنه في صحراء امرى .
 القيس لا في موطن مارياس - بلهجة الجدعان - الذي طار منذ
 آلاف من السنين على مركبة نارية قبل ان يعرف الناس البنزين

والمازوت . قال معروف : « قفا صاحبي » واغلب الظن ان الوفد العراقي عشرات ، فلو قال قفوا لهان الخطب . اما شطره الثاني فليس فيه زيادة على قولهم : السلام على المؤمنين . لا شبهه لبيت معروف هذا الا قول خليل مطران في ذكرى صديقه حافظ ابراهيم :
« عظم الله فيك اجر الضاد » ، اي عظم الله اجر كم !

اما البيتان الثاني والثالث فهما حشوبل تفسير للبيت الاول ، لما زاد فيها معروف شيئاً على ما اعتاد الناس ان يقولوا : أي ان رجال حيفا اوادم جيداً - وهم كذلك - ولولا القافية والوزن والطمع بزيادة بيت لما قال :

نحي كرام بيوت لها بارض العروبة اعلى عمد
وحيث لا بد من ذكر حيفا ، وفقاً لمراسيم شعر المناسبات ، ليعرف الناس ان الابيات في اجاوبدها اضطر الشاعر ان يدر كالحمام مرجعاً :

كرام بحيفا اقيمت لهم بروج نطاوول برج الاسد
كأنني بمعروف نظر الى البيوت القائمة على ظهر الجبل ، كفندق هرسليا ، وغيره وما بناه الانكليز على جبل الكرمل فخطر على باله برج الاسد . وقد يكون قصد الشاعر ان يورثي بقوله برج الاسد عن الاسد البريطاني والله اعلم ... رحم الله من قال : المعنى بقلب الشاعر ، فكم نفص بها من مشاكل شعرية ... وشاءت القافية في بيت تال ان يقول فقال :

فنخلد في الدهر شكراً لهم ونثني عليهم ثناء الابد
ان معنى الصدر والعجز واحد اي الى ابد الابد ودهر

الداهرين . واي حرج على الشاعر فالشكر لا يشبع منه !!
ثم شاء الشاعر ان يقول حكمة كما ألوف شعراء العرب ، ويزود
الناس نصيحة فقالها على نسق قول الكهنة عندنا : « يا اخوتي
المباركين ، الحاضر منكم يخبر الغائب ، نهار الثلاثاء عيد مار يوسف
بطالة من جميع الاشغال العالمية » . واليك كلمته :

فيا سادة قد حللنا بهم وفود العراق فيمن وفد
الآبلىغوا الشعب ان العلى له في الحياة إذا ما اتحد
انها نصيحة تسوى جملاً ومن النوق العصافير . . . اما قوله :
« وفود العراق فيمن وفد » فأشك في روايته هذه ولا اعلم صحتها ،
فمثل هذا لا يقع من معروف ، فهو لا يكسر البيت ولو كان يمر
على الصراط .

اما في مصر فروت لنا جريدة البلاغ ما يأتي : « وبعد تناول
الطعام - في حفلة عزام - أنشد شاعر العراق الكبير الاستاذ
معروف الرصافي هذه الابيات :

المجد والفضل منشوران في علم على بيوت بناها آل عزام
لما حللنا ضيوفاً في مراتبهم نلنا بها كل اعزاز واکرام
فسوف نشكرهم شكراً نخط به لمجدهم سفر اجلال واعظام
وقد صفق الحاضرون اعجاباً بهذه البديهة المواتية . »

ولمن لا يصفق الحاضرون يا ترى ؟ فأف لهذا التقريظ ، بل
لهذا التصفيق الذي يغش الشاعر ويصفق الشعر . أقال معروف
غير شعر هزيل مبتذل ، وان كان موزوناً مقفى ؟ لقد صح بنا
قول المثل العامي : كله عند العرب صابون . اما قوله : « فسوف

تشكرهم » الخ ... فدلني على علمه كل العلم بأنه لم يقل شيئاً . لقد كان الاعشى أحكم من معروف حين قال لرسول المخلّق : « قل له سيأتيك ثناؤنا » . أما كان أخلق بـمعروف أن يطبق « سفر الاجلال والاعظام » ولا يفتحه بهذه الابيات المزيّة ...

وفي حفلة الدكتور عفيفي باشا كانت جمهرة من الباشاوات ، وكلهم عظيم ، واساتذة وشعراء منهم خليل ، الا انه لم يقل شيئاً بهذه المناسبة ، والعهد بالخليل غير بخيل . اما معروف فقال ابياتاً لا اشك في أنك حررت ايها القارئ ان قافيتها ظاء ، كما يقتضي شعر الفرح والترح ، ، فاسم صاحب المأدبة حافظ ، فالقافية اذاً ظاء ، كما كانت زائياً في رثاء المرحوم الملك فيصل لانه ابو غازي . أما أبياته هذه فسأسردها لك واحكم أنت بنفسك على شعر المناسبات :

لدى العفيفي حافظ للمكرّمات محافظ
الله يجزي الشيطان ، ما استطعت السكوت كما وعدتك . انه بيت موفق جداً ، فيه الاسمان عفيف وحافظ ، وفيه الجناس المطرف ، المتوج ، المذنب ... سمّه ما شئت . اسمع الآن ما بقي من هذه البيتية :

لسانه وهو طلق	لدر في القول لافظ
وطرفه للمعالي	مدى الحياة ملاحظ
له شمائل غر	بها تزول الحفائظ
بها تنال المعالي	بها تطيب المواعظ

كأنني بلافظ بن لاحظ صاحب امرى القيس لم يكن حاضراً ..

فهذا النظم كجنين لم يكد يبصر النور حتى صرخ صرخة طارت معها روحه . لا شك ان آثار هذا الشعر البشع ستمحى من العقول بعد غسل الايدي وتنظيفها من وسخ المائدة .. نجنا يا رب من هذا الادب وهذا الشعر .

ثم مر الوفد بيروت فقال بشارة منظومته الهارونية النواسية العباسية البرناسية - كما مرّ بك - وقال معروف أيضاً ابياتا نفّض طوقه على اثر انشادها ، كما قرأت في الصحف ، ولكنه تم الواجب - كبر الله واجبه . اما درة بشارة فنشرتها صحف كخواتمها السابقات ، وكما ستلشر وتقرظ اللاحقات ، وكما سننقدها نحن في محصول الشهر ، وهكذا حتى يفنى شعر الفرح والترح أو يستقيم لأشياخه القول فيه .

وبرح الوفد بيروت ماراً بدمشق في طريقه الى العراق فقال معروف قصيدة خيالية في تحية دمشق ، فقام يحدث الناس برؤيا ولكنها نيئة فجأة ، كان الرصافي فيها حالماً ومعبراً ، وهذا مطلعها :
عندي حديث عن دمشق فأنصتوا

فلقد رأيت اليوم طيف خيالها
طبعاً أنصت الناس للشاعر الكبير ليقصّ عليهم ما رأى ،
والاحلام لذينة ، ولو تأنى الشاعر لما جمع بين الطيف والخيال ،
وفي جعبته الفاظ كثيرة والنظم يؤاتيه ، وهو من شعراء القصص
البارعين كالملاط عندنا . اما ماذا قصّ معروف اليوم وماذا رأى ،
فاليك ما يقول :

شاهدتها والغل فاهز قرطها والقيد منعطف على خلخالها

ثم رأى معاوية قبالتها وابا عبيدة عن يمينها وخالداً عن شمالها -
ان خالداً غير محظوظ في دمشق حتى في القصص الخيالية ...
وسيو فهم بأكفهم مسلوله والنار تلمع من شفاها نصالها
رحم الله عنزة القائل : هل غادر الشعراء من متروم ، فما تراه
يقول اليوم لو سمع معروفاً يسرق شطره ويعلق في ذنبه هذا
الضير ... !

ثم رأى الحزن لوّح خدها - دمشق - واذا لا بد للعربية من
خال يتم به حسننها صاغه لها معروف من سواد لاح له كما تقرأ :
شاهدتها والحزن لوّح خدها وحكى سواداً فوقه من خالها
ولم ير فقط بل سمع أيضاً ابا يزيد هاتفاً بمقالة دهش المدى بما لها :
صبوا لظاكم في طريّ جمالها اني افتديت جمالها بجلالها
ان صب اللظى في طريّ الجمال بدعة جديدة ، كنفج الطيب
من دجلة ، اما كيف يبقى الجلال متى اكل اللظى الجمال فهذا ما
يعرفه الشاعر الملمهم ولا ندر كه نحن . ثم رأى ابا يزيد ينتحي ارضاً
بلقعاً بالفتاة التي ناهز الغل قرطها ، وانعطف القيد على خلخالها ،
وهناك اخذ يخط بالسيف خيوط مثالها ، كما فعل ارخميدوس من قبل :
وعلا به ضرباً على اغلالها وعلى قيود الرجل من مثالها
حتى لقد نهضت وفك اسارها وانبت منقطعاً وثيق عقالها
أرأيت « قيود الرجل » و « حتى لقد نهضت » ما ابشعها ! ثم
الا تنبئك « وثيق عقالها » ان هم الشاعر سد الفراغ ليستقيم الوزن ؟
فبعدما صورها مغולה مقيدة وقاسى ابو يزيد مع صاحبيه خالد وابي
عبيدة ما قاسوه من ضرب وطعن كانت النتيجة ان قال لنا الشاعر :

وانبت منقطعاً وثيق عقالها ...

فالبيت يا استاذ معروف ، وانت سيد العارفين ، لا يكون في الحديد ، وهل (منقطعاً) غير حشو ؟ ثم كيف يجوز في فنك ان تتحول تلك القيود والاغلال الى عقال يتجمع على حله ثلاثة رجال من اشهر ابطال التاريخ العربي : ابو يزيد وابو عبيدة ، وابن الوليد وسيوفهم بأكفهم مسالوة ؟ اكل هذا ليحوا عقالا ؟ لقد ظلمتهم يا سيد : ان العجلة من الشيطان ، والخلاصة ان قيودها انفكت :

فمشوا ثلاثتهم بها وسيوفهم شبكن كالا كليل فوق قذالها واخيراً عبر معروف رؤياه هذه بدمشق تفوز باستقلالها ، وكفى الله المؤمنين القتال والوفد الجدال ، والكتلة النضال ...

وبلي ذلك بضعة ابيات وطنية عادية وعظات زهيرية أوسية ، واذا لا بد من ذكر الزعيم العامل فخري البارودي صاحب الدعوة ، ختم معروف منظومته هذه بقوله :

اني لأشكر لابن باروديهما هما بناء المجد من افعالها
زعيم كتلتها هنيئاً للعلى في الدهر انك من بغاة وصالها
وقد سد الشاعر بالدهر ثلمات كثيرة ، فكأنه ملك يديه وطوع
بنانه . وهو لو فكر قليلاً لسلم شعره من هذا الحشو الذي لا يبيض
وجهه بعد جلال الشيب وتخطي العمر .

اراح الله الادب العربي من شعر المناسبات ، كوليوا الشعر ،
وطاعون الادب ، او فليمن علينا بيستور جديد !...

١٩٣٦ - ٥

مَحْصُولُ الشِّعْرِ

١

الشعراء الكبار نادرين ، بل هم أندر جداً من العلماء
الكبار .
بلدوين

وإن شئت فقل محصول شهرين ثلاثة ، منذ وفاة جلالة فؤاد
الاول ملك مصر حتى افلات المتنبي من بلوى أنسته وحشته عند
كافور . وكان اشد سهامها ايلاًماً له قصيدة حلیم دموس فصح فيه
— بعد الف عام — قوله : « وصرت اذا اصابتي سهام ... »
قال احد الكتاب الفرنسيين بمناسبة ذكرى الشعراء الرمزيين :
« اوجد ايجاد الفن ان يحبنا ابناء من احتقرونا وازدرونا » . فمن
مبلغ هذه الكلمة اخواننا الشعراء كيلا يستندوا الأكف في
المحاضر ، ويستعطوا الاستحسان في زوايا المقاهي ، ويحكموا الجماهير
في رقبتههم ؟ فقد احسن الرصافي هذه المرة اذ عدى عن الشعر وقال
نثراً في حفلة الشام ، فغلب المسك على ريح « البصل » . انا لم اقرأ
كلمته ولكنها بلا شك خير من ألفية لا إبداع فيها ولا تجديد ،

فليس الشعر ان نعود القهقري ، بل ان نشب الى الامام لنضرب
الارقام القياسية للاجيال الآتية . ليس الشعر ان نخلق في الارض
مفتشين على السنابل الساقطة لنتقطها باصابع رخوة وجبين مغبر ،
بل ان ننظر الى السهل المنبسط امامنا فنبتذر فيه حبوباً سليمة بكف
كأن كل اصبع منها سهم يبلغ ابعد مدى ، ثم نشق الارض بمحراث
تدفعه ذراع قوية كذراع الرب ... تحلم بالشتاء والربيع وتتوجى
حلول الصيف للوقوف على البيدر بجهة عالية ، كما يرجو المؤمن ساعة
الدينونة ليلقى وجه ربه .

فقبل الخوض في موضوعنا الصاخب لا بد من ترصيد الحساب
بيننا وبين بعض قرائنا . وصلني مكتوب بواسطة «صوت الاحرار»
عليه طابع بريد بروكلن ، توقيع «عابرة سبيل» ، وتاريخه ٤ حزيران .
ان تاء التانيث المربوطة لم تخف عليّ ذكورة الكاتب ، ولكنني
ساخطبه ، تيمناً وتبركاً ، كالانثى ، وإن خدعت فلي مثيل في
التوراة ، ذلك الاب القديم ابن جدنا ابراهيم الذي اقتداه الرب
بكبش . ألم يقل : الصوت صوت يعقوب ، واللمس لمس عيسو ،
حين بارك يعقوب مشترى بكورة اخيه بطبخة عدس ؟ فلتحي
«المجدرة» التي ابقت لفلسطين نسل يعقوب المبارك .. !

قالت لي هذه السيدة او الانسة بل العفريتة في كتابها : « بما
أن الوقت وقت مطالبات كما تصرحون ، لا اعلم لماذا لم تنشر صوت
الاحرار خطبة عكاظ الحكمة ، لأن من يقرأ مداعبتكم للشيخ
يكون كالاطرش بالزفة واكثر » - ومع ذلك زغردت لنا من بعيد ،
سلم فمك - « فهل صوت الاحرار إخبارية يا ترى ؟ »

انا يا مولائي لم أنشر خطابي ، الذنب ذنبي فلا تلومي غيري ،
وانا لا ألوم غيرك فقد جعلتني في حديثي معك كمن يلحس الفرن ..
والبقية عندك لانك لبنانية تفهمين كلامنا وامثالنا ، والدليل قولك
لي : « وأخيراً ، لا بد من يعطيكم العافية ، والتحية القروية
لدفاعكم الحار عن حشو أدبنا العربي بالتبن بدل الزبيب الدربلي ،
كما قلتم مرة ، فالشعر ابن الالهام لا عبد المقام ، هذا إذا وثقنا
برأي قادة الشعر في العالم ... الى الان لم ينظم جوت مايسفيلد
شاعر الدولة في انكلترا قصيدة رثاء للملك السابق ، ولا قصيدة مدح
او تهنئة للملك الجديد ، لانه ما لم توح له الآلهة ذلك لا يفعل » .

اسمعي يا عزيزتي جوابي على هذا : قد تكون آلهة مايسفيلد
شاعر دولة انكلترا آلهة انكليزية باردة لا طائفة مطوقة حنون كآلهة
المتنبي التي تخيلها شاعرنا ... وبعد تناولي رسالتك ، عفواً ، بعد ان
شرفني كتابك العزيز ، جاءني بواسطة « صوت الاحرار » مجلة
عربية - « البرازيل المصورة » - ارسلها « احد المعجبين » فوجدت
فيها مطلوبك ، أي شاعراً عربياً سدّ غيبة مايسفيلد شاعر الدولة
الانكليزية - في ذمتك هذا اللقب - فرثي بعبارة حرّى صاحب
الجلالة الملك الامبراطور جورج ومدح خليفته ادوار وهنأه ،
وهذا مطلعها الساحر :

مات المليك العظيم القدر والداب

فابكوا عليه وكحل العين من صاب

الى ان يقول :

فقد رأيناه حراً كاملاً ورعاً مع ان مخدمه ما كان بالنابي

نعم ان الملك جورج أخ لنا وهو حامي الايمان والماسونية
في العالم .

فليرحم الله ملكاً جاء ساحته كما يجيء الاسير الخاسر الآتي
وليُجلَسَنهُ يميناً مع ملائكة ويلهم الصبر أهل الكوكب الخابي
لا تعجبي من « يجلسنه يميناً » ، فهذه من طراز « يميناً سر » ،
وشمالاً در « لغة الكشف الذي ابتدعته انكثرا . ثم شاء شاعرنا
الفحل الهدار ان يحاكي الشاعر العربي الذي قال : هنا محا النخ .
ولكن في ذنب قصيدته لا في رأسها ، فانتقل الى مدح ادوار
فاسمعي كيف يقول (مايسفيلدنا) ، وهذا ابداع لا يأتي بمثله الا
دموس في الشرق :

وفضله شاع في الدنيا باجمعها وقد أشع كمثل الشمس في آب
وقد تبوأ عرشاً لا مثيل له اذ قام جبريل والاملاك بالباب
مسكين هذا الملاك العجبي فكلما عن لشاعر غرض اتخذه
مرسالاً او بواباً ، كما جعله بشارة بدلاً من باسيل القمر بواب
بكركي يوم مات البطرك الياس . ولم يحرم الشاعر الملك ادوار
من طير ابابيل فقال :

في الجو طير ابابيل لتحرسه فتعتلي وتصيد الزردق الهابي
ولم ينس هذا الشاعر الكبير مصيبتنا القومية ، وهذا ما يؤهله
لقب شاعر العروبة ، فذكر بها صاحب الجلالة رأساً ، غير مكتف
بمعاتبه جون بول ، كبشارة الذي يأتيك خبره ، فاسمعي الآن
قول شاعر « البرازيل المصورة » :

فان لفظاً تؤديه يفرجه
ويمنع الخلف من حيفا الى الكاب
هذا رجاء فأيد ما بهم به
لطفاً من الملك المحفوظ بالآب ..

والابن والروح القدس ، وربما يقصد الآب الضابط الكل ،
ما يرى وما لا يرى .. كيف رأيت ؟ أعجبك هذا الشعر يا اختي ؟
قولي معي يخزي العين ، فالجملة بجملتها مدفع رشاش ، ولكنني
سأكتفي منها بكلمة اخرى وجهها الشاعر تهنئة لفخامة الرئيس
الاستاذ اده ، فاسمعي الغرائب العجائب :
بمثلك قد لاقى رئاسة لبنان لانك في الكهلين في عزم شبان
ولا عجب في ان تعز وترتقي

الى القبة الخضراء في الفلك الثاني
الآتين معي ان الله رفع شاعرنا هذا الى اسفل ، فحلّق في
جوا على من جو شعرائنا الذين مدحوا فخامة الرئيس ؟ ويكفيننا
منه هذا الحنّام لنعده مع الفحول :
ودم يا اميل الخير للمجد والعلی فطلعتك الغراء خير للبنان
واذا قلبت الصفحة الاولى قرأت على الصفحة الثانية قوله ايضاً
لرئيس ولاية سان باولو :

قدم يا رئيس الخير للعز والعلی لتجيا الرعايا في حماك وترتعا
فافتحي مناخيرك يا اخيتي وتنشقي عبير هذا الادب ، واسألني
مار شليطا ، ان كنت تؤمنين بشفاعاة القديسين واختصاصهم مثلي ،
ان يشفع بنا لدى الله فلا تقع هذه الجملة في ايدي المتمشرقين فتتخذ

نموذجاً للشعر العربي في القرن العشرين ، عصر الاعاجيب ، فيطول
عمر الانتداب سبع سنين .. وتعود وفود العرب من باريس ولندن
تلعن الشعر والشعراء .

وان لم تعجبك بضاعة البوازيل التي اهداها الي هذا الشيطان
« احد المعجبين » حتى وضعت بين « المعجب » و « العابرة » ،
فدونك ما قاله شاعر مصري يوم مات المرحوم الملك فؤاد . الشاعر
هو عبدالله العفيفي ، وقصائده تحلّ اليوم في جريدة الاهرام
الخطيرة محل قصائد شوقي :

هل تعرفون على من نكس العلم هذا عماد الحمى والملك ينهدم
لا يا سي عبد الله ، ما عرفنا على من نكس العلم ، وليتك ما
خبرتنا ! لقد ذكرتني بكاهن أخذ جمجمة من المقبرة قبل ان وقف
ليعظ ، وعرضها على المؤمنين واخذ يسألهم عنها على نطك حتى
ازعجهم ، فقال له واحد ساذج : هذه جمجمة طنوس يافث يا محترم ،
ماذا تريد منا بعد ...

ثم ضاق الوزن فلم يسع (الى) فقال عبدالله :
فؤاد ابن ، ومصر غير آمنة الريح عاتية والموج ملنظم
لا اعلم ، وشاء الشاعر ان يورّي فجاءنا بهذا البيت المفكك
الاوصال الممزق كالاشلاء :

احالها الحزن اشلاء ممزقة جسم بغير فؤاد كيف ينتظم
ثم خبرنا ان يراعه كان يستمد الوحي من الفقيد العظيم بقوله :
قد كنت وحي يراعي حين اشرعه
فالآن بعدك لا شعر ولا قلم

صدق الشاعر فقد نظم بمناسبة الاربعين قصيدة طويلة لا وحي فيها ، ومع ذلك افتتحت بها الاهرام نشرتها ، وضبطتها بالشكل الكامل خوفاً من ان تضع بعض الفائدة ، أو ان يغرب شيء عنا من اسرارها البيانية . القصيدة منتقاة الالفاظ جيدة الوصف حافلة بالعاطفة ولكنها عاطفة من لا يوثاقه الابداع فيخرجها بصورة رائعة . نظم قصيدته هذه على وزن قصيدة ابن سينا العينية التي قال مثلها الحوراني في رثاء ابراهيم اليازجي . وقد رأيت في قصيدة عبد الله بيتاً ينظر — كما يعبر صاحب اليتيمة — الى بيت الحوراني ولكن شتان بينهما ، قال الحوراني :

كيف التفت أراه مبتسماً على عهدي به فكأنه يحيا معي
وقال العفيفي :

أني التفت فملء عيني شخصه وحديثه المأثور يملأ مسمعي
واغرب عبد الله كما يغرب عندنا ابو عبد الله ، فخبرنا ان النيل واله — كناية الحنساء — متعثر ، يفيض بعبرة منهلة وهم متزعزعين — لا بدع فالايام ايام الفيضان — حتى لبس السواد وسعى زهره بقادمتي غراب ابقع . هذه عادة شعرائنا في الرثاء لا يقلعون عنها ولو انقلعت عيون النقاد كلهم . انهم يسخرون الطبيعة لما يريدون ويشهدون عليها زوراً . ان مصيبتنا بشعرائنا كبيرة ، يقولون بل ينظمون الشعر لا ادري لماذا . اتريدين أيضاً من هذه البضاعة ؟ خذي ، لدي منها اكثر من ذنوب ابي نواس . نظم العلامة الاستاذ عيسى اسكندر معلوف عضو المجمع الملكي المصري تاريخاً لوفاة الملك فؤاد ، قال :

رمت ارض الكنانة بالفواجع^١ سهام مزقت منها الاضالع^٢
بلاد العرب قد فقدت فؤاداً عزيز الملك محمود الصنائع^٣
الى ان يقول :

نعزي الدولة العظمى بخطب يخفف وقعه (سعد الطوالع)
فؤاد غاب لكن ارحوه بفاروق فؤاد العرش راجع

١٣٥٥

وفي القصيدة تنجيم وكشف بخت ، وهذا يقتضي الحساب اما
الحساب فمضبوط ، ولكن الشاعرية خائرة خائرة ، يذكّرني نفس
الشاعر بالمرحومة عائشة الباعونية . ليت الاستاذ المعالوف يعمل بمثلنا
اللبناني: طلعت ذقن ابنك احلق ذقنك . لقد جرب الاستاذ آلهة الشعر
طويلاً فما حذت وما رقت ، وما نظرت عطفاً اليه كما ترجى ابن
الفارض ، فليدعها وشأنها . اما تجاوز حد الاربعين؟ فليترك الشعر
للمحروسين ...

وماذا تريدني مني ايضاً يا عزيزتي ، ذكريني . واخيراً قلت لي:
« عسى ألا اكون ازعجتكم بتطفلي على ساحة ادبكم ، أو عكرت
دقيقة من وقتكم او ان العطة الخ . »

قلت بنبرة قوية تكادين تسمعينها من بروكلين لو تمسكت بخيط
مخايل نعيمه الذي مدّه لماري هاسكل :

« حاشاك يا ست ، أهلاً وسهلاً بك ، شرفت وما كلفت ،
ثني ولا تجعلها بيضة الديك ، واذا زرتنا مرة أخرى فارفعي
ازارك - بلا معنى - لا تؤاخذيني ما قلت اخلي عذارك . لا
تقطعي عني رسائلك ففيها إلهام ووحى . عشت يا عروس وسمت

للارمل الذكر - كمال قال جرير - الذي يغتتم الفرصة لبسرق
اعلاناً في « صوت الاحرار » وينشره بلا ثمن ولا رقم ...
حيا الله روحك الحفيفة . اما ما بقي من كتابك فسيدبقى سرّاً
مطوياً لا ينشر إلا بعد موتي ، وهو ابيض كقلبك ، أسود كحظي
من الدنيا ..

٨ - ١٩٣٦

يدير مصر

أما الأديب الأستاذ محمد أسعد الكيلاني الذي أحال عليّ غريمه (المنار ٢٣ تموز) يبراعم الشاعر الأستاذ عمر يحيى فهو عندي باليمين وحوالته مقبولة ، ولولا انصرافي الى درس محصول الشهر لأديتها « غب الاطلاع » ، فللاستاذ عندي مبلغ من الفضل ، بل امانة في صدوقي تخوله حق التحويل على مصري في ساعة يشاء ، ولصاحب « البراعم » ايضاً كرامة يستحقها ديوانه الذي أهدها الي منذ اشهر . ولا بد ايضاً من رد كلمة جاءتنا من خلف سبعة بحور - كما يقولون في لبنان - بعث بها الى « الهدى » حضرة الأستاذ حنا الخوري الفغالي . تجاهل الأستاذ حنا وقال : « انه لا يعلم ولا بشارة الخوري يدري اسباب غضبتنا » . قلت : « والداعي ، ايضاً ، لا يعلم انه غضبان » . واخيراً افترض اخونا حنا الاسباب ليقول : « ان كانت لعرب وثارته فقد اخفق مارون عبود . وان كانت سياسة فهل دخلت السياسة شيئاً الا افسدته » اما ثارات يعرب فتدع الكلمة الفصل فيها للمنصفين الذين رفعت عن اعينهم الغشاوة . واما السياسة فما ابعدها عنها ! إنا نوّمن ايمان بطرس بافسادها ، ونصدق هذه

الكلمة الماثورة تصديق ابي بكر ، وعندنا على ذلك براهين قاطعة :
اولها افسادها شعر اخينا بشارة . فلو ظل ابو عبدالله زهيرياً كما
نشأ ، يبكي وينوح وينتظر الحبيب في الزاوية حتى اذا خلف المبعاد
صرخ من قلب مقروح بلسان البهاء زهير :

ووعدتني يوم الخميس فلا الخميس ولا الاحد

اكان له الشعر الغنائي المحبوب على علاقته ، ولكنه عدا طوره
ومزاجه . شاء ان يقول شعراً قومياً سياسياً ، وعضلاته رخوة ،
فاخرج هذا الشعر المشرشر ، الذي رأيت وترى نقده .

ان بشارة شاعر مقاطع ، وإن اردت كلمة اوضح فقل
« طقاطيق » مثل : الهوى والشباب ، وجفنه علم الغزل ، وغيرهما
من شعره الرائق ، فهو لا يسك في هذا الميدان .

وهناك رسائل شتى لا ينفصح المجال لذكرها ، منها واحدة
توقيع صاحبها « اخوكم ابو احمد » طواها على « حاملات الطيب »
— طرابلسية معلنا شبلي الملاط — فطوينا الثنتين معاً لما بدا لنا
من مرسلها عيب نفسه ، فهو يتمثل بشمشون حين قال : علي وعلي
اعدائي يارب ... أما الآن فلنعد الى موسم الشعر في مصر .

*

ان الحصاد كثير والفعلة قليلون فنسأل رب الحصاد ان يرسل
فعلة لحصاده . يظهر ان عالم الادب العربي جارى الطبيعة هذا العام
فكانت هذه الآونة ايام حصاد . الحصاد كثير كما قلنا ولكنه خفيف ،
البيادر كبيرة ولكنها قش سنابله هيفاء ، فحظ الاهراء منها قليل ،
اما حظ المتبن فكثير . هذا ملخص رأينا العام في بيادر هذا

الشهر ، فلنذكر أولاً بيدر مصر .

ان حلم فرعون الذي عبره له يوسف بن يعقوب يصح في مصر
الادبية ايضاً . ابتلعت البقرات السبع العجاف ، القباح الهيئات
جداً ، البقرات السبع السمان الأبدان ، الحسان الصور . وقد
ذهبت السنابل الجافة الدقاق ، كما تقول التوراة بالحرف . فموسم
الشعر الذي اقيم هذه السنة ، بعد استعداد سنوات ، فحل قبل ان
اكتنز ، فلم يبيض الوجه ، وكان أبشع جداً من البقرات السبع
العجاف ، وكأنهم شعروا بفشل موسم الرز فشاؤوا ان يعتاضوا
منه بموسم الفول ... فقد بلغنا انهم سيقومون موسماً آخر سموه
اولاً « موسم الشباب » ثم « مهرجان الشعر الحديث » فاغضبوا
الدكتور زكي فقامت قيامته عليهم في « الجهاد » . ان تسميته
بالمهرجان البق وألحق ، فمن الموسم ترجى الغلة ... اما المهرجان
فاسمه يدل عليه . ولماذا نستعجل الامر قبل اوانه ؟ قد يكون
بين فتیان هذا المهرجان من يحقق قول شاعر الشباب الخالد :
ويأتيك بالاخبار ..

وكأنني بالدكتور مبارك قد شعر بمحل « الموسم » فكتب في
« الجهاد » يخاطب العراقي باشا وزير معارف مصر : « لو كان الشعراء
ينتظرون منك هذا الصدر الرحب لما طوى الهراوي قصيدته في
معاتبه رئيس الوزراء ولما أخفى الاسمر قصيدته في « الامتيازات
الاجنبية » ولما اغفل صاحبنا فلان - اي هو الدكتور زكي -
قصيدة « غريب في مصر » لينشد قصيدة « غريب في باريس » .
قلت : وأي فرق بينهما ؟ فليس في هذه من ملامح باريس الا :

أديم أجوائها سواد فلا شروق ولا غروب
 فلو لا هذا البيت لاستطعت ان تغنوها « غريب في تل أبيب »
 ومع ذلك فأنت لا تخطيء اذا عنوانتها « غريب في وطن بلفور » .
 ان « غريب باريس » قصيدة الدكتور زكي ، من البضاعة الرائجة
 في البندر لفظاً ومعنى ، فهي معرض للالفاظ المسووسة ، والصور
 البائخة : كرقابة النجم ، وشهود الزهر ، والصبأ والشمول ،
 وعيون المهى ، ومجنون ليلي . ليت دكتورنا استبدل المجنون بابن
 ابي ربيعة ، فمحيط باريس ربيع قلبه ، انه يلائمه جدا ، ولا يرى
 فيه مثل ابي الاسود ... انه يغنيه عن (عتيق) فيكون عتيق
 نفسه في بلد يريه كل ساعة جديداً . كما نتوقع الجديد من دكتورنا
 الذكي وهو يأتينا بشيء من مثله انما في غير الشعر .

هذا ما ازعم للدكتور فعسى ان أقرره عليه ، فنصيحتي له
 - ان جاز لمثلي ان يعالج دكتوراً - ان يطلق النظم ثلاثاً
 فليس لما ينتجه هيئة من يعيش . قلت هذا لان طعم قصيدته
 « يا اهل اسبوط » ما زال تحت اضراسي ، ولا ازال اذكر مطلعها
 الرائع باعجاب ...

يا اهل اسبوط لا زلتم بعافية وان تمرد في وجدي بكم دائي
 عوفيت يا صاحب ، وشفاك الله من وجدك بالشعر ، الزم
 المنشور يا شيعي ، فلا خبز لك في معجن عبقر . ليس الفن الشعري
 ان نردد ما قيل ، بل ان نقول ما لم يقل ، ومن يعمل غير ذلك
 ضل وانتحر على اقدام الآلهة .

اني اخاف عليك الضجر والملل ، ايها القارئ ، ان فصلت

لك وصف هذا الموسم الماحل ، وكذلك اجمل قائلاً لك : ان اغراضه
بما قرأت وتقرأ كل يوم ، فهناك وصف خمر ، وحكم ، وقوميات
حتى الوقوف على الاطلال ... ما في وقوفك ساعة من باس .. ان
اكثر شعره مقول ، بل هو محصول اعوام سالفة تشم العطن اذا
استروحته ، وترى العفن ان تأملته ، أما المستبضع مثلي فلا مفر له
من احتمال الروز والتقلب فاسمع كلمتي في ثلاث اربع قصائد :
افتتح الموسم الاستاذ الجميل بكلمة من منشوره كانت خيراً
من شعر الموسم ، ودلت بوضوح على ثقافة انطون العميقة وروحه
الشعرية التي عرفناها يوم كان بيننا يحرر « البشير » . اما « عاصفة
روح » ، قصيدة ناجي التي استغربها بعضهم ، فهي من الشعر الحديث
الذي يتعمل شبابنا اليوم لقول مثله ، ويسمونه الشعر الرمزي . ان
موسيقى قصيدة ناجي وافية ، والتزاوج بين الفاظها ملائم فلا خوف
من الطلاق الباكر . اما ان نطلب المعاني المستقلة من مثل هذا
الشعر فليس هذا غرض نظامة ...

في القصيدة الفاظ تخالها تعريباً لتعابير شعراء المدرسة الرمزية
الافرنسية ، ولكن المخالفة تبرر انتحالها ، فالدكتور حسن الذوق
للتفصيل . وهو بارع في القصص على الهنداز .. اكتفي بان ادلك
على عبارة واحدة لتقيس عليها وهي زورق سكران Bateau ivre
لستيفان مالرمه ، استعملها الدكتور بقوله :

لا يهم الرياح زورق غضبان

وعندي انه لو ابقاها كما قالها ذاك لطابقت المرام اكثر ،
فالسكر احرى من الغضب بزورق يتقلب بين اكف الامواج .

اما الشاعر الحاج محمد المراوي ، داعية الموسم الذي لم يتحقق
إلا بعد ثلاث سنوات - لينه ما كان ! - فقال قصيدة عنوانها
« التجديد والتقليد » ، افتتحها بهذين البيتين :
هذا مجال تنازع الافهام من غير تفرقة وغير خصام
الحمد لله !

بإفادة الرأي الجديد تحية ، لو صح زعمكمو، والف سلام
لا أدري اذا كانوا ردوا عليه السلام ، ام اضطر الدكتور
زكي ان ينهج نهج الحجاج في العراق ، ليجبرهم على ذلك... ثم اخذ
مولانا بفقد زعم المجددين ويزدري قصصهم ، ويقول ان سوقها بارت
في الغرب - من خبرك هذا يا حاج؟ - ويخبرنا ان الشرق سبق اليها
حتى قال :

اتعيد اثرثة الحديث مجدداً وترده لحرافة الاصنام
اذا كان المراوي يعد القصص اعادة حديث ، فما تراه كان
يقول في شعره لو قرأه وهو يعلم انه له ؟ وشاء الشاعر ان يجدد لنا
الشعر تحديداً قاطعاً مانعاً فقال ، ولم يجد :

والشعر ما هو غير موسيقية في حسن قافية ونظم كلام
ألم تهزك هذه « الموسيقية » ؟ ألم تتذبذب كرقاص الساعة حين
سمعت « ما هو غير » ؟ والله ما قتلنا إلا مثل هذا النظم الذي
يعده صاحبه انموذجاً ، ولكنه ، أيضاً بلا قيمة . وتخطى الشاعر الى
بحث النثر فغير النثر قائلاً له :

فتقول في (اثنين يوم) مثلهم لا في مدى يومين في الايام
شاء ان ينهكم فجاء بالسمج البليد ! ما سمعنا احداً عبر هكذا

حتى ولا طه حسين الذي يفتخر بأنه يفكر في الفرنسية ، فائنين
يوم ابشع من ربابة بشار ، و « مدى يومين في الايام » معفنة . ثم
هل يكون اليومان من الحيوانات ؟! عفواً لم انتبه الى الضرورة
التي تحمل من الناموس ، فداود أكل خبز التقدم لما جاع فالقصيد
ميمية وانت في حاجة الى كلمة - في الايام - لتسد بها فم الفراهيدي ...
ليتك لم تنظم هذه التوافه شعرا ، فالشعر براء من كلام ليس فيه
حسن قافية كما قلت ، ولا هو نظم كلام كما امرت .

وتقول مثل الثلج غرة وجهه لا مثل وجه البدر حين تمام
قاتل الله الجلود والتحجر ! انناضل الجديد بهذا السلاح الصدى ؟
والاستاذ يريد في بيت آخر ان لا نصف الثغر الا بالدر المنظوم ،
فلا فض فوه ليظل حريا بهذا التشبيه ... وتطرق الى ذكر الالفاظ
الدخيلة مثل « او كازيون » و « ركلام » فأصاب . اننا في غنى عن
تعريب لفظة تؤذي لغتنا . ثم ختم هذه المنظومة الفريدة بقوله :

مالي وللنقاد اسمع رأيهم ما قادني عقلي الى الاوهام
ولكن النقاد لا يعفونك ، وسيان عندهم سمعت ام لم تسمع ،
فهم ينتقدون ولا يبالون بالمنقود ، بل يجعلونه عبرة للاجيال الآتية
التي يرجى صلاحها .

واخيراً تواري عنا الهراوي وهو يردد هذا البيت الفذ :
وطني هو المملي علي قصائدي جددا وشعري لوحدة الرسام
ولكنه رسام مخربش ، وجديديك أعترق من توتنخامون .
والحق نقول لك ، بعد هذا الموسم : تمخض الهراوي فولد .. ثمامة .
حاشية - فتشت كثيراً على قصيدة محمد الاسمر لانني تعودت

أن أقرأ له شعراً فما وجدتها . فلعل له عذراً دلنا عليه الدكتور
زكي الذي نقدر أدبه ، ما خلا الشعر منه - وهو عاذرنا .
وبعد هذه المرة العجلى بالموسم منذهب بك الى مساحة امير
الشعراء الاستاذ العقاد ، فتسمع قصيدته التي قالها في رجل مصر
المرحوم سعد فتطرب وتهتف : إن من البيان لهجرا !..

قصيدتا الجارم في الملك فؤاد وسعد

لم تسح مصر دمعتها الحرى على ملكها المحبوب حتى قام فيها
 « موسم الشعر » ، وما انفخت دفء الموسم وتفرق العشاق حتى
 جاء يوم سعد .

قرأت بعد كتابة الفصلين السابقين من محصول الشهر قصيدة
 لشاعر مصري هو علي الجارم قالها في جلالة الملك فؤاد . على
 القصيدة رزانة المشايخ ، ووقار الحوارنة والأئمة . خلعت عليها
 قافيتها شدة وأسرّاً فقرأنا عاطفة صماء في معرض الرثاء الذي يقتضي
 رقة وليناً . ما عرضت لهذه الا لأتحدث إلى اخت لها وأقابل بينها
 وبين « عذراء » العقاد في سعد .

في علي الجارم نخوة عنقوة متأنّ ، أنبأني بها انشاده في الراديو ،
 فهو ينتخي حتى في الرثاء . أما نظمه فعربي التفكير كأنه لم يقرأ
 في حياته غير العربية . لا تلتبس عنده صورة ولا تعبيراً جديدين
 فهو من نوع الشاعر الذي يريد الهراوي . يقول لك كالأقدمين :
 جلل هزّ كل ركن وهدّأ ومصاب رمى القلوب فأردى
 فتخالك تقرأ دالية البحتري أو كأنك أمام شاعر في الحيام

هجس هزتها ، وناظم كالشغرى يتصور الرمي فالاردا ... إن
الالفاظ امنية الجارم لا المعاني ، فهو يقول لك لا شيء :

كل صدر به انين ووجد مرسل خلفه انينا ووجدا
وخشوع من الجلال تراءى وجلال من الخشوع تبدى
فرأت حزم جاهد لن يبارى ورات جهد جاهد لن يحدّا
ذكرني هذا بقصيدة رفيق لنا قالها يوم عيد استاذنا الحوري
انطون رومانوس ، كانت كلها على هذا الحدو :

متغزلا في مدح انطون التقي في مدح انطون التقي متغزلا
والشاعر يصور هول المصاب فيوفق إلى هذا البيت الجميل ،
على ما فيه من مبالغة :

ونشيخ اقض من مضجع الليل وماجت له الكواكب مهدا
ورأى شيخنا الحشد العظيم فشبهه ، على عادة شعرائنا الكبار ،
بالبحر والجبال ، ولم ينس ان يقول ايضاً :

فوق سطح البيوت كالنحل فانظر ثم إياك ان تحاول عدا
لماذا يا شيخ ؟ وماذا يصير لو عدّ ؟ .. آه ! تذكرت الآن ،
كانوا ينهوننا عن عدّ النجوم خوفاً على اصابعنا من التأليل ...
وبعد فعند ابي شادي الحبر اليقين لانه أدري بالنحل ... وتجتاز
القصيدة من الباب إلى المحراب فتري الشاعر لا يتخيل الا سيفاً
وزهوراً ، وكواكب ودوحة تمد الظلال في مصر مدّاً الا انه لم يقل
كالاخطل : ما ان يقاس بأعلى نبتها الشجر . ثم رأى رأياً يفضح
الصبح ، وجبالاً تسير في يوم حشر ، وصغراً وشوكاً وورداً ،
ودرعاً وسداً ، حتى اذا أراد ان يظهر مقام الملك الراحل قال هذه

الحكمة البرزة، وإن لم تكن اعيت رياضتها كسرى وصدت عن
ابي كرب كقول حبيب، بل افتوتها اقلام كثيرة :

واذا الله رام اصلاح شعب سلك القائد الطريق الاسداً

انما الناس بالملوك واعلى الملك شأواً ما كان حباً وودا

لا نجرم الجارم ان استعار (انما الناس بالملوك) فقد تكون

المعارضة بغيته، ولا يريد بنيان الممالك على الاسل، كما قال ابو

الطيب. وبعد، فالشعراء جيران على بعد الزمان والمكان، والعارية

مألوفة بينهم، واليوم نحن كلنا اخوان بنعمة المستعمرين.. ثم شاء

الشاعر ان يحدثنا عن الموت فما عدا كلام المعزين البلاء في كل ماتم :

حكم الموت في الانام فسوى لم يدع سيداً ولم يبق عبداً

وبينما هو يسحق النال اذا به يقنص الاسود، وكل مهد بصير

لحداً، لا ينقصه الا : ضاحك من تراحم الاضداد، وغيرها من مجتر

الكلام والافكار... ثم لا ادري ما الحكمة التي حملت الجارم على

تفضيل (سوح) على ساح ؟ قد يكون عدها تجديداً، فتجديد

اخواتنا المصريين كثير في مثل هذه الصيغ، فهم يقولون بلا ضرورة :

اخلاذ بدلا من خلد، وحسيس اصوات، وقراب ذلك، وعكوف

عليه، وعوض بدلا من ابداء، وندوات بدلا من نواد، ونحن

عسيون الخ ..

وقال الجارم قصيدة اخرى في سعد وهي غرضنا، نظمها على

طراز قصيدة شوقي في استقبال ام المحسنين، وكاد يبدأها مثله. قال :

اكشفوا التراب عن الكنز الدفين

وارفعوا السر عن الصبح المبين

ومضى يبعث الصور والمعاني القديمة ، ولا جرم ، فنحن في موقف بعث ، واخراج رفات من ضريح ، فقال في الابيات التالية للمطلع دون ان ينقطع نفسه : ابعثوه عسجداً ، ثم اجتلوه درة ، وانتضوه سيف وغى ، وقناة هي كالحق صفاة لا تلين ، هزت جيش الابطال ثم السناء والسنى ، والمحراب ، وعرين الضيغم ، وقصب المجد ، وعلماً في فدغد ، وروضة ثم دوحة وشمساً ، كأنما شاعرنا هو المرشال فوش يوم كان يعرض الجنود القدماء امام قوس النصر .. والاستاذ الجارم كما أريتك مولع بالتلاعب الذي كانوا يسمونه بديعاً ، فيقول لك : ان للحق يمينا لا تمين .

ومع ان الشيخ ، كما ظهر لي ، كثير العناية بالديباجة لم يتورع عن ان يقول : ذاك بعث (حيث) مصر به . ثم : هل ترى للشمس في الافق تنين ، - جمع تن أي مثل - نجنا يا رب من محشر القافية ... وهذه « التنين » مثل « صبير » احمد رامي في « أوبة الطيار » ، و « غسيل » بشارة الحوري في قصيدة فلسطين . ويمضي الناظم حتى آخر منظومته يعرض علينا صورته العجائز . النظم رصين ، والقافية طنانة كالنحل الذي رآه على السطح ونهانا عن عده . اما الافكار فمن جيل الحبز ، الا انها جار عليها الزمان تظل اقرب الى النفس الشعري من قصيدة العقاد . الجارم يحشى الهلاك اذا تعدى ناموس الاقدمين ، واللغة ككل الكائنات تحتاج الى التطور . أما العقاد فيتأبى التقليد ، وهو عاجز عن التجديد ، فسبحان واهب اللحم لمن ليس له أضراس ...

قصيدة العقاد

كلما وضعت هذا الرجل على مائدة التشريح أنكمش وأهز رأسي
وأحس قلبي يتعصر شفقة ورحمة ، ولكن ما حيلة الجراح وقد رأى
« غلة فارسية » تنهدد الدم بالتسميم والجسم بالهدء ؟ ان هذه الادوار
الحبيثة تكاد تقضي على ادبنا ، فعلينا ان نكافحها بالمبضع والمصل
الواقى ، واخيراً بالكى آخر الداء والدواء .

عندما شاخ الزهاوي ولم ينقد له الشعر على طول قمرسه بآفاقه ،
أخذ ينظمه اسماطاً كما فعل العقاد اليوم ، ولا غرو فهذان الشاعران
أصدق دليل على زعم تين وبرونتير في تصنيف الادباء كالنبات .
نظم العقاد قصيدة سعد عناقيد عناقيد ولكنها حصرم يفت في عين
العروض ، وما أظن رأس واضع هذا العلم انشق الا انتقاماً للشعر
منه ، اذ عبد طريقه للناس فسلكتها الكسيح ، والمقعد .

أجل ان العقاد انتحل مذهب شلي في الحق والجمال ولكنه لم
يستطع أن يدخلهما في شعره . قد يكون أذعن له « الحق » اما
« الجمال » فغليظ الرقبة . لست احاول هذه المرة درس قصيدته
هذه بيتاً بيتاً كما فعلت فيما مضى فهي نثر اذا استثنينا الوزن ، فاسمع
مطلعها ، وفي طلعة البدر ما يغنيك عن زحل :

عرف النفي حياة ومماتا واصاب النصر روحاً ورفاتا
كلما اقصوه عن دار له رده الشعب اليها واستماتا
في البيت وصف واقعي ولكن الواقع وحده لا يعمل الشعر

والشاعر ، كما ان الحلم واخاه التذكار لا يكونان « عالم » الشاعر
الحقيقي ، فالويل للشاعر الذي لا يضم ارتعاشاته الخاصة
الى ما ورثه عن الاجيال السالفة . فلو كان الشعر سرد اخبار
باسلوب جاف كقصيدة العقاد هذه ، لقلنا لك : هذا هو الشعر
والعقاد امير الشعراء ، ولا يموت كالفرّاء وفي قلبه شيء .. ولكنه ،
ويا للأسف ، غير هذا . الشاعر لا يقول : كلما اقصوه عن دار له .
ان الشعر لا يقبل كل اللفاظ فبلعومه أضيق من بلعوم النثر ،
ومعدته لا تقبل « فتّة » العقاد القائل :

كيف يحزبه افتياتا وهو من كان لا يرضى على الشعب افتياتا
وفي العنقود الثاني يجعل العقاد قبر سعد كعبة في جوار البيت
أو سفح الامام ، فبنو مصر حجيح وزحام . ولولا زحمة القافية
ما كانت زحام ولا اختها تام ، ولولا ذكره الكعبة ما جاء ذكر
الحج والنسك والاستلام ، عقبى كل هذا الخلد المقيم كما يقول الشاعر
لسعد في هذا البيت الرائع ...

فالتق في قبرك خلداً كلما مر عام تبعته الف عام
لو كان العقاد من المجدودين وكان قبل ١٤٠٠ سنة وانشد بيته
النابعة في عكاظ لجعله ابن اخيه وشعر العرب .

وتأتي العنقود الثالث فتجده كأنه لا تبرق فيه حبة ، خاطب
الناظم فيه سعداً وأمره بعبور القاهرة ، ووصف ساعة العبور بانها
من ساعات الفردوس لاتشبه الساعات بدءاً وختاماً ، وهنيئاً لك
يا فاعل الخير ! وختم هذا المقطع بقول الواعظ على قبر الاسكندر :
قل لهم ابلغ ما قلت لهم ايها الواعظ صمتاً وكلاماً

وينتخي العقاد في الفوج الرابع ، ولكنها نخوة مُقَعَّد ، ويجي
 حمي حالم مصاب بالكابوس (مروبص) فيصبح :
 جردوا الاسياف من اغمادها ذاك يوم النصر لا يوم الحداد
 ارفعوا الرايات في آفاقها اين يوم الموت من يوم المعاد
 ان الشاعر المفنّ يستغني عن « من اغمادها » ويشعر بضعف
 « في آفاقها » فيأتي في مثل هذا الموقف بالفاظ تجعل اليد على القائم ،
 والقلب خفاقاً كالراية . ان الشاعر من أوتي قريحة كناقطة طرفه ،
 ترقل ولا ترقل ولا تخاف مثلها الملوحي . ومع ذلك اشهد انه مرّ
 امامي في هذا الفوج جندي يشبه الجنود لولا شحوب بارد عليه :
 لا يلاقى الحلد بالحزن ولا يكتسي الفتح بجلباب السواد
 فلو نظم هذا المعنى غير العقاد لحرك سامعيه وقارئيه ، فكأنما
 شاءت آلهة العقاد البليدة ان تريح ارض الميعاد كموسى ثم لا يدخلها
 فقال :

ذاك يوم ما تمناه العدى بل تمناه ولاء ووداد
 آه من « الولا والوداد » ما بغضها اليّ في هذا الموطن يا استاذ !
 ثم قال :

فانفضوا الحزن بعيداً واهتفوا فاز سعد وهو في القبر رماد
 فهذه « البعيد » بعيدة عن الشعر بعد العقاد عن الفن . لبيته
 نفضا مع الحزن ، ولكنها ستجلو حين نرى أبشع منها واشنع كقوله :
 المعيقون تنحوا جانبا آخر الامر وسعد في البناء
 اتعرفها أم ادلك عليها ؟ انها آخر الامر واختها المعيقون ،
 وسأريك ابشعين واشنعين ، فبعد ما حدثنا العقاد عن « نقلة الشمس »

مع اننا فتنا آذار ، ورأى انها ترمز الى نقلة سعد قال :
هو أيضاً قد طوى ليل الردى وطوى ليل الغواشي والكذاب
اظنك عرفت انني أعني « هو أيضاً » اما « الكذاب » فلا ترعك
فهى من تجديد بعض المصريين . والخلاصة ان العقاد قد منّيع من
الشعر بعلمين قتالتين : الركافة وضعف الخيال ، فلو صار مثل
« أرجو » له مئة عين مبصرة ، وركب نسر حيقار ، ومركبة
ايلياء ، وعلا صهوة البراق فلن يبلغ سماء الوحي ولا يقارب آفاقها .
وخبرنا العقاد في آخر القصيدة عن كتابه في سعد ، فأما
وصدقنا انه يكون كتاباً قيماً ، فالعقاد كاتب مفكر ، ولعله يظن
ولا ينشر فيه ما قاله نظماً في فقيده مصر فينجو الكتاب من النحس .
فاتني ان اخبرك ان العقاد استحل اللام فحشرها حيث شاء :

واثبت في مستنقع (النظم) رحله وقال لها من تحت اخمصك الحشر
واليك بيته لتحسن الحكم عليه :

الفراعين الى اجليتهم تمنوا لو أجازوك الطريق
ثم قال أبياتاً بعدها جاءت على نسق زجلية رواها لنا الدويهي
في تاريخه وهذا مطلعها :

محرز دينك يا نخلوس حميت الضيعه بالدبوس
وإذا سألتني ماذا في قصيدة العقاد من حسنات قلت لك : انها
وثيقة صادقة تفضح الدسائس السياسية حول سعد بعد موته ، وحول
قبره هذا . فالعقاد ينبئك - وما ينبئك مثل خبير - ماذا فعل
فريق من المصريين وكيف عارضوا نقل رفات البطل . كان هذا
أبلغ لو قاله العقاد نثراً ، فالنثر أطوع له ، ولكن العقاد عنيد يظن

النظم خصماً سياسياً لا بد له من قهره ، فعبثاً ننقده وننصحه فهو
كأسدٍ يشتر يظن مقالتي زوراً وهجراً ...

إذا كان النقد كما يريد سنت بيف ان شعر ونخب عن شعورنا
فانني لم أشعر بشيء من الشعر في هذه القصيدة . ارى مصر في سني
القحط السبع فعسى أن يطول عمري الى انتهائها . قد ذهب الزمان
بدنيا شوقي الواسعة . نعم ان تخطيطها قديم ، بيد انه فيها من الفن
العربي الحميم بصاحبه . أما العقاد فأشبهه بتليسة - قرية على
طريق حلب - كل بنيانها من الحواري على طراز كوم الحلد . إنه
يعرف مقاييس الفن كطالب يعرف أسرار الاختراعات من
الكتب ، أما العاطفة الحية التي تدب في النشيدة فما رزق منها
شيئاً ، وهو ينظم بعقله وليس لقلبه عمل .

قال الله في كتابه العزيز : وارسلنا الرياح لواقح . ونحن
عسيون - التعبير من تجديد العقاد - أن نلقح هؤلاء النائمين في
ظل سديانة الكنيسة ولم يدخولها ليشعروا بقشعريرة المتهجدين ،
فعونك اللهم على هؤلاء الذين يطلبون « الحسنة » بالدبوس .

أما الآن فقد حان أن نعود إلى برّ الشام فغريبتنا طالت في
مصر ، والغريب يشق إلى أهله ، فلندع العقاد يغازل ربة الشعر
مستعيناً على تليين قلبها بقول ابي فراس : معلتي بالوصل ...

بشارة شيخ السفرة

لا ديك الفجر ولا بلبل الصباح يغنيان الانشودة
التي يشتمونها .
روستان

خطب المستر ستانلي بلدوين ، وزير انكلترا الاول ومستشار
جامعة كمبريدج ، في مئتي مندوب من ممثلي جامعات الامبراطورية
البريطانية ، فجاء في خطابه : « إن الشعراء الكبار نادرون بل هم
أندر جداً من العلماء الكبار الذين يخلق علمهم الشيطاني المواد التي
تبيد الانسانية ، فلذلك أسألكم ايها السادة ، ان تكثرُوا بين نتاج
جامعاتكم عدد الشعراء الذين ينفخون في اوروبا بل في العالم اجمع
روح الاتحاد والحرية » .

فاستغرب هذا الطلب كاتب افرنسي فقال : « ان الشعراء لا
يعملون توصية ، فمهما كانت قوة الوزير البريطاني الاول ، ومهما اشتد
ميل الجامعيين الانكلوسكسون فلن يستطيعوا ان يفبركوا
الشعراء جامعيّاً ، ولا ان يصدّروهم بالجملة كالحامين والاطباء
والمهندسين الخ » .

اجل ، ان حاجة العالم الى شعراء حقيقيين كمحاجة الغابة
الحرساء الى طيور فضيحة تحفف من الذعر الذي تلقيه وحوشها

في النفوس ، فكلمنا ابتعد العالم عن الشعر اقترب من الهمجية .
ولكن خلق الشعراء مستحيل ، اما تجويدهم فممكن . ليس الشعر
علماً ولا التفريد صناعة ، ولو كانا كذلك لأتقنها المتشاعر والغراب .
ومن يحاول ان ينتج من نفسه ما ليس فيها فانما يدرك فشلاً مخزياً .
كثيرون من الشعراء - كالعقاد والزهاوي مثلاً - يتعبدون
وبجاورون طول العمر فلا تتعرف اليهم الآلهة ولا يرون لها صورة
وجه . فكم من كاهن يأكل ربه كل يوم ، وربسه لا يدخل تحت
سمقف بيته ، بل يصرخ به : اغرب عني ، لا اعرفك . وكم من مؤذن
يذكر الله ورسوله ، كل يوم خمساً ، فيرقص صوته على السطوح
ويتغفل في النوافذ . ان مناجاة رجل عامر القلب بالايان ، لا يسمع
جاره هسهسته ، تسبقه الى اذن من وسع كرسيه السماء والارض .
بعض الناس يصلح شماساً للكنيسة فيريد ان يكون واعظاً ،
وبعضهم يحسن التكهن فيطمع الى عرش راعي الرعاة . وهذي
مصيبتنا الكبيرة بأخينا بشارة الحوري : الاخطل الصغير ، شاعر
لبنان ، شاعر العرب - ميراث حلال زلال عن الكاظمي في حياته -
واليوم شاعر الاقطار العربية ... مسكين خليل مطران عاقل جداً ،
تأكل الدجاجة عشاها ولا يكشها ، انه لا يهش ولا ينش ولا يسائل
عن شي .

لا بد لمحصل الشهر من بشارة ، فالزيتون شيخ السفرة ، وما
شيخوه الا لانه مجهز كشعر ابي عبدالله الذي لا يبخل ، كلما سنحت
الفرصة ، بقصيدة تناسب المقام ، حتى صار كالحوري الذي ينتظر من
يرقدون بالرب ليرفع عقيرته مرتلاً : حوين لحاطويه ... ان بشارة

ينظم ونحن نقدره ، ونعني خصيصاً بشعره ، كلما قدر لنا ذلك ، اما رجاله الذين يطلعون علينا من هنا وهناك ظانين انهم يدافعون عنه فيشبهون متى الاطرش . مر رجل على متى هذا وهو يحرق حقله فحيّاه قائلاً : عوافي يا متى . فاجابه متى : ازرع بطاطا ... فتبسم له الرجل وقال : تأكل عزرائيل يسحب روحك . فقال متى : انا وابن عمي سليمان .

اننا نرثي جداً لرجل حاد عن الطريق فقلنا له : من هنا يا اخ ، فنتأ و اجابنا : ماذا يعينك مني ؟ لا اناقش بشارة في قصيدته لغبطة البطريك فهي من نوع « نظم المنشور » واكثرها مما يقوله رافعو الكؤوس في المآدب ، والمؤهلون بالضيف ، ولكن لي كلمة اقولها قبل كبّ السلة . ان بشارة لم ينس عيسى بن مريم في يوم الشعانين فشبه به البطرك انطون ، وكاد يكون هذا طبق ذاك لولا ان المسيح الملك - كما لقبه البابا اخيراً - ركب جحشاً . وصاحب الغبطة اقلته سيارة جلس فيها عن يساره ممثل قيصر . مشى حوله وحواليه من يعتصرون الزيت ولا يحملون ابدأ غصن الزيتون ... واغرب من هذا جمرة الشاعر المبدع بل قفزته العالية من على ظهر الأتان الى جناحي النسر ، فتدهوره من عل ، كحصان امريء القليس ، ثم اندفاعه الى الغابة ليشبه بليثها قائلاً : « يا نسر لبنان بل ياليت غابته » .

صرت اكره جداً هذا التشبيه بالنسر وزميله الليث ، فقد ختم لكثرة ما ناشته الايدي ، ولا تنس ان العامة سبقونا اليه فقالوا فيه احسن منّا ، واليك ما سمعته مرة من مغن يزعم في عرس :

يانسر يا شايب الراس مالك على الجوع قوة
ان كنت تاكل لحم ضاني دونك والعريس ابو المروّة
فما يقول بشارة في هذه البلاغة ؟ وهل يجوز له ولغيره من
الشعراء ان يطاولوا النسور .. ؟

وان نسي بشارة جعل « مار انطون » قافية بيت يزيد على قامة
قصيدته اصعبا ، ويربجه تصفيقة حادة فانه لم يسه عن ذكر العهد
— الانتداب — والوعد فحمد القوم قبل وبعد ... وافر لهم بالفضل
أيضاً ، وهو بمن عرفوه اكثر منا .. ثم لم يجرمهم من العتاب الذي
هو صابون القلوب فاسمع بيتيه الجامعين :

الحمد قبل لهم ، والحمد بعد لهم لما استفدناه من علم وتمدين
لا نجحد الفضل لكن قد يجوز لنا عتب الاحبة من حين الى حين
كل القصيدة من هذا الشعر الرذل كأكثر شعر بشارة السياسي ،
وشر البلايا المضحكة . ان « اخطلنا » ينظم محليات الجرائد ويزعم
انه شاعر العرب بلا منازع .. فايك ، مثني وثلاث ورباع ، ان
تمنعه من هذه الجبة الفضفاضة فانه يغضب ويجرد ، فاللقب حلي
بعينه ، وهو يتمسك به بكلتا يديه تمسك الطفل بلعبته ، ولا يفلتها
الا باكياً .

قصيدة بشارة في فلسطين

فلسطين اختنا ، بنت عمنا ، حبيبتنا ، جارتنا ، ومصيبتنا ، والله مصيبتنا
فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم . نحن ننقد شعر بشارة

الحوري فقط . ان قصيدته في فلسطين عليّة منهوكة بليتها تقطع
النبض . فالشاعر ينط فيها كراقص الشارلستون ، أو هو كعصفور
دوريّ يسقط على الحب ينقر ويتلفت . فيينا يسائل عنا العلياء
والزمانا إذا به يرتقي في « زبلين » جديد لطير بنا الى لندرة
لمعانة جون بول :

قل لجون بول إذا عاتبته سوف تدعونا ولكن لا ترانا
أقول إنه مشتاق كثيراً إلينا ؟ بل من قال لنا انه يقابلنا إذا
لم غش اليه مشية بشار ... ان هؤلاء الانكليز لا يعاتبون ولا
يعاتبون ، فهم صم بكم عمي الى آخر الآية . القافلة ماشية فقل
ما شئت . ثم قال لجون بول أيضاً :

قد شفينا غلة من صدره وعطشنا فانظروا ماذا سقانا
فذكرني بقول القائل :

تأمل من خلال السجف وانظر بعيشك ما شربت ومن سقاني
لم يقل شاعر العرب الاكبر ... شعراً يبيض وجوهنا السمراء
في الابيات الخمسة الاولى ، أما البيت السادس :

ضجّت الصحراء تشكو عريها فكسونها زئيراً ودخاناً
فحسن ، وهو من الشعر الفذ مبني ومعنى . وان كان بشارة على
دين بشار ، يرضى من القصيدة بيت جيد فقد بلغ مشتهاه .
فليكثر من النظم ليكون له مثله اثنا عشر الف قصيدة ... ان
هذا ممكن فالموت متلاحق ، والفرح لا ينقطع ، وباب بشارة
مقصد . ولكن ما يأتي بعد هذا البيت الجيد ينسينا حلاوته ،
فاسمع ما قال :

ضحك المجد لنا لما رأنا بدم الاعداء مصبوغاً لوانا
 أليس هذا تصوراً صبياناً يضحك أكثر مما « ضحك المجد لنا »
 في وحي بشارة وخياله ؟ فلا تنس أيها القارئ ما تطالع الآن فلا
 بد من رد العجز على الصدر عند الاستاذ . أما الآن فاسمع :
 عرس الاحرار أن تسقي العدى أكوساً حمراً وانغاما حزانى
 هذا عرس لم ترقص به الشاعرية ، وبشارة حط النقوط - اي
 النقود - ثم راح يخبرنا نظماً عن « العهد الذي نخرته دون ذنب
 حلفانا » . والعهد والوعد أصبحا من لوازم شعر بشارة : ولو ضيع
 العهود الشعرية - كعبلة - وقال لنا : « نزرع النصر ويجنيه سوانا »
 فما تراه زاد على مغني الميجانا القائل : نحن زرعنا الزرع واجا الغير
 حصد ... ؟ ان الزاجل قال ابلغ لان الجني للثمر والحصد للزرع ،
 الزاجل رمز ، وبشارة صرح . ثم لم يكتف بذلك بل حاول أن
 يزيدنا إيضاحاً ، زاده الله صلاح شعر ، فتعلل حبيبتنا السياسية بقوله :
 ذنبنا والدهر في صرعته ان وفينا لاخى الود وخانا
 كأنما هؤلاء الانكليز أبناء عمنا حثاً ! الفرنسيون أجنة ...
 - في قصيدة غبطته - والانكليز اخوة ود ... وما عساه ان يقول
 بعد غد إذا حاكى الطليان .. ناهيك بما في صرعة الدهر من بلادة ،
 فتباً لدهر صير اخطل هذه الايام لماماً يجمع ما تجتثه الاقلام كل
 يوم ، فيشك بعضه الى بعض عاملاً منه مسبحة الدرويش ..
 وانتقل الى وصف جهاد فلسطين الذي « صفق المجد له » كما
 « ضحك لنا » من قبل ، و « لبس الغار عليه الارجوانا » كما تلبس
 المرأة فسطانها العنابي فوق تنورتها (درعها) الخضراء . ثم تصور

هذه الداهية العظمى فشبهها ، على جسامتها يجرح في جبهتها « لثمته
بجشوع شفتانا » كما تلثم المرأة ولدها اذا سقط الى الارض وصرخ .
قد تكون الجبهة أدت المعنى الذي في قلب الشاعر ، اما انا فارى
جرحها غير ذي شأن ، لأن عظمها سميك ، كشعر هذه الايام ، يتحمل
الشج ، بيد اني لا انكر ان الجبهة عذب مقبلها لذة المطعم ، واكبر
الظن ان هذا هو الذي استحلاه شاعر ... ضع في هذا الفراغ
اللقب الجديد الذي يليه عليك بشارة .

ورأى أيضاً في هذه الثورة الصاخبة التي ايقظت الانكليز على
ثقل نومهم « اينما باحت النجوى به » ثم كان هذا الانين « عربياً
رشفته مقلتنا » والاخرى بهما أن تسقيا . وبعد هذه البدائع
والطرائف انبأنا قائلاً :

فاذا العهد غسيل بالدماء ويسوع يذرف الدمع حنانا
مع آلامك يا يسوع ! لست أقول شيئاً في « غسيل » بشارة
فيحكم القارئ على النظافة والاتقان . ولكنني اتعجب لماذا
يبكّون ، كلما شاؤوا ، هذا الاله الشاب ؟ ايظل الى الابد بكّاء
سخي الدمعة ؟ وكيف يكون ذرف الدموع حنانا ؟ لا أدري .
دمعة واحدة محتملة اما دموع وذرف فكثير على الحنان . إن يسوع
اشجع الناس وان لم يقاتل ، وكيف يقاتل من لم يجد مع تلاميذه
(الابطال) غير سيفين ... والشعب الذي هاش امامه يوم الاحد انقطع
صوته صباح الاثنين . وبعد فليس بكاء يسوع عجباً . قد يقوم شاعر
اسباني يبكيه في الغرب لان البلاشفة نيشنوه ، أي رموه بالرصاص
فهل لبشارة ان ينظم درة يخفف بها من آلام يسوع ، ويسد بها

أفواه هذا الجبل الشرير الذي يطلب آية ولا يعطى له إلا قصائد
بشارة ؟

لا شك انه نسي هذا فهو كثير النسيان في هذه الرحلة . قد
غفل عن « عرس قانا » في هذه القصيدة كما سها عن « مار انطون »
في تلك مع انها تواتي القافية والوزن ، وفيها ما فيها من التورية . فلو
كلف ابو عبد الله صاحبه عيسى بن مريم عمل عجيبة في (عرس
الاحرار) فاني اؤكد لك انه لا يقول له : ما لي ولك يا ... لم
تأت ساعتي بعد .

ثم انفجرت نجوى « اخي الود » على اختنا الحبيبة فلسطين ،
فاعرب عن حبنا وارتباطنا بعهد « قد رضعناه من المهد كلانا » مع
أن الخلاف كان على المهد ، واكثر ما تكون المجاحشة حول
« المذود » ... ثم قال : « ان يثوب والقدس منذ احتملا كعبتنا »
وهو صحيح ان صح أن يكون الاحتلام في الشيخوخة ، أي في هذه
الايام ، حين لم يبق في الكرم إلا الخطب . ومضى بشارة يفتش عن
الاعلام - قوام شعر المناسبات - فمر بضريح عدنان وغسان
ففسرهما باسم صديقه يسوع ولكن ليطوبينا نحن :

شرف للموت ان نطعمه انفساً جبارة تأبى الهوانا
وردة من دمننا في يده لو اتى النار بها حالت جنانا
حسناً قلت ، وقد سمعنا جاهلياً يقول : انا لنرخص يوم الروع
انفسنا .. ولكن الا ترى انه ليس من حسن الذوق ان تجمع
طريقنا على النار بعد ما ذكرت الموت ، وجعلتنا في يده ؟ فكلنا
يا اخي من المؤمنين بالله واليوم الآخر ، نخشى ساعة نقف فيها

على النار ، إرحمنا يرحمك الله ! وكم يكون حظ الناس ابيض اذا
حالت النار جناناً ، قدم المسيح الذي افتدك ونجاك من الخطيئة
الاصلية ما استحق كل هذا ...

ثم قال فأجاد :

قل لمن يبني على اسلائنا وطناً هلا حذرت البركانا
ولكنه لثلك بيتين بعده حتى قال بيتاً مقبولا لم يشنه الجناس
بين العنف والعنفوان . والآن قد بلغنا المحجة فاسمع ما يقول الشاعر
بعد ما اشبع الدنيا ابتهاراً :

قرع الدوتشي لكم ظهر العصا وتحداكم حساماً ولساناً
انه كفو لكم فانتقموا ودعونا نسأل الله الامانا
آه من هذه (الله) التي ملأت افواهنا حتى انقطع رزقنا .
ان من يتهدد بالبركان والعنف والعنفوان وغيرهما من وزن فعلا
الطتان الرزان لا ينتهي الى القول « امان جانم » . اوليس قولك
للانكليز : قرع الدوتشي لكم ظهر العصا الخ .. كقول صبي لآخر
ضربه : كنت ضربت ابن فلان الذي فرك مناخيرك امس ! انا لست
من قدك ! فترو يا اخي ، غير مأمور ، ان قلت شعراً سياسياً فيما
بعد ، فالسياسة تتطلب التحفظ . نحن لا ننهك عن خوض غمارها
ولكننا نقول لك : توقّ الدول

وبعد ان استجهم بشارة بياض جوفانس الحمراء توهم انه رجوع
مُرخاً فقال :

ثم الى الابطال نلمس جرحهم لمسة تسبح بالطيب يدانا
ثم نجع يوماً من العمر لهم هبه صوم الفصح ، هبه رمضان

ذكرني هذا الامر بالقيام رتبة العنصرة التي يقول فيها الكاهن
للشعب : قوموا بقوة الرب الصباوت الراكب على المشارق
والمغرب .

فما يا اخي فماذا تريد ؟ وما الفائدة من لمس الجرح ؟ ألنوجعهم
فقط ؟ سايل المتنبي عن أي دم يستحيل مسكا . فما لك وهذا الطيب
تكثر منه في منظوماتك القومية ؟ أتصبو ايضاً الى لقب أبي المسك .. ؟
ان « لمسة تسبح بالطيب يدانا » مشوشة التركيب فلهذا عذبت
نفسك للاشيء ؟ انك لم ترد على ما قلت في رثاء هنانو الا اغاظتك
النحاة المناحيس ، فيا ضياع تعبك !

اني اسألك فأخبرني ، لماذا أمرتنا بالصوم قائمين ؟ ألا تراه أهون
على القاعد ؟ بل ما حملك على نظم فكرة سبقك اليها فعلاً اخونا
المجاهد سامي سليم ؟ ليتك قلت مثله : فلنجمع ، فلنعم يوماً من العمر
لهم ، وارحتنا من القيام في هذا الحر ، اما ازعجت نفسك وعرقنا ؟
وبعد ، فما لي ولك فقد تكون رأيت في « تم » بلاغة لم نرها نحن ،
أما ارجح الظنون فانك تطمع لنا بزيادة الاجر ، عظم الله اجرك
واجرك كل شاعر يطول لقريحته في هذه المراعي .

كان الاخطل الذي انتحلت اسمه يرد التسعين ثلاثين ، فما بالك
انت تمط الثلاثة لتجعلها ثلاثين واربعين ؟ هل خبرك احد ان قصائد
هذه الايام تشرى بالباع كجبال القنّب ، او بالاقة كبعض بضاعة
سوق سرسق ؟

واخيراً لا بد من ملاحظة على « هبه صوم الفصح » . ان صوم
الفصح ، يا سيد العارفين ، لا يوفر الا السلفة (الترويقة) ، وإن

كان فينا من يصوم حسب الطقس اللاتيني فلا نوفر شيئاً ، فهلا
تستدرك هذا في الطبعة الثانية ؟ ان كسر الصفراء لا يعي الكيس
اللائق . اما اذا امرت ان يكتب عليه : ان الهدايا على مقدار
مهديا ، فلا بأس .

وما تركنا القلم للاستريح من هذه الفجاجات حتى وقع نظرنا على
نفثة جديدة من نفثات شاعر الاقطار العربية - بشارة لا خليل -
ودرة من درره المكنونة ، قالها ، لا فض فوه ، ولا عاش من يشنوه
- لو كنت انا كما يزعم - في الفقيذ العزيز الغالي المرحوم رحمة واسعة
عبد الرزاق الدندشي فأمرنا الله .

٩ - ١٩٣٦

قصيدة بشارة في الدندشي

تشتغل الطبيعة من الحول الى الحول لتصنع زهرة رائعة ، اما
الشوكة فتخلق شوكة .

حقاً ان هذا العام عام غرائب وعجائب ، فكما ظهر في فلكننا
نجم ضخيم ، كوجه الفرزدق ، كاد يخرب الارض ، كذلك لاح
في افق عالم الشعر نجم اعظم من كوكب ابي تمام الغربي ذي
الذنب ، وهو مطلع مرثاة الدندشي للاستاذ بشارة افندي الحوري ،
شاعر كل الاقطار حتى الصين والهند ، وهذا هو بنصه وفصّه :

عرفتك عفّ القول واللحظات حياءً كمنديل بصدر فتاة
أرايت في حياتك اغرب واعجب من ذنب هذا البيت ؟ اما انا
والله يشهد علي ، فما رايت بيتاً يقاربه الا : فكأنني افطرت في
رمضان ، ان صدق الرواة .

لما منحت مدام دي نواي وسام جوقة الشرف - اللجيون
دونور - من رتبة كومندور التي يقضي مرسومها بتعليق الوسام في
الرقبة ، اخذت جريدة افرنسية تداعب وتمزح ، فقالت ما يقارب
هذا : ترى اين تذيط الوسام مدام دي نواي ؟ ابغنيها مكان العقد؟

ام في صدرها ولا يعوقها ما فيه من قهم ؟ بل اين تشكته ياترى ؟
استعريض برباطه الحريري الأحمر عن محزم ضفائرها فتدليه فوق صدغها
الايسر او اليمين ؟ ام تراها تعلقه على ظهرها من خلف ؟ الخ .
وهكذا برزت تلك الجريدة الفكهة مصورة الشاعرة الكبيرة بالوسام
الأكبر صوراً شتى من خلف ومن قدام ، في الشعر وفي النحر ،
وتحت النحر .

فهل لهذا العاجز - كما عبر الاستاذ خليل تقي الدين مرة - ان
يسأل الخلق من ذكور واثاث عن هذا « المنديل الحبي » بصدر
فتاة اين يكون ؟ وكيف يكون ، ليحيى اقرب الى الصورة التي
استنبطها رافائيل الشعراء ؟ - رافائيل المصور الطلياني لا رافائيل
طوبيا ، ابو لحاف .

قال اعداء شاعرنا الاعظم الذين يقول بشارة فيهم :
كلما اطبق الفغار عليهم حشرجوا تحته وماتوا اختناقاً
ان بشارة شاعر قديم غير مجدد ولا مبدع ، شاعر غنى يا ليل ،
فقال احسن ما عنده واستراح ، وهو لا يقدم اليوم في مضيفته غير
طعام بائت ، وقد حمّض رزّه المسكوب في قصاع من الفخار المشقق
ناصل صباغها الخ . فما عسى هؤلاء الحساد الكذابون يقولون اذ
يرون هذا المنديل العجيب معلقاً باحدى قرانيه امام دكان بشارة ؟
لا شك انهم يسطمون افواههم حين يشاهدون هذه الآية التي لم يحلم
بها احد من الاولين والمتأخرين ، لا في الشرق ولا في الغرب ، ولهذا
سميته - كما مرّ - شاعر كل الاقطار ، وكفى الله المؤمنين القتال .
انه أشعرهم بهذا « العجز » ولكن بدون يا ابن أخي ، ولا احاشي

من « النظّام » من أحد ، الا شاعراً عامياً ضيّع منديلاً خطيراً ،
في زمان ستي ام الياس ، فقال فيه :

منديلي ضاع يا حوينو بايد الدلال ليك وينو
واللي أخذ منديلي يرمده وتطلّس عينو
وبعد ، فما قول القراء الألباء ، أي منديل يعني أخونا بشارة .
أمنديل العرق والامتخاط ؟ فذاك يخنفي ولا يبين منه شيء ، فهو
بحق كلي الحياء والوقار والاحتشام ، أم منديل السعوط وهو أثقل
الاعباء على جيبى ؟ أم منديل الزينة الذي يبين منه شيء يشبه
الاذنين ، وقد يكون أطول منها أحياناً فيلوي عنقه ويتدلّدل
فوق الصدر ولا يمسه الا مسّاً خفيفاً فيظهر حياءً مهذباً أديباً ؟ أم
المنديل الذي يكون في عبها احتياطاً لأمر يأتي ، كالتلويح والايحاء
ومآرب أخرى .. فيقعّد عاقلاً ، ولا يتشيطن كجرير لتهواه ، بل
يبدو رزيناً ، عفّ الحركات ، ألياً نزيهاً وقوراً برغم ما في المحيط
من مقبلات ومغريات وتوابل ؟

ثم ما تقولون في اللون ؟ فانا أظنه بنفسجياً ، بل الأرجح انه
أبيض ، من لون زنبق مار يوسف البتول ، شفيع النجارين ، أو من
لون عصاه التي أزهرت يوم اليانصيب ، أي الخيرة لستنا مريم التي
حبل بها وحبلت بلا دنس .

صدق الله العظيم ، ان الشعراء - وازيد عليهم المجتهدين في
اختراع العجائب - في كل واد يهيمون . أما كيف أضاع بشارة
ذاك الذوق السليم ، وخيم في الشاطي فلا أدري أين هذا
يا أخي من قولك الفذ - إذا صح انه لك :

والنسيم يلهو بثوبينا كطفل ذروه ما هذبوه
أما اختراعك الجديد هذا ففات « المنديل السلياني » وسبقه
ستين مرحلة ، وأخرس القائلين ما ترك الاول للآخر ...
عندما كنا في مدرسة مار يوحنا مارون نتلقى الدروس السريانية
حمي الجدل في مجلة المشرق (راجع السنة الثالثة ص ١١٠٣ ،
والخامسة ص ١٤٤) حول عبارة سريانية من الشعر الرمزي ، وهي
(شوشافو شلامونويتو . الخ ..) وردت في الشحيمة - كتاب
الصلوات الخمس اليومية للخورى الماروني - فاختلفوا في تفسيرها ،
وأخيراً تقرر ان الشاعر السرياني عنى بقوله : المنديل السلياني في
ارض داود العطشى ، أم الله مريم بنت داود ، مشيراً بهذا الرمز
الى قول الشاعر سليمان في سفر الامثال : من حصر المياه في منديل .
فالمسيح هو الماء الحي الذي حصر في احشاء مريم البتول .
فهل يقوم بعد الف عام من يفسر منديل فتاة بشارة ، كما فسر
الاب يوسف حبيقة وغيره منديل الشاعر السرياني ؟ قد يكون هذا
ان ظهر المسيح الدجال الذي ينتظرون ، وحينئذ يصير شاعر
العروبة الاكبر اكثر من شاعر ، فأبشريا بشارة !
أهذا شعر ؟ فلماذا نخدع الرجل وهو صاحبنا ، فيبعط في قصائده
الوطنية بعبطاً . قد كرهنا يا اخي هذا الشعر المقرف فان كان عندك
شيء من غير هذه البضاعة فهاهنا .
وفي البيت الثاني تأتي لفظة تدل كل الدلالة على ذوق شاعرنا
الثنيان ، فاسمع ما قال لتحسن الحكم :
ولكن اذا الاوطان نادت اجابها وقاح كنب الليث عض بشاة

فهذه الوقاح وقحة خشنه مثل كباكب الشوك ، ولولا القافية
لعنة الله عليها ، لاختار بشاره كفوّاً لليث غير الشاة ، ولولا الوزن
ايضاً لتترك العضة للكلب . ثم علق بشاره بخبرنا ما لا نعلم أي أن
السيف لا يلقي بالعصا ، والاعداء لا تدفع بالصلوات ، وان :

صداق العلى نفس تسيل على الظبى مرصعة الآهات بالبسمات
أي مكشرة . لم يقل بشاره هذا الا بعد ما « سأل الله الامانا »
في قصيدة فلسطين ولم يستجب له فعاد الى زعمنا ، والعود احمد .

وكاد يكون ما تمناه من أمان ، وكدنا نستطيع لقيان السيف
بالعصا لو اعطينا نحن مثل عصا موسى ، واعطي المرحوم الدندشي
مثل قضيب مار يوسف البتول الآف الوصف ، لان بشاره افاض
في حديثه عن طهره وعفته حتى قال في ذلك ثمانية ابيات ، كأنه كان
ينام واياه في غرفة واحدة فيجزم لنا انه « لم يعط الشيبه حقها » ،
و « زجر الهوى الا اذا كان حلية لمكرمة » . ان هذا لا يكون إلا
في « لاهوت » اخينا بشاره ، اما نحن فما رأينا منه في « الغورى »
الذي درسناه وحفظناه كالماء الجاري ، حتى ولا في « الانطوين
والليكوري » من كتب المرحوم جدي اللاهوتية . والغريب أن
الشاعر يتوسل الى تطهير الدندشي بتنقيته من الحب ، كأنما الحب
رجس او دنس من الادناس ، وكأن بشاره نسي ان الله محبة هو ..
وبعد طحير مزعج قال لنا هذه الحكمة المحجلة الثلاث المطبوعة
اليمن :

سواك يعدون السنين لعمره وعمره بالافعال لا السنوات
اذا ضمن المرء الخلود على الصبا فما عمره الباقي سوى فضلات

واراد « حسن التعليل » لموت الفقيه مصطدماً بعمود القطار
الكهربائي فجاءنا بقضْب المأذي لضرورة الوزن ، وان تسألني ما
معنى قوله :

فمت كما ماتت سوى خبث ريجها وغمرك لالارواح بالنفحات
احلتك على « حاشية » بشارة لتستدير فتفهم ان الدندشي
والكهرباء كفؤان ، وانك لا تستطيع بعد هذا التعليل العليل ان
تقول : الويل للمغلوب . فالكهرباء كالنحلة التي تشك ابرتها في الجلد
وتموت على الاثر .

ثم لذ للشاعر ان يعظفقال كلمتين من حواضر البيت ، وقد عجببتي
غفلته عن نهر بردى ، و (دُمَر) والعهد ، وغيزها من الفاظ الشعر
الوطني الدبلوماسية ، مع انه يحب النهور جداً حتى كاد يجري في كل
قصيدة نهرًا عبقرياً . ففي قصيدة شوقي نهر ولكنه نشف كالبحر
الاحمر حين انشق حتى جاز فيه موسى . وفي قصيدة حافظ نهرات
حافظ والنيل ، وفي قصيدة الفردوسي نهر طوس ، وان لم يذكر
نهر قويق في « الحلبية » فلأن تركيا قطعتة عن الشبهاء ... وإلا
فكيف ينسأه من لم يحرم الفيदार - نهر شتوي عندنا - من درة
كاملة ؟..

ما لنا ولهذا التدقيق كله فهو حرام في شعر بشارة السياسي ،
فالنهر والعهد ، والوعد ، من لوازمه ، وخصوصاً يسوع الحمل
الوديع فهو له اطوع من الخاتم في الخنصر .
صح : دمر غير منسية ، واظن القاريء يوافقني على أنه
يعنيها لا غيرها بقوله :

وبالشاطيء المغمور بالظل والهوى على حركات الماء والسكنات
ولم يكتف بشارة بذكر الصداق ، كما مر ، بل أحب أن يقطع
الشك فقرر في أذهاننا ذلك المعنى ثانية فقال :

أحيي جهاد الحاملين الى الردى مهوور المعالي فوق كل قناة
واين القناة ؟ رحم الله عهدا ، فلو عادت ايامها وايام الكبش
والمنجنيق والضبر ، ونحى المستعمرون غازاتهم وطائراتهم ودباباتهم
ومدافعهم الرشاشة لسدنا العالم . قاتل الله المجبرين ، فهم لا يعدلون
بقديد اللغة شيئا ، وحسبك القناة قديدا .. فواحر قلباه من هذه
الصور الباردة ، وواطول شوقي الى الجديد ، انما ليس كمنديل
يصدر فتاة ..

وختم الشاعر قصيدته الفريدة بقوله :
وان انا حييت الشام تنفست ربي الارز عن ازهاره بلهاتي
والصواب عن ازهارها ، فالارز من الفصيلة الصنوبرية .. إلا
اذا كان يعني بربى الارز « جبل لبنان » وهذا أغرب من المنديل
السلامي ، وتفسيره .. ثم قال :

جذبت اليه العرب بعد نفارهم وذوبت في كاساتهم نغماتي
وكل يدعي وصلا بليلى .. ثم هل نحن تتريا بشارة ؟ كنت
حسبتنا من المهتدين (المجذوبين) . ماذا تركت لسيدنا البطرك
المبجل ؟ ومهما يكن من الامر فأنت تستأهل « قبل وبعد » يعطيك
العافية ... ولكن - هذا سر بيني وبينك - ألا ترى مثلي ان هذه
« الكاسات » البقى بالجلاب واللبن الرائب - العيران بلغة حلب -
منها بنغماتك الساحرة ...

يرحم الله شيان ابن الرومي . قد تأخرت جداً يا ابرام ،
فتسميت ابراهيم عتيباً واختتنت مثله ابن تسع وتسعين ... وان لم
تفهم نكتتي فانني محيلك على التوراة ، فخذ الكتاب بقوة ، وافتح
الفصل السابع عشر من سفر التكوين . في ذمتي انك تضحك لها
ضحكتك النقية الناصعة البياض .

ليتك تنشر يا اخي قصيدة واحدة ، ولو عتيقة ، من شعرك
المطبوع لأقول فيك كلمة طيبة فقد كدت تسيء ظن الناس بي ،
كما ساء ظننا اجمعين بشاعريتك . فهلا تعود الى ايامك ! الا تذكر
شيئاً من شعر الشباب الذي كنت تسعنيه على السطحة امام
غرفتي (المعلقة) في بيروت ؟ لست ازعم انك ابدعت هناك
ابداً مجتمعاً اشده كالحجاج ، ولكني اقول انك كنت مخلصاً ،
وأعزز قولي بالايمان المغلظة . ان من لا يستطيع ان يكون جباراً
كما تشتهي فالاخلاص حليته وزينته ، وان ظلمت تفتش عن نفس
غير نفسك لتصورها لنا ، فانك تطلب المستحيل ، وتصير نفسك
شيخاً قاحلاً في عيون الشباب المتفتحة علينا .

فابك وعنّ ، ونح وانّ ، فخير شعرك الولولة ! الا اعمل ،
ودم شاعريتك في رقبتني ، بقول سميك بشار - ان تركت التاء -
ما لك ولقول صديقنا الريحاني ، فأمين فيلسوف يقيس الشعر
بالأنش وانقدم ، ويعرضه على الترجمة التي تمسخ حتى : يا جميل يا
يوبعا .. ومن يعمل مثله كان كمن يستغني بنقطة عطر عن جمال
الزهرة ، فأمين في هذا الزعم كأثم تنعزى على فقد ابنها بان روحه
خالدة في ملكوت الله . اقول هذا ولا اغضب صديقي الريحاني لأن

الفلاسفة كبار العقول واسعو الصدور .
قد تقول لي وما يقول بشار ؟ قلت :
ولا بد من شكوى الى ذي مروءة

يواسيك او يسليك او يتوجع
فتشكّ اذن يا اخي ، فشكواك في الشعر حلاوة ، وتقهرك
احلى ، وانت لا شك واجد بين القراء احد اصحابك الثلاثة ، وما
هو شرهم يا ام عمرو ... اما ان تصير الشعر الوطني ارخص من
الفجل بيعة مساء ... فهذا كثير .

٩ - ١٩٣٦

البراعم بعمر يحيى

صفحات هذا الديوان ٢١٥ ، أما الطبع فبين بين ، موشوم الوجه تنبئك تصويرة الناعورة ان الشاعر حموي ، أما اللون المحلي فيه فكأطلال خولة ...
قال عمر في (صفحة ١١٥) :

لي قلب خافق يشكو النوى ولسان نادب مجد نزار
فحدد شعره تحديداً قاطعاً مانعاً ، فديوان عمر كما قال : لسان
يندب مجد العرب ، وقلب خافق يشكو النوى ، بل قل الجفاء
وسوء البخت ... اقول هذا بعد ما ركبت البحر كما كان يسأل
المبرّد . واؤكد لآخي الاستاذ محمد اسعد الكيلاني اني لم اترك
زاوية ولا تكيّة من ديوان صاحبه عمر الا وتغلغلت فيها . سحت
فيه سياحة احمد فارس الشدياق في الاقطار ، فعسى ان تكون لي
لاحظة ذلك النسر الخالد .

ان عمر النظام يتكلم قبل عمر الشاعر . لا اعني بكلمتي هذه
ان ليس في الديوان شعر ، بل عنيت ان النظم اغلب ، فالشعر
مزروع فيه هنا وهناك كالنواعير على ضفتي العاصي ، والانيب في

كل مكان. قوام الديوان اثبات محروم قلتما رأى يوماً أبيض، فهو
رهن الشكوى والرتاء كما وصف نفسه، وسبحان من يرزق من
يشاء بغير حساب.

تقرأ في الديوان شعراً ولكنه كخمرة أبي نواس التي شبهها
بدم الجوف فتقطب منها وتعبس. ما ظننت ولا أخال غيري يظن
أن شاعراً في هذا العصر يتهافت على الغريب تهافت عمر يحيى على
قصاعه، فهو ينصب عليها ويأكل أكلاً عنيفاً كشيخ بني الهجيم
عند البحري المكرمان... مع أن بشاراً الأعمى البصير أدرك
منذ اثني عشر قرناً أن الأغراب طاعون الشعر، والفن كل الفن في
الملائمة، فقال يصف لنا شعره:

وشعر كنور الروض لاءمت بينه

بقول إذا ما أحزن الشعر أسهلاً

فماذا جنينا يا ترى حتى يعود بنا عمر إلى الوراء، إلى نواويس
القدماء، ويرينا قيام الساعة قبل الموعد، أذ بعث هذه المخلوقات
من الالفاظ فوقفت بين أيدينا كالاشباح تحمل في يدها كتبها..
فماذا يقول العم بشار لو نهض ورأى أهل الكهف يبعثون بعد ما
دفنهم هو وحط على رأسهم حجراً؟ ألا يقول بنا مقالته لذلك البصير
الذي دأبه على البيت؟

فما قول القاري بالعدملي، والاطم، ولعا، واشغى، والنغر
(بدلاً من البليل) والضحيان، والطخياء، وخمت ومشتقاتها في
شعر عمر؟ أما العدى فالكذب من خيمهم، لماذا فضل خيمهم على
طبعهم؟ لا أدري. ثم الضيغ أي الشمس. والعياب القيسية، ولولا

القليل استعمل البعاع وأماننا فزعاً . والحيس الحبيبية ، والعجول
الحنساوية ، واغطش الشنفرية ، والانف العنترية ، والاواذي
النايفية ، والمرقال الطرفية واختها الأمون والعقرقوف النواسية ،
والافتيات العقادية ، واخيراً مهم : اي ما حالك ، وهي ابشع من
ملجن بشارة ، الموروثة عن شوقي عن عمر بن ابي ربيعة . ثم جبرين
اخت بغداد شوقي .

وقد اضاف عمر الى حب الغريب واهه بالجموع الكريية كاصحابنا
الايمية المصريين فهو يستحلي مثلهم هذه الصيغ المنبوذة : كالرئسان
والتربان ، جمع تراب ، وغصنة جمع غصن ، وشجراي اي الشجر ،
وزاد في بلوانا ان ليتن هذه الاخيرة فقال :

ادواح عاصينا تمايل غبطة اطييار شجرانا تزن نسيبا
وخبرنا في الشرح ان «بابا» اللفة المعصوم ، المثلث الرحمت امرأ
القيس استعملها . وعندي انها كريية ولو استعملها جدّ جدّ امرئ
القيس ، بل لو نطق بها ابونا آدم حين رثى عمنا هابيل اول
شهداء المرأة .

وعمر يحدثنا كشيخنا امرئ القيس عن القلب المقتل ،
والمقسّم ، ويجيئنا بالهدون ثم بالركز بدل الجرس ، الى آخر ما
هنالك من احداث جديدة ، ومفاجآت غريبة من الالفاظ مثل
«تواليف» العقاد مقيّد الاوابد ، ومحرر الدواجن . اننا نعلم ان
مصر بلاد الموميات ، والشام بلاد الدمقس ، فاذا كان في نيّة
الاستاذ عمر منافسة الجارة العزيزة في خلق الموميات اللغوية
فلتبين المتحف ...

لا اظنك تستكبر ما اقول متى علمت ان عمر استعمل الجبين
بدلاً من الجبان . لا انكر انه مر على رأسي حدث يكاد يشبه
هذا حين نقل المرحوم لويس شيخو قصيدة بشر بن عوانه الى
كتابه « مجاني الادب » فاستبدل المصور بالهزبر ، فقال : هصوراً
اغلباً لاقى هصوراً ، وضرب مخ الخليل باسطوانات عروضة ، حين
رأى الهزبر خطراً يتهدد الاخلاق الصالحة ، ويوسوس في صدور
الناس ... اما لماذا آثر عمر الجبين فذلك لا يعلمه الا الراسخون
في العلم .

قال لنا من مهدوا لديوان الشاعر ، وهم كثير ، كقتلي صاحبة
ابي فراس المنحوس الطالع : ان عمر يطالع كثيراً . فقلت في
نفسي واين هو من كتاب ابي الذوق اللفظي ، ابن الاثير ؟ اتراه لم
يطالعه بعد ؟ ثم هل كل من يطالع كثيراً يعود الى الناس عودة
تأبط شراً .. ؟

واذا نظرنا الى صور الشاعر رأيناها قديمة كالفاظه ، او عدمية
كما يجب ان نعبر . فريب عاصي حماة ، يذكر لنا توضح ، ونعمان
الاراك ، وسنداد ، ويضع سلمى - اسم جبل لطى - زاوية لبيته
الشعري ، ويجري عليها الشاقول . قد فعل مثل هذا مميحي الحوري
مارون غصن حين قال منذ اسابيع : رضوى بكر كي راسخ الاوتاد
فخلته يبني عززالا . انما اعجبني منه انه تيقظ للهواء الغربي القالع
فرسخ الأوتاد ... انا لم أقرأ لسمي الحور اسقف شعرا منذ اطلق
مئة مدفع ومدفع لمينطوره ، في عيدها المثوي ... الالهذه
الايات ، ولسو حظنا كلينا وقعت على رضوى الذي انتقاه ، وترك

الف جبل قبالة عينيه . انه الاجترار اللا شعوري مرض الادب العربي ، ارانا رضوى الحوري وسلمى عمر وسنداده فلاحول ولا قوة .

قد رأيت ان غريب عمر يحى بجني على صورته وقوافيه ، وقد يكون السبب دورانه في حيز الاقدمين ، فكل اغراض شعره كأغراضهم ، ولا جديد في الديوان الا « رسالة الورد » التي اداها عمر كما يؤدي الشاعر رسالته . اما « قلب ام » فاذا كراني قرأتها لغيره .

واذا اردت ان تعلل حب عمر الشديد للتضمين اممكنك ان تردده الى العلة الاصلية التي ذكرتها ، فهي التي سببت كل هذه الأدواء - الاشتراكات - حتى صح فينا قول المثل العربي : ما ينفع الكبد يضر الطحال ! وعمر يشير طوراً الى (العارية) واحياناً ينسى لانشغال باله بالاحباب القساء ، والحساد الذين يضايقون الشعراء في كل بلاد الله ...

ظهر لي ، من المقدمات الاربعة التي صدر بها ديوان عمر ، ان شاعرنا يحب النقد الصحيح ، ولا يغيظه ، ولهذا صارحه اصحابها بكل ما عندهم ، وتلك لعمرى ماثرة جديدة نسجلها لحمة مدينة العلماء والائمة ، ونتمنى ان يشايهم عليها كتاب المقدمات في الاقطار فلا يجعلونها كما عودونا : نشيد الاناشيد .

فالمقدمة الاولى كتبها شاعر هو احمد الصافي النجفي ، فانتقد قوافي عمر ، والثانية للاستاذ قدرى العمر الذي قال لنا ان عمر لو أراد لجعل ديوانه غريباً كله ، ولو اراد لجعله سهلاً كله . قلت يا ليت

اراد واراخنا من ألفاظ اعقد من ذنب الضب . والمقدمة الثالثة
للاستاذ ابراهيم العظم ، الذي يقول : ان لعمر سرقات ظاهرة
يستحق عليها الجزاء بمقتضى قانون الشعراء .
قلت : ابشر بطول سلامة يا مربع ! فالجزاء عندنا على السرقات
الشعرية لقب الامارة ...

ويقول الاستاذ العظم ايضاً : ان شعر عمر قليل الحشو ، وهو
يكره الضعف في القافية ، ويأبى النفور ، مع انني كثيراً ما لمحت
في الديوان حشواً ونفوراً ، حتى قام في ذهني ان عمر كالصافي قليل
الجلد ، فهو يكثر من « ان » و « ما » الزائدين وغيرهما من
طفيليات الشعر كقصد واخواتها ، التي اراها كالحصاة تسند بها
الحابية . وشر هذه الالفاظ « سيما » في قوله :

والقوافي خالداً سيما خدمة الاوطان في صدق وجد
انما ابشع من الغدة المندلقة على الصدر . ثم هل يقول من
يكره الحشو :

ان من يذكر (منها) مجدها يتولى (وهو) بالقلب الحزين
فكان الريح لما (ان) هفت ساعة المسي شكاة الواجدين

*

وتركت نفسي حرة ما (ان) ترى غيد الغزال وفتنة الحسناء
ان امثال هذه التآليل كثيرة في الديوان ، وخصوصاً (ان)
اكثر منها الشاعر حتى جعلني اتصورها كالأزائدة الدودية تحتاج الى
مشراط طيب لبق . كما ان (المسي) وغيرها - وإن صح استعمالها
لغويّاً - ليست من بضاعة الشعراء .

وإن تدقق تر عمر يزجّ في شعره من كعابير الكلام ما يبرأ
منها الفن الى كل من بعقر ، مثل قوله : من جرّاً ذنوبي ، فوالله ،
لئن غفر الله له ذنوبه كبيرة وصغيرة ، او مميّنة وعرضية كما يعبر
النصارى ، ولم يستمهله دقيقة واحدة عند الحوض ، فانا لا اغتفر له
استعمال (من جرّاً) وانزده عنها النثر ، بله الشعر .

ويعرف عمر الشعر فيقول لنا :

وما الشعر إلا انة تبعث الشجى لها الصدق جسم والتخيّل اجنح
قلت : اما الصدق فحظ الشاعر منه كبير ، اما الخيال فكحظه
من الحب الذي يقول فيه :

ما نلت في الحب إلا من النحول مرادي

ومن أين يأتي الخيال من هام بالقدماء حتى بات يصب في قوالهم
ولا يحسن ذلك ، ويربك في كل قصيدة صورهم حتى النابغية منها ،
ومن نوع « وما الفرات » أيضاً... اقرأ قصيدة ذكرى الهجرة
الاولى لا الثانية . فهذه ندعها للاستاذ العظم الذي ادّعى ان
مطلعها للمرحوم جدّه اسعد بك العظم ، ودافع عن حقه الموروث
وختمه بقوله : ان عمر اخذ ديباجاً وحوّله ساجاً .

وفي قصيدة « فيصل » يحاول الشاعر التاميح الى حادثة يشوع
ابن نون البطل المغوار الذي وقّف الشمس . وابتى عمر كعادته إلا
ان يشرح المعنى . وعندى أنه لو تركه للقاريء اللبيب كانت العاقبة
أسلم ، ولكن عمر احب الشرح كثيراً فتعب وأتعب ، فهو يشرح
لنا حتى الاملود ، وقاطبة ، وأخيراً يفترّ ايار بمايس ...

وفي القصيدة عينها يتعرض لبيت ابي فراس ولا يحسن القبض

عليه فيقول :

سيدكرني من كان ينكر سيرتي

كما الشمس يشكو فقدما من تسكعا
وابى إلا ان يستصحب حبيته « ما » الزائدة في هذه الغزوة
فأمعن في البأوى ، وترك زين الشباب يبسط يد الشكوى ، ويسبل
دمعاً من خلألقه الكبير ... وفعلها أيضاً بالنابعة حيث قال : تعدو
الذئاب على من لا كيان له . مع ان « كلاب » النابعة مشهورة ،
وهي هنا لا تشتمن .

٢

وفي قصيدته (يا طير) وهي رشقة تمشي الهوينا ، كهريرة
الاعشى ، وصف رجال العرب الذين حموا فلسطين فقال :
باعوا دماهم في سبيل العلى فأصبحت عندهم كالخضاب
فقل لمن يطمع في ظلمهم
فأنصت له عذبي أرى كلمة كبيرة واذا به يقول : أخطأت
يا هذا فعد للصواب . فذكرني فعله شاعر العراق وفيلسوفها المرحوم
الزهاوي حين قال :

شعري لقد جاءكم مستنهضاً من غير تعقيد واغلاق
ان كان لا ينهض شعري بكم مزقت من غيظي اوراقى
وطاف عمر حول لسان جميل مغتاب فمصّه مصاً حين قال :
اشهى الى قلبي مهما بدا منك الأذى مصي ذاك اللسان
قلت : الا ترى معي ان في العوض قصاصاً اوجع ، كما فعل من
قال قبله لحبيته : هذا لساني الذي أخطأ فعضيه ...

ها قد وصلت الى صفحة ١٩٣ فأطلت على « دفنة » ، ودفنة
فتنة الدنيا ، فاذا بالشاعر يصف لنا نفسه بدلا من ان يصف دفنة
المسماة اليوم بالحرييات . هذي مصيبتى بعمر في كل سياحتي في
ديوانه ، فكأنه الحنساء يذكرها طلوع الشمس صخراً ، وتذكره
لكل غروب شمس . اما ختام الديوان فقصيدة المتنبي لذكرى
الالف ، نظمها على منوال ، جللا كما بي فليكن التبريح ، فجاءت
رائعة تحليلا وتصويراً ، على ما في الحاء من طحير وزحير في رأبي ،
ومن اتساع وانبساط في رأي شيخنا الاعظم الشدياق ، ولكنها لم
تسلم من الغرابة ميزة شعر عمر يحيى .

في ديوان عمر وثبات ولكنها قليلة ، وفيه شعر ولكنه يطير من
برائن قلمه ملهوفاً مذعوراً كعصفور اقلت من يد الصائد بالدبق .
وقد رأيت انه لا ينتهي حيث يجب ان ينتهي كما في قصيدته « كلنا
بيكي على وطنه » بل ينتهي حيث تظن ان هناك شيئاً بعد كما في :
« الغريب في العيد » .

كنت توهمت ان اللون المحلي سيكون كثيراً في الديوان ، فاذا
به قليل ، كما قلت لك ، وان لم يخل منه كقوله في وصف قلعة حماة :
ولها إما تراءت في الدجى صور شتى ترزع الناظرين
لا تستغرب الوصف في الدجى فجأة في الصيف تنور ، وخير
اوقات التفرج منها قرب الغروب وبعده ، وهذا ما أوحى الى
الشاعر ما أوحى . لا يلطاف ليل حماة الحامي الا العاصي ، اما
سحرها فكما يصفه الشاعر :

محمد مزجت بالليل شدته كما يلطف ليل الصائف السحر

وتلي وصف القلعة قصيدة « على العاصي » ، وهي حافلة بشعر لا
يخلو من برد النهر وسلامه ، وهبات بليلة من نسيم اشجاره ، في آب
اللمّاب الذي كنت ازور حماة فيه .

وعمر يكثّر من المعاني المتبدلة مثل : من جد وجد ، ويقطع
الجوهر في السيف الفرد ، والحق يعلو ولا يعلى عليه ، ولم يضع حق
نجاه طالب ، النخ . وهو لو ترك نفسه على سجيته وارضى لقريحته
زمامها ، كما رغب امرؤ القيس الى التي حرمت من جناها المعلل ،
وقال كثيراً مثل هذا البيت :

قلت والليث كليم رابض يرقب القيد بغیظ وحرد
وكقوله :

اذا ما اصاب الداء عضواً تحركت له ساو الاعضاء تشكو وتشرح
لست ازم ان تعبیره الشعري بلغ الذروة في ما قدمت فقد كان
في الامكان اكثر مما كان ، لو تأنى عمر . وقصيدته « يا قلب »
تؤيد زعمي بان الشعر يرسل ارسالات تحت خفارة اثنين : الفن
والقريحة ، وليس على الشاعر ان يركض وراء الغريب ، فلو كان
في الغريب خير لما قال المثل : زوان بلدك ولا القمح الصليبي .
ولقصيدة « يا قلب » اخت في الديوان اسمها « الكآبة » التي لانفارق
شاعرنا ، ولو كنت ممن يسمّون الشعراء لسميت عمر شاعر الكآبة
والحرمان :

وفي قصيدة فلسطين قال بيتاً بديعاً :

تلك الضحايا لم تكن الا صوى فيها لطلاب الحياة دليل
على ما في « صوى » من صفيّر ويبوسة ، ولكن متى حلت اللفظة

محلها برئت ذمة الشاعر من دين النقاد المنتظسين . وتمر في ديوان
عمر فتوى نتفاً عديدة عنوانها « من قصيدة » وهذا يدل على ان
عمر يحب بناته كثيراً فلا يئد منهم واحدة ، الا ان بين هذه النتف
بيتاً كاذباً كيني :

شبيبتي قد اوشكت ان تزول لا بدع ان تشجي ترانيه
اما وداع غرناطة فشعر حي لولا هذا النمش الذي يقبح وجوه
الحسان على ما فيها من معان ، فشرط الحسن التام . ويدهشي ان
ينقل بنا من قصيدة « ذكرى الهجرة » التي مطلعها : ذكرى تحول
لنا في نشرها عبر ، انتقال سيدنا الجاحظ من حديث نبوي شريف
الى قصة ماجن متهتك . نعم هكذا فعل عمر فقد اخرجني من جنة
الهجرة الفواحة العبير الى اقدار سدوم وعمورة ، قال :

وملّ من سكر المدام وشدو ذي غيد اغن
لا تفرقن اكان اثى ام غلاماً كالغصن
ان قبل اخلاق فوهم ما يقال وغش فن
لا يا استاذ ، هذا من الكلام النازل بالمرة . ايصح بك قول
البهاء زهير : فافتضحنا واستوحنا . اما امرنا بالاستتار اذا بلينا
بالمعاصي ؟ اعلی رأس السطح يا سيدي !

ليت اخانا الشاعر والاستاذ استغنى عن هذه الابيات فليست
بالابيات . ثم انتقل الى قصيدة عنوانها « لقد قصته » - الضمير
يعود الى شعرها - فيصف لنا نعيمه هناك حتى يقول :

كأنا في ربي عدن فلا سكر ولا صحو
قلت : نعيماً يا اخي . فلمثل هذا خلق فردوس عدن ، فاسرح

هناك وامرح ما شئت ، وافقاً حصرماً في عين الحساد والعواذل ،
ولا بأس عليك فاوراق التين تستر ، ولكن اياك ثم اياك ان تلتفت
فيما بعد صوب البحر الميت فلا ورق هناك يُستتر به .
اما في مناجاة الورد فقال ابياتاً فيها شيء كثير من قوس
الشفري المتوف وخيرها حين تجاهل الشاعر فقال :

هل تطرب الورد في غصنها من نسمة الصبح وتشكو الغيوم
وهل قطار الطلّ من كأسها دمع الاسى ام سرور مقيم
تهتز كالاحلام عند الصبا او فكرة الشاعر عند الوجوم
مسكين عمر ، لا يهيجس الا بالاسى . وفي قصيدة « تشرين »
قال شعراً ولكنه ركّ في آخرها حتى أرانا اوراق تشرين متناثرة
امامنا ، كقوله :

آليت لا انسى الشهيد ومصطفى هذا عليّ مدى الحياة بين
اما علاء الدين فهو اخو الصفا ابكيه ما (بكى) الخدين خدين
ولم ينس ان يحشر (جبرين) قافية في هذه القصيدة كما بكّاه
كثيراً على المرحوم فوزي الغزي حتى اسمعنا رنينه :

ولصوت جبريل رنين محزن تهليل ثاكلة على ميعاد
ما ارق قلب هذا الملاك ، وما اطوعه ، فهو شريكنا في كل
أجر ، ولكن ماذا يبكيه هنا ، اوليس المرحوم فوزي ذاهباً اليه ؟!
اما كان الاولى ان يفرح ! ولكن شاعرنا لا يعرف الا الكتابة ،
ولو كان كغيره لكلفه عملاً آخر ، وجبريل هو اطوع للشعراء من
الحاتم بالخنصر ...

وفي قصيدة « بين دمشق وبغداد » مقطع جميل ، وأجمله

هذا البيت :

كأنني في البيداء فكرة حائر تزول وتبدو بين آل وعشير
لولا غرابة اجتماع الآل والعشير في وقت معاً كما افهم من كلمة بين .
أما رثاء نارس الكيلاني ، وهو موشح ، فتورة عاطفية تجيش
فيها نفس الشاعر جيشان الفرات الاخطي . اتبع الشاعر في موشحه
هذا خطى لسان الدين الخطيب وختمه ايضاً : بجادك الغيث اذا
الغيث همي ، وشبه الفقيد ببذل ، فاجتمع له الشرق والغرب ، رغم
انك كبلنغ شاعر الامبراطورية البريطانية الذي قال : انها توأمان ،
والتوأمان لا يجتمعان .

أما الهفوات النحوية ، وان قلّ اهتمام الناس لها ، فمنها : وان ننس
لا ننسى ، وان نسل لا نسلو ، ولا الليث ليثاً بعد ما قعدت بنا وقوله :
— رحم الله يا فؤادي (دموعي بددتها) الاحداث يسرى ويمنى
— اذا رمت السرور فهاك (غاو) بحب الحمر يستجلي الاقاصي
— مر (عشرون سنينا) وهو يجري ويكد
فهذه العشرون سنينا تعبير غريب ، ولا تقل عنها : لاه
المصائب ، اي لله المصائب ، كأن الاستاذ درس ابن عقيل مثلي
فهو لا يزال يذكر الشاهد : لاه ابن عمك الخ . ولكن هذا من
الشذوذ ، وما اغنانا نحن عن مثله ، فما لنا والعنزة الثانية ...

وبان لي ايضاً ان الشاعر يقطع الجملة العربية أي يستأنفها متى
شاء مع ان ربط الجمل حسن عربي ، انتبه ونبه اليه شيخنا الشدياق
حين قابل بين العربية ولغات الغرب فليراجع . نحن لا نطالب
الشاعر باختلاس ياء العاصي ، فهذا بالقياس لجبرين مقبول ، ولا بد

من التصريح بأنني أخشى كثيراً أن يؤدي رفع الكلفة بين اخواني الشعراء وبين هذا الملاك الذي يزورنا كثيراً ، أن ينادوه أخيراً :
يا جبر ويستريحوا .

وشاعرنا يسكن أواخر الأفعال فيقول مثلاً : قضي على ، وهذا خلل لا يتسامح فيه مع شاعر حموي نشأ كبشار بين شيوخ وإمة تتذكر ، متى حدثتهم ، العرب الخالص . فهم جميعاً يتكلمون الفصحى ولا يلوكون السنتهم ، وهذا قلما تجده في غير حماة العربية اللسان واليد والبيت .

أقول البيوت واعني ما أقول ، وشاهدي اعلان كتبه الزبروي صاحب فندق العاصي واليك نصه : « على الذوات الذين يأخذون الزبائن الى بيوتهم ان يؤدوا لنا البدل ، او يشاركونا في دفع اجرة الفندق يوم الاستحقاق ... »

الا بذلك هذا على ان صاحب الفندق مهذب دائماً بأخذ زبائنه الذين ينتظرهم بفارغ الصبر ؟ أقول هذا لانني كنت ممن أخذوا ، وكيف لا انوه بفضل ذوي الفضل ؟ فليسعد النطق ان لم تسعد الحال ! ان صباح العاصي ومساءه يوحيان الشعر ، فاقم لي صاحبي الشاعر عمر يحيى ديواناً انضر من « البراعم » ، وهو فاعل في ديوانه العتيق . فقد رأيت آخر شعره خيراً من اوله . اما في هذا ، وهو براعم كما سماه ، فلولا بعض حوادث تاريخية كذكرى المتنبي مثلاً ، ولولا ومضات كنار الجبابر لظننا شاعرنا عمر يحيى ممن عاشوا قبل الهجرة .

٢ - ١٩٣٧

عَبْقَرٌ لِفِيْرِ مَعْلُوفٍ

١

قصيدة عدد ابياتها مثنان وثلاثة وسبعون بيتاً ، اكثرها مقفى على الطراز العربي ، والبعض الاخر على النمط الفرنجي العتيق .
بحرها هاديء غير عجّاج ، رخو قليل الحيل كالكاهن سطح احد
ابطالها . اما عناوينها فسته وعشرون عنواناً .

اخرجت هذه القصيدة في مئة واثنين عشرة صفحة ، منها احدى وعشرون بقلم والد الشاعر الاستاذ عيسى اسكندر المعلوف ، مطبوعة على ورق صقيل فاخر ، مزينة برسوم رائعة ابدعتها ريشة المصور الطلياني فرنكوشيني . ولولا تقطع بعض الحروف عند ضبطها لسلم
إخراجها من كل عيب .

موضوع القصيدة شبه قصة هذا مساقها : ينام الشاعر فيتضحى ،
وتدق ساعة اليقظة فينهض - لم يذكر اذا كان تمطى او فرك عينيه -
فيرى غمامة يسير تحتها شيطانه . يقبل الشيطان نحو شقيق ويجيبه ،
فيسأله عن مقدمه السعيد ، فيخبره الشيطان انه آت من عبقر .

ويدعو الشاعر الى زيارتها فيركبه شقيق ويطيران الى « البلد
المرصود » فيعجبه الموضع : يطوف بالابراج فيرى الجن اشكالا
والواناً ، على نسق ما انبأنا « السنكسار » عن ظهورها لآبائنا
القديسين ... وكما صورها فلوبيير في روايته « تجربة القديس
انطونيوس » : اقزام يركبون مطايا من يرايبع وانعم وديوك
وعظايات وقنافذ وسلاحف ، وان كنت ملحقاً تريد ان تفهم جيداً
كيف يكون عالم الجن فعليك بالجاحظ .

ونزل الشاعر عن ظهر شيطانه مرة ثانية امام « عرافة عبقر » .
ومن صفات عبوز الخير هذه انها تتزنى بشعبان ، ومع هذا الزنار
العجيب يرتخي ظهرها ، فترقاع العرافة لرؤية الشاعر ويهز الدنيا
صريحها وتسمع الشاعر كلاماً فجأً ، تدعس في آخره على ذيله .
يفضب شاعرنا غضب فزع ، أي يهدوء ولين ، فيهديء شيطانه روعه
— وهذه اول مرة يكون فيها الشيطان ابن حلال ، بحب السلامة —
ويحكي له حكاية اميرة الجن اللهبانة ، فيسفهها الشاعر وشهوتها التي لا
تشبع . وتغني الجنية مشتاقة الينا لتطفيء نارها ، وتتمنى اتعابنا
وعذابنا لتحضن وتحتضن .

وينقلنا الشاعر من عندهذه الجنية الجميلة التي ابدعت تصويرها
ريشة المصور اكثر من قلم الشاعر الى الكاهن سطيع ، ثم الى المحترم
الاخر شق ، فيسألها حكمة فيعلمانه شيئاً كلاً شيء ، اي ما يعرفه
مفكر بين بين .

وينتقل الشاعر فجأة حتى بدون « دع ذا » النابغة ، الى غابة
الخور فيريناهن في اعشاش ، ويقول له شيطانه : انهن اتعبن شياطين

جهنم فشكوهن الى الله فنفين الى عبقر رحمة بالابالسة ، وحفظاً
لسلامة دولة النار ، فقد كن يطفئن الوقود ... وهنا يسمعنا الشاعر
نشيداً كله عتب على الله الطويل الروح والبال - والعتب على مقدار
الحبة - فهو الذي خلق لمن قلوباً تحب فكيف يعاقبن على فعلتهن؟
ولا ينتهي حديث هذه الجنية حتى نقف « على حدود عبقر » ،
فنرى مقبرة ولكن العظام فيها مكشفة ، وما تلك الا عظام
الشعراء ينقلها شياطينهم من اقاصي الارض الى عبقر ، المدينة
الازلية . يسأل الشاعر المعلوف تلك العظام الهزيلة عن ماضيها
ولبايها فيخرج من عندها بانه لا يبقى إلا احلام الشعراء ، ويرفض
ان تقام لهم الانصاب والتأثيل ، ويقول هو أو الشعراء : كل شيء
بلا الحب المعلوم خراب ، وهنئاً للارض .

هذا سياق رؤيا الشاعر ، اما كيف دبر خطته بالتفصيل ، واين
قصر واجاد ، فهذا ما نقوله لك بعد كلمة لا بد منها في هذا المقام .
قال الحليل بن احمد : لا يصل احد من علم النحو الى ما يحتاج
اليه حتى يتعلم ما لا يحتاج اليه . ونحن نطلب كثيراً لنحصل على
كفاف يومنا ، اما اذا صح فينا المثل : من طلب الزيادة وقع في
النقصان ، فذلك مسبة ، فالرجاء من اخواننا ان يصبروا علينا ، ولا
يتهمونا بالتعنت والتعقر .

جاء في القرآن الكريم : الشعراء في كل واد يهيمون ، وما في
هذا شك . فهذا واحد منا يذهب اليوم الى اروغ الاودية ، كما
ذهب قبله كثيرون الى جهنم والسماء من يوحنا واغوستينوس الى
أعمى المعرفة ودانتي شاعر الطليان . فايما الشعراء بشياطينهم قوي

حتى ان العقاد قال شيئاً فيه ، فاغوى الدكتور طه حسين .
انا لا استكثر هذا ، فالشعراء شركاء ربنا في تدبير الكون ،
والمتفلسف منهم يظن انه هو الله بعينه ، وقد يقتنع بانه ابن عمه ،
أو على الأقل ابن ضيعته ...

ولكي نبريء ذمة شاعرنا من الاعتقاد بالشياطين نزوي للقاريء
حكاية الفرزدق حين افحمه الانصاري فركب ناقته مع الفجر حتى
بلغ ذباب (جبل المدينة) فنادى بأعلى صوته : اخاكم ! (يعني
شيطانه) ، فبعاش صدره كالمرجل وقالها مئة وثلاثة عشر بيتاً ،
وهي التي على الفاء ، ومطلعها عزفت باعشاش الخ . والتي يقول
الرواة انه اغتصب بيتها المشهور :

تري الناس ان سرنا يسرون خلفنا
وان نحن أومأنا الى الناس وقفوا
ولما سمعها الانصاري قام كئيباً .

ان قصص شعراء العرب مع شياطينهم أطول من قصص
الحيات ، واخبار الجن أكثر ، وللعرب في عبقر وسكانها حكايات
طريفة يرويها لك الجاحظ متروصناً ، فتخاله يجد وهو يهزأ ويمزح
ويسخر ، وقد قسم هذه الطوائف اذ روى عن ابن عباس قال :
« السود من الكلاب الجن » ، والبقع منها الجن ، ويقال ان الجن
ضعفة الجن ، كما ان الجني اذا كفر وظلم وتعدى وافسد قيل شيطان ،
وان قوي على البنيان والحمل الثقيل وعلى استراق السمع قيل مارد ،
وان زاد فهو عفريت ، فان زاد فهو عبقرى (كتاب
الحيوان جزء ١ ص ١٤١) ارايت ان سادتنا العباقره أرقى رتبة من

العفاريت والشياطين ؟ حقاً ان الشعراء عفاريت وشياطين كبار ،
اعوذ بالله من مطامعهم !

*

لا نحتاج الى كدّ فكر لنعرف ما اوحى الى الشاعر شفيق
موضوعه هذا ، فهو أخو فوزي . المرحوم فوزي ركب الطائرة ،
فلا بدع ان يركب شفيق شيئاً آخر ، فكان شيطانه . ورحل كاخيه
في طلب الحكمة والفلسفة . طلبها برندين دي سان بيار بواسطة صاحبه
في الكوخ ، وطلبها المعلوفيان فوق الفوق وتحت التحت ، وان يحذ
احدهم حذو الآخر فنحن اللبنانيين مشهورون باحتكار المهن في بيت
واحد نتوارثها خلفاً عن سلف ، وليخلف علينا الله ما شاء .

قد جعلنا في هذه القصيدة كلّ وكدنا فبحثنا ننقدها مقطعاً
مقطعاً لان ادبنا يسير على درب جديدة . وشعراؤنا الجدد يطرقون
ابواب الادب العالي ، فلا يليق بنا ان نقف قبالتهم مكتفين .
ولذلك سنقول كلمتنا في هذه القصيدة البديعة لنرى ما بلغ شاعرنا
شفيق من التوفيق . لم تلهني فخامة طبعها وطرافة رسومها عن
كلماتها فقد غمضت عيني عن ذلك ، فالناقد كالأثري لا يستهويه تخريم
التحفة ، وشرف معدنها ، فقد يرمي قطعة مزوقة ، ويعني بصحن
فخار مشروم اكثر من تمثال مصوغ من ذهب عياره اربعة
وعشرون .

عبر ككل القصائد فيها شعر وفيها نثر ، اي شعر كالنثر ،
والكمال لله . وكيفما قلبتها يظل اسمها اكبر منها ككل اسطورة .
والذي عندي ان الشاعر قدم طبيخه للناس قبلما نضج ، وسيندم

بعد حين ويدكر كلامي هذا - بعد عمر طويل - وان سؤته اليوم
فسوف يتوحيهم عليّ غداً ، ويدكر بالخير اخلاصي له وللفن ، فانا
واحد من الذين يعلنون رأيهم بلا محاباة ، ولو سجبوا من المجلس
كاسحق ، ولعنة الله على كل مؤخر .

اني اري القصيدة تمشي مشياً وتبدأ كتلك الجمال ... وهي
لا تمشي مشياً هيناً لنا ، فاما ان شيطان شقيق عنيد غير رهوان ،
وإما ان شاعرنا غير خيال . يأخذ الشاعر حوادثها واحدة واحدة
كأنه مستنطق يبحث عن الجاني فيخشي التقاء المتهمين ، او دنوهم
من بابه لئلا يفسد التحقيق ، او كأنه رجل يزور ضيعة فيدخل من
باب ويخرج من باب ، والضيافة معلومة فنجان قهوة ، وشيء من
النقولات احياناً . ولهذا جاءت عبقر باردة الحركة جامدة ، فلاحياة
فيها ولا في ابطالها فكأنهم ليسوا جنأ ولا عفاريت ...

عالم المعالوف موضوعاً يشبه موضوعي المعري ودانتي من ناحية .
اما قال هكذا من انتقدوا ، والصحيح من قرظوا ، هذه القصيدة ؟
اننا نجاريهم في هذا الزعم ولكن شاعرنا بلا نفسه وبلانا معه بشخصه
الوهمية ، فلم تتحرك تحت قلمه ، رغم اجتهاده وجهاده ، إلا تحرك
من تهوّر قلبه عند الحقن ونخز الابو . استعار شاعرنا شيئاً من دانتي
ولكنه لم يعيش في إقليمه . فهذه القباب والابراج مثل التي في
« مدينة الشيطان » لدانتي ، وهذا النور من نارها ، والفرق بين النار
والنور بعيد ... وحرس ابواب جهنم دانتي طغمة من الابلاسة
كحرس عبقر المعالوف ، وبنات الشر الثلاث يصرخن صراخ « أميرة
الجن » المتمردة مثل « ماريناتا » ودانتي .

ابتدأ الشاعر قصيدته كما يبدأ الطالب فرضه ، فلا بد من ان يذكر ماذا كان يصنع قبل أن عالج موضوعه ، وهكذا فعل شاعرنا فقال لنا قبل رحلته الى بلاد احبابنا :

صاح هي البقظة دبّت على جفني فاستلانت الموطئاً
وعالجت بالنور بابيهما حتى استخارت فيهما ملجأ
جميل جداً ديب البقظة ولكنه لي على هذا الافتتاح اعتراضات
جمة . انه لم يدل القارىء على شيء من خطورة الموضوع بل لم يقربه
منه ابداً ، وهذا شرط من شروط الملاحم ان كانت عبقر ملحمة كما
زعموا . ثم كان في مكنة الشاعر ان يتخلص من «صاح» التي تذكر
بصاح هذي قبورنا الخ او بخليلي مرآبي على ام جندب . والصورة
في البيت الثاني جميلة ايضاً ، ولكن الشاعر لم يحسن استعارة
البابين ، فركبها لمن ليس له ، ثم ماذا رأى في (استخارت) ؟ فهي ،
بله كراهة لفظها ، غلط لغوي فليست بمعنى تخيرت كما اراد الشاعر .
اما ما قالته البقظة للشاعر فجميل ، وجميل مثله الكلام الذي
قاله الشاعر لها ، ولكن البيتين الاخيرين اخوا النثر :

ومن تكن حالتي لم يستعص بالاسوئ السيئاً
ما الفرق في نومي وفي يقظتي وكل ما في يقظاتي رؤى
فقله (ما الفرق في نومي وفي يقظتي) لا نرضى به في
قصيدة نتمنى ان تكون من بنات السلامة . لو كانت من شعر المناسبات
الذي يموت بموتها لان الامر ، ولكن نظرنا اليها اكبر واوسع .
ويستيقظ الشاعر بعدما تضحى ، فيرى شيئاً جميلاً وصفه
لنا بقوله :

على الربى استلقى شعاع الضحى يعبت فيه الارج العاطر
فعانق الزهر وضمته غمامة علقها الناظر
الوجه يعبت به . ويظهر الشيطان لشاعره ساثراً تحت تلك
الغمامة ، فوصفه الشاعر فابدع ، ولا سيما في البيت الثالث :
في فمه من سقر جذوة منها يطير الشرر الثائر
ووجهه جمجمة راعني انباها والمحجر الفائر
كأنما يحجرها كوة يطل منها الزمن الغابر
ولكن في هذا الشيطان ، كما وصفه الشاعر ، ملامح جهنمية ،
فهل عبقر سقر يا ترى ؟ اما اقبال الشيطان على شاعره فكان بليداً ،
ثم شرع يحدّثه حديث سائق سيارة ينتظر خروج الخواجه من
البوابة :

اقبل نحوي قائلاً انني طوع لما يقضي به الأمر
اتيت والليل طوى ذيله فعم صباحاً ايها الشاعر
اما التحية فلولا انها جاءت متأخرة لكانت طبيعية ، فهذه تحية
الجاهلية ، ونحن فيها ، كما علمت من ذكر شق وسطيح . ولكن
طوى الليل ذيله غير مستحبة ، الا اذا اعتبرناها من لغة الشيطان ،
— كما فعل بشّار مرة — فالشيطان ذو ذنب كما صوروه لنا ولا حرج
عليه ان يخطر على باله .

اما حديثه مع شيطانه فعادي : من أين جئت ، أمن فوق أم
 من تحت ؟ فيقول الشيطان انه قادم من عبقر التي :
 تسوس فيها الجن عرافة ترى بزجر الطير ما لا يرى
 ساحرة مطلسم مسحها تطوي به الاجيال والاعصرا
 رائع هو هذا المسح المطلسم ، وسحر البيان يدب في هذا
 البيت ديب الحمرة الاخطلية ، ولكنني اعجب كيف تخصص هذه
 العرافة الجليلة بزجر الطير ، ثم لا نرى ريشة واحدة في العالم الذي
 تعيش فيه ، اللهم الا ان يكون الديك منها ، ولكنه لا يلائم
 الكهنة إلا على السفرة ...

ويدعو الشيطان الشاعر ، الى مجهل موعر ، الى عبقر حيث :
 جن من النور جلابيها من كل سعادة ترى نيرا
 تضطرب الارض متى اقبلت قاذفة عزيفها المنكرا
 لماذا استعار لهؤلاء الجنيات ثياباً من النور ؟ وهل يكون
 العزيز اشد هولاً في النور فتضطرب له الارض ؟ وهذا الشيطان
 الذي قال للشاعر منذ هنيهة انه (طوع لما يقضي به الأمر) قد
 أصبح الأمر الناهي. قل لا غرابة في هذا، فمن طبيعة اصحابنا
 الشياطين ان يغفوا الناس ويوسوسوا لهم . فمما قال لشفيق :

فقم بنا صاح إلى عبقر نؤم ذاك المجمل الموعرا
حتى رأينا الشاعر راكبا شيطانه على الجلد ، بلا حزام ولا لجام ،
ولا ركاب ، عرفنا ذلك من قوله :

وانطلق الشيطان في الجو بي كأنه النيزك او اسرع
مكنت من فقاره قبضتي مندفعاً اصنع ما اصنع
يعلم الله ماذا ، بل ماذا يعنيها بما يصنع ؟ وسافر شقيق مخاطراً
بنفسه ، وراى سحنة شيطانه المفزعة ولم يضرب له عرق ، لم يقل في
أخرج المواقف أكثر من (راعني) فكان اثبت جنانا من عمر في ليلة
ذي دوران . غير انه احس برهبة في هوة فزاد على راعني (واهي
الجنان) . وسألت نفسي لماذا لم يغد شقيق لهذه الرحلة قبل ان
حميت الشمس ، فلو وصف شيئاً من غرائب الطريق لقام له عذر ،
ولكنه كان في طيرانه ووقوعه اسرع من النور : قبل ان رحل
دانتي رحلته العظيمة وصف لنا رعبه وخوفه ، ثم غشي عليه مرات ،
أما شقيقنا فكما رأيت ، انطلق في الجو كالسهم ، ثم تهاوى ككواكب
بشار بن برد ، الى موضع اعجبه كثيراً فوصفه لنا ببلاغة مار بولس
الذي قال بعد رجوعه من السماء : لم تره عين ولم تسمع به اذن ،
ولم يخطر على قلب بشر ما اعدده الله للذين يحبونه . لقد قال شقيق
اخصر من هذا واوجز :

ثم تهاوى بي الى موضع ما راقني من قبله موضع
وكذلك فعل في وصف الابراج :
فيا لابرار ضخام البناء ملء الثرى ملء السموات
إن « جوامع الكلم » كثيرة في قصيدته هذه ، وما عليك إلا ان

تختار انت ما يحلو لك من الصور . تصور ابراجاً ملء الثرى ، ملء
السموات ، وقل سبحان الخالق ... اما عبقر فخططها على :

نمائم زرق على متنها منازل جدرانها تسطع
أشهد انه أصاب جداً ، فالعرب يخافون الجنّ ويتطيرون من
العيون الزرقاء ، ولكنّ إنازة الجدران باشعة رنتجن حتى سطعت
جدرانها لا تواتي السكان الذين قال فيهم الشاعر :

أتوا ناري فقلت منون انتم فقالوا: الجنّ ، قلت عموا ظلاما
ما لنا وكل هذا فقد تكون عبقر باردة كما زعموا ، وقد يكون
سعر النور رخيصاً في تلك البقعة الخافية ، وقد تكون الشركات في
عالم الجنّ تهاود ولا تطمع ... ووصف الشاعر عبقر بلسان شيطانه
وصفاً مفزعاً :

تشور في ابراجها ضجة بها يضيق الافق الاوسع
عزت على الانس فمن حولها ابالس الابراج تستطلع
جهاتها الاربع مرصودة تحرسها الزعازع الاربع
ما افلت الانسي من زعزع إلا تلقى صدره زعزع
ثم دخلها وطاف بابراجها كعقيد جيش يفتش الخنادق والمكامن ،
وما خاف ولا اصفر . رأى الجن اشكالا والوانا :

فمن يرايع ومن أنعم الى ديوك وعظايات
ثم ركب شيطانه الى عبقر ، لا يلتفت الى (انعم) ليعلم انها
ليست من انعم الله التي لا تكفر . لم اعرف المسافة التي بين الابراج
وعبقر ، ولكن الركوب خطيرة ثانية يدل على البعد ، ولولا ذلك
لتمشى الشاعر وشيطانه ووصف لنا ما هنالك وأرانا ما لانوي ، ولم

يجعل أكثر هذه القصيدة تحويماً وتدويماً ...
وحوم الشيطان على عبقر يشعرها بعوده ، وحطّ امام العرافة
التي قال في وصفها :

كأنما الله لدى بعثها زودها بكل ما في سقر
فاستعاذت بالشيطان من شر الشاعر . نقد غاظ قدومه العرافة
وروع الجن . سمعنا ان الناس يخافون الجن ، اما شفيق ففرعهم
وهربهم فاختران بين الشجر - اتقول انه صلب يده على وجهه ؟
أو قال في قلبه ، على الاقل : باسم الصليب المقدس ، شرط الندامة
عند الموت لربح الغفران الكامل ، والذهاب تواء الى الفردوس ؟
وإلا فما سبب خوف الجن الشديد ؟ ولماذا تدمدم العرافة سخطاً ،
حتى اقشعر اديم الارض تحت الشاعر ؟ ولكنه كان ، والحمد لله ،
أشدّ تماسكا من بحتري السينية فاهتزت الارض ولم يهتز . اما العرافة
فانفشت كربتها في الحال ، فبدأت وصارت وديعة كالحمام وحكيمة
كالحيات ، بيد انها فلتت لسانها ككل عجوز غضبانية ، وعيّرت
الشاعر بما تعير به العجائز : مكار ، شرير ، حية سوداء ، وبكلمة
مختصرة : ازعر .. واليك بعض كلامها منظوما :

وددت يا غادر لو انني اطلقت شيطاني لا ينثني
عنك فيرديك ولكنني أخشى على الشيطان من غدرك
شعر من طراز شعر ابن ابي ربيعة المصرع ، وهذا نموذج منه :
يا ذا الذي في الحب يلحى أما تخشى عقاب الله فينا أما
والله لو حملت منه كما حملت من حبّ رخيماً لما
لمت على الحب فدعني وما اطلب إني لست ادري بما

قتلت الا انني بينا الخ ...

او كما كتب تيوفيل غوتيه شعراً على قافية واحدة الى شارل
غارنيه جواباً على دعوة لعشاء .. ترى العرافة الشاعر شراً من
الافاعي واشد غدراً ومكرراً ، وقد اخطأ الشاعر حين قوّ لها :

ليس هذا الصل بالافعوان

بل انت يا إنسان !

فالصل كما عرفه القاموسيون اخبث جدّاً من الافعوان ، وان كان
اسم الافعوان اطول ... وما اظن الجاني هنا الا القافية ، وكم
بذمة هذه الجارية من ذنوب ... ! ثم ماذا نخسر لو الصقنا هذه الخطيئة
بالحية ولعنّاها فهي التي ادخلتنا اليوم والامس في التجارب ... ؟ !
وبلسان العرافة افهمنا شقيق ايضاً ان الجن اشدّ إيماناً بالله منا :

جعلتَ نفسك اعلى في الارض من ربك

وبعد ان تصمنا العرافة بحب الذات وأكل الاموات - وهذا
النعث الاخير يليق بالشعراء - تتنبأ للانسان ان ليس خلف ضجاء
الادجي ليله . حاول الشاعر ان يعالج مسألة الخلود الهرمة فتوسل
الى ذلك بغسالة من المخلوقات كشقّ وسطيح ، وغيرهما من جن
وحن ، فأساء الى الفلاسفة الذين يحملون بحيوات اخرى - لا ادري
كيف اجمعها لأرضيهم ، وكيف تجمع واحدة غير كاملة ؟ - ويرون
الدودة من قرائبهم . ويقولون للغراب لبيك ، كما فعل قبلهم بهاليل
الصوفية .

ثم تجبر العرافة خاطرنا فتقول ان الشعراء يحكون آلهة في
السماء ولكنهم يظهرون غير ما يبطنون ، وعبرت عن هذا بكلام

ناشف مثل وجهها :

فهاث حتى نرى ما خبات من هولك
يا ابن السلام اذا ما دسنا على ذيلك

وقد وضع الشاعر (على) بين هلالين ظاناً ان التعبير عامي غير فصيح ، وقد قال مثله الشنفرى اخشن الجاهليين في بيته المشهور الذي استعان بمفرداته المجمع اللغوي المصري لحلق الفاظ جديدة... دعست على غطش وبغش وصحبتى سعار وارزى ووجر وافكل وداس تحمل على دعس فتعدى بعلى مثلها . وبهذا الختام حطت العرافة الشاعر من مصف الآلهة الى جماعة لا اسميها ، فاستاء شاعرنا وقال لشیطانہ :

شیطان شعري قم بنا نرتحل عن هذه الارض وغيلانها
فطمأنه الشيطان ولهاه بأغاني « اميرة الجن » الممسوسة . وعندي ان « حسرة الروح » احد العناوين الستة الكبرى المتضمن اميرة الجن ، والشهوة ، واغنية الجنبة ، خير مقاطع هذه القصيدة . فهذا المقطع عاطفي ، وشفيق ككل شاعر عربي يجيد بسط العاطفة اكثر من وصف المحسوسات ، فقال وقلت ، ورح وتعال ، وما اشبهها من نظم الاخبار تركها العرب وحايدها . ولهذا قلنا في صدر هذا المقال : ان المصور اجاد رسم اميرة الجن اكثر من الشاعر الذي لم يتعد حدود الخيال العادي : الشمس كوَّرت من حلقات النور اضلاعها ، رمت الى الارض اعجوبة ، شفاقة كالنور ، فجاءت هذه الخلوقة في شعره كالمقول عنه في قانون الايمان :
نور من نور .

وارانا الشاعر هذه الجنية تحصد الهواء حصداً يثير ويفتن ، وإن
بدا لنا كما تروي اساطيرنا من مظالم فرعون :

ثم اراها وهي مأخوذة تطوي على ما لا ارى باعها
فالشهوة التي لا تروى تقيمها وتقعدّها فتتلوى كحبة فوق ملة ،
لا تدرك الجسد لتشبع فهي جائعة ثائرة صاحبة ، وتغني فتقول لنا :
هل انا الا ذرة من ضياء هل انا الا زفرة الله قد
صعدّها فوق قباب الجلد فلم تزل لاهبة في الفضاء

لا تتمنى هذه المسكينة الا نقطة من ماء الحياة تطفيء لهيبها ،
فهي تريد ان تعمل مثل الناس ولا تقدر ، فقلبها محروق . خبرتنا
انهم هناك لا يتلذذون ولا يتنعمون مثلنا ، فالارواح في دنيا بمالك
الارض وما عليها كقطع الغيم تضحل متى تعانقت ولا تثبت
للعراك البشري المغازل الأشر .

ويفيض الشاعر في وصف تحسر الجنية على ملذاتنا التي يسميها
القليلو الذوق منا « بهيمية » وهم ثمرتها المباركة ، ثم يخبرنا بلسانها
ايضاً ان النعيم المقيم مضجر . هذا ، والله العظيم ، شعوري ، فانا
خائف من الآخرة وخلودها الهادي الرصين . انا خائف جداً من
رؤية الكارويم والساوويم ، والملائكة واجدادنا الآباء الأبرار
والصديقين الهيبين الذين لا يحولون ولا يزولون من وجهنا ، ولكنني
سأتكل على الله ، سبحانه وتعالى ، والبهي الدعوة . وأخيراً ارانا
الشاعر بلسان جنيته هذه ان كل الصيد في جوف الفرا ، أي كل
اللذة في الجسد ، فقال :

ما نفع روح خالد عشت فيه ما زلت لم احضن ولم احتضن

لا نجادل شاعرنا في هذا ، لاننا لا نعلم ماذا ينتظرنا هناك ،
فالقول مختلف . نعم لا نجادل لئلا يصيبنا ما اصاب ذلك الفلكي
الذي نظر الى النجوم فسقط في الحفرة ...

ولا تنتهي « اغنية الجنية » حتى يسلّمنا الشاعر الى « حكمة
الكهان » . ان هؤلاء المحترمين هم هم ، كما في السماء كذلك على
الارض . هذا سطّيح وصفه شاعرنا وصفاً حسناً كما تخيّلته العرب ،
وجعله لهما بلا عظم كما يقول في الباذنجان من يحبونه . وزاد عليهم
المحيط الجهنمي حتى حيرتني عبقر هذه . ولم اهد الى حل لها احسن
من تشبيهها بالمطهر ...

وهناك ايضاً الكاهن شق ، وهو في نظر شاعرنا اعظم من
سطّيح . ومغارته - ان جاز لي الاعتراض على المصور - كأنها
صنع يد ماهرة ، فاما ان الكهوف الايطالية غير كهوفنا ، واما
انه رسمها بديعة هكذا لان بناتها من اولئك الذين بنوا تدمر
بالصفاح والعمد ... وشق جالس على باب مغارته كالخيشعور - جني
كنيته ابو هدرش - في رسالة الغفران .

وقف الشاعر يباي الكاهنين الجليلين يصيح :
يا كاهني عبقر هل حكمة اعدتها للغد بين العدد
فلبّي سطيح وافتتح الحديث كالكهنة بالدعاء فقال للشاعر :
أقالك الرحمن من عثرتك

هيات ان يردعك الزاجر ما لم يك الزاجر من حكمتك
انها لحكمة اقدم من الحبز ، والبيت ممسوخ - كما عرف ابن
الاثير السرقات الشعرية - وهذه صورته الاصلية :

لا ترجع الانفس عن غيها ما لم يكن منها لها زاجر
وقد شوّه شقيق الكلام بنسخه (ما لم يك الزاجر) فترك
النون هنا لا يجوّزه النحاة . ويخبر سطيح الشاعر ان الله حين خلق
الانام خصه هو - أي الكاهن - بمنتهى رحمته ، فسلّ عظامه
(وملاً الفراغ من حكمته) كما يفعل الطاهي الاستاذ بالسمة
ليقدمها مع الأدام بلا حسك ، في المآدب العبقريّة ... اما الحكمة
التي يقول المحترم ان الله حشاه بها فهشة كالصوفان : الرياح تنام ،
ويعقب الليل الصباح ، وتخلف الشمس الشهب ، والخلق حمقى
واغبياء ، يمحرون كالعميان خلف القدر ، وفوق رؤوسهم سيف
القضاء ، وتحتهم الحفر ، وسطيح قابع في مغارته على عرشه الذي

يخلد ، وانه ولي الدهر ظهره فقابله الدهر بالمثل . كان سطيح شاعرنا
والدهر كجارية المعري التي حملت ابن القارح « زفقونه » ليجوز
الصراط . اما الحكمة الخالدة التي راح بها الشاعر من عند سطيح
ليعدها للغد بين العدد فهذه هي :

الحكمة الحكمة في بسمه تمخض الهزء بها في الشفاء
لقد اضحكني هذا الكاهن الذي يوصي بالابتسام وهو امرط
كالوطواط لا مبسم له ..! وان كان هذا سلاحه في حرب الدهر
فلماذا صوره الشاعر يشك في وسطه (مدية نار غمدها من دخان) ؟
واغرب من هذا استعارة التمحض للهزء والشفاء ، اذ لا بد للتمحض
من طحير وزحير وليس مخرجه من الباب الفوقاني ، ناهيك ان الهزء
يرتجل ارتجالا .

اما شق فيقول انه نصف انسان (وقد شق من اعلى الى اسفل)
ولكي تتصوره جيداً تأمل القصاب حين يقدر الذبيحة على الدودة .
وشق هذا ، كأخوته بالرب يحمد الله على كل حال ، فكأنه يقول
بلسان داود : الرب نوري وخلصي فمن اخاف ؟

اقفز فرق الارض مثل القطا والله يهيني سواء السبيل
لو شئت ان اعلو أو اهبطا اعلو بجيل ثم أهوي بجيل
انه ينط هذا النط وهو شقفة انسان ، فكيف لو يكون مثل
الناس ؟ وشق كما بدا من كلامه مسيحي لا غش فيه ، وشعاره : ان
شككتك عينك فاقلعها ، او يمينك فاقطعها ... وهو وان نطق
من نصف لسان وغم فقد بلا دهره ولم يصل الى الحكمة لولا
السكوت ، ويكفيه قلب نصفه نير (لا كان قلب نصفه اسود)

اما الحكمة التي زود بها شاعرنا فهي :

سبحان ربي وهو رمز الكمال اني لولا النقص لم اكمل
لوقال المثل: القرد في عين نفسه غزال، لقلنا صح في شق، ولكن
الامثال لا تتغير عن مواردها . اما حكمة شق فتناقض فلسفة
الشاعر التي وضعها على لسان العرافة . ولو تأملها لردعته عن تعنيف
الانسان وسخطه عليه .

ومن حكمة الكهان المملة ننقل الى « ثورة البغايا » والصد
يظهر حسنه الصد ، فنرى في « غابة الحور » اعشاشاً مطينة بفتيت
المسك ، والحور فيها عاريات سُعث الشعور ، طبقاً للمثل القائل :
شعرها منكوت مثل الجنّة . وما رأت الحور الشاعر حتى فررن
ووقفن منه بعيداً يغمزنه ، فعرف فيهن بنات الفجور - هن هن
في الدنيا والآخرة غمّازات متشيطنات - ويمعن الشاعر في تصوير
نهودهن وتشبيها :

هل النهود البيض الصقنها من تنف الغمام فوق الصدور
والنقط الحمراء في وسطها أهي من الفجر بقيات نور
أم بقع منذ عناق الهوى تؤجّج فيها جمرات الثغور
فلولا (الصقنها) في البيت الاول التي ارتنا النهود ملازمة تلزيقاً
لتمّ له ما اشتهى من فن رفيع . ويخبره شيطانه : انهن ثرن على الله
وأبرمن الجهنمين ولذلك (زجّ بهنّ الله في عبقر) . وهنا أحتجّ
باسم صاحبي جبرائيل ، فشفيق جعله خازناً للنار أو وقاداً للجهنم ، أو
لا أدري ماذا ، بقوله :

إن ينفض الرجوم عن سيفه جبرين قهقهن لجبرينا

قلت لا أدري ماذا، لأن هذه (الرجوم) مضطربة مثل اضطراب
الاسطورة . فجبرين بشير سلام ، ورسول خير ، طرقتة دائماً
صوبنا لا صوب عبقر ، فهو لا يعرف درب جهنم . اما وزير الحربية
في ملكوت الله ، وقامع ثورة الملائكة ، يوم تمردوا على الاب
الازلي ، فذاك ميخائيل رئيس الملائكة . هذا هو ربّ السيف الذي
وطد دعائم العرش السماوي ، وبلانا ، نحن البشر ، باخوته الذين
طرّدوا من الفردوس . فأني بأس على الشاعر لو صبّ اسمه في قالب
جبرين فصار ميخين ، وسليم التاريخ ...

اما ماذا قالت البغايا في نشيدهن فملخصه : انهن فراشات صرفن
ازمنة اللهو كما ينبغي ، واقبل الليل وأطفأ الاحداق فتوكن الجسد
مداماً تحت أقدام العاشقين ، وهنّ لا يأسفن على الكأس المحطمة
بعد شربها - كما فعل بشاره - ثم احتججن لثورتهن على الله بانه خلقهن
لهوى وجاء يعاقبهن عليه .

المقطع حسن ، يا اخي ، فاقرأه . ان هذا المقال لا يتسع
لكل شيء ، وما عليّ انا ان امضع لك ، جرّب انت اضراسك
ومعدتك . اقول لك هذا ولا احرمك شيئاً منه ، فاسمع :

ثونا عليه حيناً سامنا	عسفاً فلم نصبر على عسفه
قد حشد الذات قدّامنا	وجيّدش العذاب من خلفه
افتي بان نقوم في ربقنا	بجزية العبد الى ربه
هو الذي أذنب في خلقنا	وراح يجزينا على ذنبه

وان تقل لي وهل يخرج هذا الكلام عن قول الشاعر القديم :

الهي ليس للعشاق ذنب لانك انت تبلو العاشقين

اتخلق كل ذي وجه جميل به تسبي عيون الناظرينا
وتأمرنا بغض الطرف عنه كأنك ما خلقت لنا عيونا
قلت لك : ما غادر الشعراء من متردم ... وبعد « ثورة البغايا »
يأتي « العبقيرون » فيجعل الشاعر محلهم مقبرة على حدود عبقر ،
كما جرت العادة بالمقابر في عالمنا هذا . ولأمر ما خطط أبو العلاء
للحطبة كوخاً في أقصى الجنة وقال انه لم يصل اليه إلا بعد
هياط ومياط ، فهل من يقول لي لماذا جعل شقيق الشعراء رفاتاً ،
ولم يهبهم الحياة في عبقره ؟ ولماذا رآهم ربماً وجماجم باليات ؟ أليسأل
شيطانه عنها ويقول لنا :

فقال لي وقد لوى ضاحكاً هذا الذي تلده الامهات
إنه لجواب شيطان مكّار ، ومن حقه ان يقهقه ويستلقي على
قفاه ، لا ان يلوي ويضحك فقط ، ولكنه كان رقيقاً بصاحبه هذه في
الرحلة بجملتها . اما انا فما ضحكت بل احسست باشمئزاز كثير حين
رأيت الجرذ والفأر والجماجم والعظام المبعثرة . اما حديث الشاعر
مع هذه العظام النخرة والجماجم المكشّرة فكلام خوري يعظ
محدثاً اولاده المباركين عن الموت والدينونة . وكذلك جوابها
حين صاحت لتقول كأيوب في بلواه : الرب أعطى والرب أخذ .
ثم ينهي الشاعر عن إقامة التماثيل للعبقيرين كما فعل موسى من قبل
فقتل الفن ، فقال بلسان الشعراء :

احلامنا نحن فقل للألى شادوا لنا الانصاب إكبارا
احلامنا كن لطافاً فلا تصيروا الاحلام احجارا
وهل التماثيل حجارة ؟ لا يا استاذ ، فكم من تماثيل صيغ قصيدة ،

وكم من قصيدة جعلها الفنان تمثالا ناطقا . الفن شعر حيث كان .
اما ما يريد شفيق لزملائه فهذا :

لكن من يهز منا الرفات
فهو الذي كل امانى الحياة
يفتر في ثغره
وكل ما في الارض من ذكريات
يغفو على صدره
لا تستطيب النجوم
غير تهاليله
وليس تبكي الغيوم
في غير منديله

ترى هل تمنع التماثيل هز الرفات وبكاء الغيوم في هذا المنديل
الذي هو كجزء جدعون المحكي عنها في التوراة !?

اما الفلسفة الكبرى التي عاد بها الشاعر من هذه الرحلة
السندبادية فهي ان الحب المعلوم هو كل شيء :

فالارض ان كانت جحيما له وكانت فيها تنها الارض
هذا رأي الناس حتى عوامهم ، ولذلك تراهم يقرطون الترمس
المنقوع حين تكل اضراسهم عن تكسير اللوز ... فليت الشاعر
خلق غير هذا الفكر المبتذل فقد اتعب قلبه واجهد قارئه ليقول له
ما يعلم . يا ليت غنى له - كما يفعل المسافر - لينسى مشقة هذه
الرحلة العمشاء . بل ليت لم يجئه بهذا الوزن الخلع الذي لا يستطيع
المسيح ان يقول له : احمل سريرك وامش . كنا نتمنى ان تكون

عبقّر المألوف قهوة يلهو فيها العباقرة ، لا مقبرة تبعثر فيها بقاياهم .
كنا نتمنى ان تكون عبقره مثل قمقم الف ليلة وليلة ، تنشق عن
مارد ينطح رأسه السحاب ويسد زوله الفضاء . ولكنها جاءت
بالعكس : الاطار أعظم من الصورة فكانت كالارض في سفر
التكوين ، وما هكذا تنظم الاساطير .

ولشفيق فلسفة اخرى تسود قصيدته ، وهي ايضاً بما يقوله
عامّة الناس : الانسان شرير خبيث لانه يسيء ، فكأنه لا يعلم ان
الحياة كذا خلقت ، خلق فيها الشر والخير توأمين معدتهما واحدة .
قال شاعر عربي اظنه بشر بن المعتز في الحيوانات الضارة :

وكلها شرّ وفي شرها خير كثير عند من يدري

فماذا عسانا نقول في الانسان ؟ ان الحياة لذيدة ، فلنعش هذين
اليومين بلا فلسفة ، فالفلسفة تطحل الناس . الدنيا حلوة وزينتها
الانسان ولو خلت منه لصارت كعبقّر المألوف ... - ولو صار
الانسان خيراً بلا شر ، او شراً بلا خير لصار كالحالدين الذين وصفهم
الشاعر . « فلو كان الشر صرفاً هلك الناس او كان الخير محضاً
سقطت المحنة ، وتقطعت اسباب الفكرة » الى آخر ما يقول الجاحظ
(الحيوان ص ٩٥ جز ١٠) صدق جاحظنا الجميل ...

الحياة في نظري بحر ، وخير ما في هذا البحر مدّه وجزره ، فما
أكره هذه الفلسفة السوداء ، فلسفة الغاضبين على الحياة وسيدها
الانسان ! وبعد ، فليقل الشاعر ما شاء فهو حرّ في خلق عالمه وليس
لنا ان نسأله إلا عن « الحياة » فيه ، وهذا ما فعلناه في مقالنا الاول
اذ وصفنا بايجاز اشخاص عبقّر .

اما لغة القصيدة وتعابيرها فلا تحيد عن خطه القدماء ، بيد انها
خالية من الكلام الوعري ، وان كان فيها كثير من الرواسم فقد
يكون الحوار أحوجه اليها . ولكنه كثيراً ما انطق ابطاله بالفاظ
لا يعرفها رفاقهم فجاء الكاهنان كأنهما من أئمة وقسميسي هذا الزمان .
وخلصة القول ان عبقر قصيدة عادية مبني ومعنى وتصوراً ،
تزينها فلتات تدلنا على الشاعر المرتجي خيره ، وهي ، على قلة حظها
من الخلق ، ستظل وجيبة الى حين ، يتبدل بعضها بعضاً ، وحسبها
هذا . فقلما رأيت شاعرها يفعل كغيره من الشعراء الذين يرجعون
البحور الشعرية بالفاظ مهتأة كأنهم يدكدكون حفرة .
الى الامام يا شفيق ، ولا تقنع بهذه ، بل هات في الغد قصيدة
اكبر من اسمها .

١٩٣٧ - ٤

هريستي وزبوني...

شاء صديق لنا ان يدافع عن « عبقر وصاحبها » فكتب فصلاً ذكرنا بقول ابن القارح في مخاطبته المعري : « فاعجبوا من هريستي وزبوني » . انني اشير على الادباء والمتأديين ان يقرأوا ذلك المقال الكيس ، ليتعلموا اساليب الرد المدملك ، والنقد المفضل ، وخصوصاً « الادب » بكل ما تتحمل هذه اللفظة من معان .

طرح صاحبنا شبكته في حوضنا فخرج له اخطبوط وتوتيا وسراطين ، وغير ذلك ، وفزنا نحن منه « بالاسماء الحسنى » ، سبجات من هي له ! فاسمع بعضها ، جل شأنك : مجنون ، سطحي ، ضيق الصدر ، بليد ، منهوك الاعصاب ، فج غير ناضج ، حجر ، مكشّر الخ .. فانا كما نعتني هذا الكامل وزيادة ، فمن سمعني قلت انني فرفور ، وكيوسف الحسن في الجمال والبهاء ؟

الحلاصة ما خلّى صاحبنا ولا بقى . - وكأنه استحي ان يخلع عليّ لقب سمي مروان الجعدي ، فقال له بمعناه لا بحروفه ، وهو لو فطن لكان تهجّاه كما كنا نفعل صغاراً ... رحم الله طريح بن اسمعيل الثقفي الذي قال : « عقول الرجال تحت أسنان اقلامها »

ولكن شيئاً من هذا لم يكن فيلّ ما فعل صاحبنا، انه حاربنا بسلاحنا،
فمسخ صورنا، ناسياً قول المثل : الحديث المعاد، والطبيخ المزاد ...
قيل : سأل البحثري ولده ابا الغوث ، عن الفرزدق وجريـر
أيهما أشعر ، فقال : جرير . قال : وبمّ ذلك ؟ قال : لان حوكة
شبيه بجوكة . قال : ثكلتك امك ، أو في الحكم عصبية ؟ !

وإلا فلماذا يكتب بديع زماننا بالمسّاس ؟ هل ظن جلدي
متمسحاً ؟ قيل لي انه مسخر ، فكدت اصدق ، ولكن قوله « انني
لا اجد حسنة في الاحياء ، وأجدها كلها في الاموات » نعم عليه
وذكرني ما كنت نسيتـه . لهذا قصة ستذاع في حينها وفيها خير
كثير عند من يدري ، ويعنى بالادب ، فكثيرون منا يرون انفسهم
دنيا المتقدمين والمتأخرين ، قل :

ليس على الله بمستنكر ان يجمع العالم في واحد
ولهذا لا نحمل حقداً على اخينا كما خشي ، ومن يحقد على الدنيا
جميعا ... كان من المجانين .

عاب عليّ أخي نقدي النحو واللغة فلم استغرب هذا . فكلنا
يعلم ان من يعجز عن مصّ العظم يستطيب الحريرة . غفرانك
اللهم ، أنا « مغربي » لأعالج الادب بالبخور القاطع ، والبخور
المانع ، والبخور الشافع ، والمرار الهندي ؟ ثم اخضعض الدواء
قائلاً للمريض : اشرب وتوكل على الله ، وادع للحاج ابراهيم ...
اننا ندع هذا « للمغاربة » الذين يحملون الاعشاب بالحرج ،
وينادون في الضياع : دوا للعين ، دوا للحمية ، دوا « للربة » .
أما نحن فلا بد للمريض من ان يزور كل مختبراتنا ، فهناك فحص

الدم وتحليله ، وتصوير العليل ، ودرس السلالة ، فللأثر عمله في
الادمغة كما نعلم . ومن لا يصبر على هذا فلا يشرف محلنا . لا
ننكر اننا نلجأ الى الفصاد اذا رأينا « الضغط » عالياً ، ثم الى
الكيّ ان كان آخر الدواء ، فلا صديق ولا خليل في المختبر .

ان « مبذرنا » يفحص افرادياً ، والبذرة المذرة غير الصالحة
للتفقيص تنفى خارجاً . فالنقاد (الصخور) لا يحركهم الا ديناميت
الفن وان صدق ظني فعندي منه على الرف ، ويومئذ يرى هذا
الحب اننا لا نجنف عن طريق الحق ، نزل الاحياء الاموات ،
ونجد الاموات الاحياء .

فهذه الهيصات والمهرجات ، وحكّ لي احكّ لك ، تذهب مع
الهواء السارح . فمهما دافعنا عن احبابنا فهبات ان نرد قضاء الادب
فيهم ، وان وقيناهم فالى حين كما يعالج الطبيب تهوّر القلب . لسنا
نلعب بالسيف والتوس ، وليس النقد تهريجاً وبهلّة والعباب كالتي يقوم
بها داهش وسالمون .. ان إمامة الادب لا تؤخذ بالدعاة والانصار ،
وما هي بيعة مساء ... قد يصير الرجل الحامل ملكاً ، او امبراطوراً
او ديكتاتوراً ، او باباً ، كما حدث ويحدث في التاريخ ، اما ان يصير
اديباً معدوداً ، او شاعراً كبيراً ، فهذا لا يأخذه الا بحقه . اما
حقه فالابتداع . فمن اراد ان يدخل ملكوت الادب فليبدع . ان
للصنوج والمباخر لا تفتح بابه لاحد .

لا يكون النقد والرد مهارة ، والسب والشم لا يدحضان
حجة . فدائني افهمنا في اول سطر ما سوف يعترضه من احوال ،
اما الشاعر شفيق المعلوف فاستعار ابتداء الخيام ، ولكن ابتداء

الحيام يدل على مذهبه ، وكلام شفيق أنبأنا انه سيكون خيامياً
فاذا به يصير كما ر بولا اول الحبساء .

هذه الكلمة وحدها استحققت هذا الرد ، ولن نجيب ، فيما بعد ،
الا من يقرع حجتنا بالحجة . فعمرنا قصير والعمل كثير . نريد ان
نفثش عن الادباء الحقيقيين لنجلسهم على كراسيهم ، ونقصي من
لا يستحقون الوقوف في الدار . هذا كان في نيتنا ، ولا يزال منذ
احترفنا النقد .

واعجباً ، بل الف واعجباً ، كيف يفرقعون والمكاوي
بالنار ؟! يهولون علينا باسماء اجنبية طويلة ، كأننا نخاف من طول
اسماء الاعلام وغرابتها ... ات شيء الغريب حلو ، كما يقولون ،
ولكن في عين غيرنا . اما نحن فنحترم هذه الخناخ الكبيرة ونجلها .
اننا نزورها كغيرنا لنستشير لا لناخذ ... فقد نسايرها وقد نعارضها ،
فلها كلامها ولنا كلمتنا ، والحكم للتاريخ . اننا نشتغل للدهر
العتيق ، ولخدمة الجيل الجديد ، نشد على الكبار لنهذب الصغار ،
فقل رب لا تجعلني عبرة لغيري .

انني اسمع وانظر واقرأ ، واقول كلمتي - كما تفهم بلادتي
وبلاهي - فان اعوججت فحسبهم ان يقوموني لا ان يصارعوني
ويناطحوني ... لهم ان يسخروا بما اكتب ما شاؤا ، اما شخصي
فليغفوا عنه كرمًا ولطفًا ، وهب انهم فعلوا ذلك فلا بأس عليهم ،
فانا احمل خشيتي منذ سنوات فلا اجد من يصلبني عليها ...
وعلى كل فالشكر لنقد عبقر الذي نقس عن هذا الوعاء وإلا
لكان انشق ...

محصول الشهر

لن ننقي محصول الشهر كعادتنا بل نجوله جولاً كما تفعل ام
العيال حين تفرغ خليتها ويستعجلها مكارى المطحنة .
كان بعد ظهر السبت الاسبق مشؤوماً ، فما بلغت العاصمة حتى
قطع علي الطريق بائع صحف يرغبني في شراء « الحديث » ثم ماشاني
ملحاً ملحفاً كأنه من خريجي مدرسة الخطيئة ، او كأنه عندي
ثأر . استغفيت فأبى ، خبرته ان محرريها اصحابي وانها تأتيني كل
يوم ، فزاده اعتذاري تشدداً وأراني قصيدة من نظم فجل الساحة
حليم دموس ، وشوقني الى التمتع من شميم عرارها قبل المساء ،
وما بعد العشية من عرار . والتفت لعلني أرى من أستعديه فلاح لي
خبيث لاطىء بالجدار يكرر كر في الضحك فعلمت انه غريمي الذي
عبث بي هذا العبث فتصافحنا وانتهى المشهد الاول .
وازفت الساعة الخامسة فشهدت بجمع أمين تقي الدين في مدرسة
الحكمة فاذا بالشعراء ارفضوا عنه ولم يبق في الميدان الا سعيد عقل ،
فسمعت ابياتاً طيبة انستني بعض بلوتي بقصيدة ابن بلده شاعر
البردوني . وركب المنبر الاستاذ السودا والقي خطاباً عدد في

ختامه نوابغ لبنان ، علمانيين واكليركيين ولم ينس الا شيخهم
الشدياق فادر كت انني اغذي في الطاحون .. اما اذا كان الاستاذ
المدرّسه قد تقنّع بقول الحريري: والبس لكل حالة لبوسها ، فهذا
شأن آخر !

وانصرف الى حيث واعدت رفيقين صديقين فالتفتنا حول
الطاولة كيوم كنا في المدرسة ، ولكننا لم نتهنأ بذلك المجلس .
جاءتنا قصيدة حلیم دمّوس ، وابي ظريف الا ان يطربنا بمطلعها :
فتاة على جمر الغضا تتقلب اليس لها يا قوم ام ولا اب
فقلت اعوذ بالله من شر شيطانك يا حلیم ، ان فتاتك هذه مثل
صفود النابغة الذي نسوه عند الشواء . قد صارت هذه « الفتاة »
شاورمه ! ان استفهامك من نكبتها .

ظن الخادم اننا نطلب « شاورمه » فجاء بصحن منها وهذه اول
مرة يطعمنا النقد... تعود القوالون ان يحملوا الريح سلامهم ، اما
حلیم فجعل الشعر مرسالة ووجهه صوب الحجاز والعراق ومصر و ..
و .. ولا عجب فشعر حلیم من حوامل الاثقال التي حلت بساحة
ابن رجاء ...

اما النكبة بهذه القصيدة فقد كتبت لسماحة المفتي الاكبر
ضيف لبنان ، ولا شك انه استقبلها بصبر جميل مردداً قوله تعالى :
قل لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا . اما انا فتمثلت عند حلولها بقول
الشاعر: « كان الذي خفت ان يكونا » . قلنا خلت الجبهة الغربية من
الابطال - جبهة شعراء المناسبات - فاذا بهذا القرم العنيد يكشف
عن رأسه متمثلاً بقول ابن العبد : اذا القوم قالوا من فتي ...

ولم يسقط عنا هذا الحمل حتى قال أحدهم : وحليم قال قصيدة
عصاء في حماة ، ثم صفعنا بمطلعها :

لاحت على ضفة العاصي ربوع حما

فأنزل بساحتها تنزل بخير حمى
فقلت أهو حمل كوسا وباذنجان ؟ وارتدت أن أقول شيئاً آخر
فسبقني وقال : اسمع قوله في مدح السيد موسى عزيز ، أحد أركان
الجلالة الحموية المحتفى بهم :

قلت : قل يا أخي ، قل ! ليلة مشؤومة ! اكتمل النقل بالزعرور !
فقال :

سميه موسى كان الصخر فجّره ماء وموسى يفجر ماله ديماء
قلت : هذا الذي يتكلم شيطانه بالهندية لا ذاك الذي خبرنا عنه
علم البلاغة ! فحتى متى يقرزم حلیم ؟ والله لا أدري . ومتى تتحنّن
عليه ربة النظم .. ؟ العلم عند الله . كنت أسأت الظن بالراوي
ولكن جريد الشباب الطرابلسية اثبتت هذا الشعر المطهّم الذي
استولى على أمد الركافة فصحّ الصحيح وانقطع الرجاء .. فالى
القوّالين ننعى المواليا والدوبيت والدفن في الحازمية (انفاليد لبنان) .
وأشفق عليّ رفاقي لانني في حمية اوجبها عليّ الدكتور الامير
رئيس ابو المم ، فنفسوا عني ، وانا من لحم ودم . اسمعوني قصيدة
القاضي الشاعر مراد ابي نادر فطابت نفسي وشربت عليها كما كانت
يفعل الرشيد ، ناسياً أمر الطيب . تذكرت نفس لبيد واطراد
ميميته فقلت ما اصدق حديث الامثال : الله لا يبتلي حتى يعين .
وتركت الحانة ابغي عاليه فصادت الصديق الشاعر صلاح

اللبايدي فلذنا برفرف نندري بظلمه من الطش ، ثم انتقلنا الى
حيث شربنا القهوة وانشدني ابياته في رثاء امين فسمعت شاعراً يرثي
شاعراً ويقول فيه ما لا يقال إلا به . فحمدت من جعل ليلى خيراً
من نهاري ... حقاً ان احكامه لا تدرك !

١٢ - ١٩٣٧

هذه طريقتي

عدنا وما كانت روحة بلا رجعة ، كما قناها محبو السلامة ...
فكأنما القضاء سخرنا لبقية سهام في جعبته فان اصابته فلهدا برية ،
وان طاشت فلتنهنا المستهدفين العافية . ستقول في قولة العوام حين
يدخل شباط وفي وجهه الشر : جاء بطبل وزمر .

- نعم نعم ، وبسيف وترس وتبان فالحياة نضال وصراع .
من يلومنا ان اشتقنا الى حديث « ادبنا وادباؤنا » . قد وقف
قلنا خمسة اشهر لمرض غلبناه بقوة هيكل - غير هيكل الروح
القدس - اقل ما يقال فيه : كجلمود صخر حظه السيل من عل ...
اما خطتنا فتلك ، ونصيحتنا الى احبابنا قول بولس الرسول
للاغزاب والارامل : من يدفع بتولته للتزويج فحسناً يصنع ،
ومن استطاع ان يحتمل فليحتمل ...

قد تقول يا قارئ العزيز : لو عرفنا بدائك لعدناك ، اما جوابي
لك فمن جراب الحديقي في سنته الجاحظية : « العالم محجوج والجاهل
معدور » ، فلو كان مارون عبود شقفة موظف في جمهورية أفلاطون
لجاءتك بأخبار وعكته الصحف . ولو كان أكثر من ذلك ، وانهرت

الماء في مصارينه، أو عطس مع الصبح لحسبوا لعطسته الف حساب،
ولكن مارون اديب، وفي لبنان .
وبعد فما لنا وللناس ، ما زال الدم نقياً ، والعقل في الراس ،
فانا وانت بالف خير . قد لبطت بعزرايل الارض وعدت الى مهنتي
التي أرى فيها لذات الجاحظ ثلاثها .

*

قرأت مؤخراً ، والاصح سمعت واحداً يقرأ ، خبر رسالة -
في لندرة كما أذكر - نامت في ادارة البريد سنوات ، ثم فتشوا عن
صاحبها فاذا به قد مات . فهل ترى بين موضوعي وتلك الرسالة
الكهفية بعض النسب ؟ المرض عذرمقبول ، ودروس الادب ليست
اخباراً محلية ، ولا سندات تجارية يبطلها مرور الزمن . فاعذرنني
اذن ان حدثتك اليوم عن معركتين .

كان للشعر في هذا العام موسمان : الاول مع موسم البلح في
مصر ، والآخر مع المشمش اللوزي في لبنان . أما الذي وافق
موسم البلح فكان يوم عرس جلالة الملك فاروق ، وخير ما قيل فيه
قصيدة المهندس طه ، وهي معارضة لقصيدة الشريف الرضي القافية
التي عارض بها رائية البحري : اخفي هوى لك في الضلوع واظهر .
أما في النثر فقد جلى امين نخله ، مندوب لبنان الى فرحة صاحب
الجلالة ، فأزرت خطبته بالكلام المنظوم وقامت دليلاً على ان النثر
يماشي الشعر في لبنان ، وان لنا في كليهما قدحاً أعلى . كانت خطبة
امين سلسلة من نور البيان فربطت الوادي بالجبل . طرحها شبكة فوق
« بحرنا » فاصطاد كثيراً ولم يقف كثيراً كبطرس القليل الايمان ..

وكما كانت تلك « القنينة » بريد العيد بين البلدين يوم كانوا يعبدون
معنا ابن بلدنا المرحوم ادونيس ، هكذا كانت خطبة امين تذكرة
للقاهرة بعهود لا تتناساها :

ان الكرام اذا ما ايسروا ذكروا

من كان يالفهم في المنزل الحشن

و شاء بشارة الحوري - كمادته الجميدة - الا يمر عرس بلا
قرص ، فنشر بعد رجعة امين بضعة ابيات هتأ بها صاحب الجلالة
من بعيد ، فعدها الحباء تحدياً للامين وافهاماً للبشر ، وخصوصاً
الغلاظ العقول مثلي ، ان مبيض وجهه لبنان هو شعر اخيطله
العظيم ، وكل ما عدها وساوس وهذيان . ولكن الذين يعرفون
يؤكدون ان الاستاذ لا يزاحم في المضيق ... اما الراسخون في
العلم فيعرفون ان نثر الامين الفذة خير من شعر مبتذل كقول
بشارة :

انزلت آية الهدى في جبينك فاذا الكون كله طور سينك
أرأيت هذه العرائس : آية الهدى ، وطور سيننا وغيرها -
كيف يجنّ بها الشاعر ويجاوها بنجار جديد ولسان حاله يقول : قومي
تخطري يا زينة ... ولكنها ويا للأسف لا تخطر ولا تتثنى ، بل
تقوم لحاجتها متحاملة كأن عظامها من سنديان ... فما اشنع
طور سيننا متصلة بها الكاف ، ولو هطل الوحي فوقها ميازيب !
وابشع منها نزول الهدى في الجبين فهو يذكركنا الحفر والتنزيل .
لا الوحي الذي يرفرف ولا يقع !
ثم تغار الشمس ، وغيره الشمس محرقة آكلة كغيرة ايليا على

بيت الرب ، ولكنها تعقلت اذ رأت ان ليس في اليد حيلة فوقفت
عند حدها ، وقعدت ملومة محسورة تتمنى لو تكون من « عين »
جلالته ، ولذلك قال شاعر العرب يصف موقعة ابي قير :

فتن الشمس مفرق زين التاج فودت لو انها بعض عينك
ما معنى (عينك) يا اخي ؟ اعانك الله على ترويض القوافي في
هذه الآخرة .. وكأنه قرأ في الصحف عن تقوى الملك الصالح فنظم
ذلك شعراً :

ما رأت مصر قبل يومك هذا مثل دنياك في الملوك ودينك
ثم استعلى توتنخامون زاوية لهذه الصومعة المتواضعة ، فاقتطع
منها ما احتاج ليقول :

شرفاً عرش مصرته وتنقل بين فاروق تارة وأمونك
لا افهم الداعي الى (شرفاً) التي قالها البحري منذ الف سنة
واكثر . قد تكون مثل قولهم : بشرفي ... ان لشاعرنا الاكبر
حق كشف الغطاء عن هذه الباذنجانة ... اما المعنى فيذكرني كثيراً
قول شوقي حين قرع امون الملك الوثني قائلاً له :

فؤاد أجلّ بالدستور ملكاً وأشرف منك بالاسلام ديناً
وتخيّل بشارة الدهر راكعاً يلثم راحتي جلالة الملك او العرش -
لا ادري الى من يعبد الضمير - ثم مسخه رجلاً كسيد درويش
وهو يغني عبقرى الالحان تحت غصون صاحب الجلالة . واذا كان
لا بد من ان يكون في الامكان اكثر مما كان - اللهم في شعر
المناسبات - قال شاعرنا الاعظم في النيل وشاطئيه ثلاثة ابيات من
شعره الخالد ختمها بقوله :

حسدتك الانهار حين اناها ان فاروق من هواك وطينك
أما هذه الطين فتستحق جائزة القرب .. وحكاية جائزة القرب :
ان المدارس ، تعطيها - او كانت - من يقارب الثاني بضع مرات .
وبما ان طين بشارة قاربت بكل فخر قول ذلك الاعرابي للامير :
وانت كتبتس يقرع الخطوب ... اقترحنا اعطاءها جائزة ، وعلى
« المكشوف » ان يخلقها مثلما خلقه الله .

نعلم ولا نجعل ان للنيل طبعاً خصباً ، ولكن ذكر الطين والوحل
يستوحش في آداب شعراء الملوك . وخصوصاً اذا كان ختاماً . قد
تعوّدنا القول : مسك الحتام لا طينه . اما اذا كان وحل النيل بلون
المسك فاني اعتذر . وإن قال احد من رجال الجدل ألا تذكر
الآية : خلقتني من نار وخلقته من طين ، قلت له : ليس هذا الكعك
من ذاك العجين ، وللكلام مواضع ، والفن كله هناك .

لبت كلمة امين نخلة في يدي لأنقل منها للقاريء بضع فقرات
فيقابلها بهذا الشعر الحخيص الذي هو زبدة الحقب ... كما قال
ابو تمام .

اما ما وافق موسم المشمش فمهرجان الاخ الحبيب ميشال زكور .
رحم الله أخاً غره سراب السياسة فغلّ في صحرائها ودفن في رمالها
الملتبهة شباباً نقياً كفجر عين كفاح ، وبهياً كغروبها . كان ميشال
طيراً يرفرف في آفاق الادب فتدحرج كرة على مائدة السياسة
يتلقفها رجل رجل ...

ليس فينا من ينكر ان يومه كان من ارهب ايام لبنان - فبطرك
يجنز في باريز ، ورئيس جمهورية يمنح وسام الارز ، و ... و ... ثم

نجي. ذكره الاول فيكون لبنان كله فيها . ومن يمثل لبنان غير رؤسائه الثلاثة ، والثلاثة كانوا بأنفسهم . ولكن أيساوي هذا كله مقالة واحدة يرويها ابناؤنا لميشال حين يؤرخ الادب ؟

باع ميشال الآجل بالعاجل ، وما ربح تجارته ... بلى ربح ، فلو لم يكن ميشال وزيراً ما احتفل به هذا الاحتفال ولكنه احتفال ينسأه البشر كما نسوا صولة عبد الحميد وابهة المير بشير ... ولكنه يشهينا ما نتكالب عليه ، فلو قامت الحكومة ، ولو مرة في رأس الزمان ، بتعظيم ادبائها لارفض عنها عشاق الوظائف من شباننا المتأدب وإن لم تكن غليظة القلب ...

ان « عبدو » و « ديوروسكي » - حصاني سباق - فازا بألفي ايرة ولم يصب الشدياق قرشاً مقدوحاً ... ينفق على يوبيله الخمسيني . ولكن المال آخر مطالب الادباء ، فحسب الحيس صحن مخلوطة ورغيف يابس يتطاير شعاعاً كشعر بشاره ، فسعادته الكبرى في ان يخال العذراء تبسم له في الحنية . ويتململ المصلوب امامه على الحشبة ...

سامح الله اخانا ميشال الذي تركنا وصار حزباً لغيرنا . لسنا ننسى ابتسامته الحلو ولا شيبته الفتية الفاتنة . كان ، رحمه الله ، شاباً يمشي على الارض ، وكان « معرضه » زمناً ، معرض الادب . تتناثر ايامي كأوراق ازدرختي ، واحدة خلف واحدة ، فاخواني الذين يتدهورون في الاعماق هم تلك الحواجز التي تحجب عني رهبة الهوة الابدية ، ولكنني ، والله ، مغرور ، أكاد لا اصدق انني سأموت . بل ارى الموت بعيداً مني فلا انفك لاهياً عابثاً ،

غير متذكر عواقبي الاربع كما علمني جدي الحوري ، اتبع هواي
غير عابئ بمن يريدونني على غير ما اردت لنفسي . ان الحكم للغد ، فلا
يمشي بالعكاز إلا كل محلول الظهر ولا يقول : الدرب الدرب ، إلا من
ليس في وجهه عينان . ففي الانحراف عن السكة لذات لا يعرفها إلا من
ذاقها ، هناك ما يرى وما لا يرى . اما الجادة فلا تريك شيئاً جديداً ،
ما أشبه قولهم : نقد علمي ، بحث علمي الخ بقول الكاهن للمعترف : زر
كنيسة الرعية يوم عيد السيدة ، وصل الابانا والسلام خمس مرات
تربح غفران مئة يوم .. ان بونا ونتورا صلى كما شاء وهو اليوم قديس
عظيم قاعد في السماء مستريحاً - ويريح من يطلبون شفاعته بجمرة
ايمان .. فلندع البحث العلمي لاصحابنا العلماء ، وما انا منهم ،
والحمد لله . فلنترك النقد العلمي لملة البركار والزاوية والفادان
والذراع ، فالفنان يصور بالمكنسة . اما الناقل عن الصور الشمسية
فليس في تأنيه السلامة ولو استعار ريشة رافيل .

نقد علمي ، نقد فني ، نقد يقطيني ، كل هذه لا افهمها ، افهم
طريقتي فقط . فمن اعجبته فليقبلها ، ولست لجنابه من الشاكرين ،
ومن لم تعجبه فلينشق ... اما من يكلف الناقد ان ينسج على نول
المنقود فكالطالب من الصائغ الاستاذ ان يكون في خزنته الف
دينار وإلا فكيف ينقد الذهب ويقدر عياره ؟ خذ يا اخي من المخزن
ما تود ولا تلم تاجراً لان دكانه ليس كمخازن الف باء ثاء ... اقرأ ولا
تتحكم .

يعجبني جداً هذا الجمود ، بل هذا التفكير ، فبعد ما كنا نفرق
للزناز في شعر المناسبات ، وبعد ما كانوا يقولونه حتى على اللهجة

- المازة - صرت لا تسمعه إلا في موضوع جليل كعرس ملك ،
أو موت وزير ... قرأت منذ حين كلمة لصحافة مصر نساء لت
فيها : ابن الشعراء لا يمدحون جلالة الملك ؟ فارتحت ايما ارتياح .
حسن جداً هذا الاحجام وأحسن منه عدد العشرة قبل الاقدام ،
واحسن الاحسنين تنزيه الشعر عن المواضيع التافهة . فملك محبوب
كفاروق ، اطال الله بقاءه ، يقال فيه الشعر كما يقال في تصوير اشرف
العواطف واصدقها ، ورجل كيمشال زكور يستحق ان يبكيه
اصحابه شعراً ، فهو رجل مات والرجال قليل . فبحراسة الله
يا ميشال ، والى اللقاء ، انما بعد اعادة عهد ليبد ، وسؤال الناس
كيف مارون ..

اما الآن فاسمع نقدي لما قيل في رثائك فشد ما احببت هذا
النقد ، وحثت على المضي فيه ، وكان الجواب ان تذكرت :
لا توص حريصاً .

فلنبداً بقصيدة موسى نور زميلك في وزارة الداخلية والصحافة .

موسى نمور ، خليل مطران ، الملاط ، بشارة الخوري

ضرب موسى نمور صخرة الفن بعصاه فاخرجت غيراً غير غزير .
تطيرت - فنياً - من مطلع قصيدته ، فقله : « احبابنا ، رفقا
بمن خلافتهم » يعيد الى الذاكرة ، على بعد العهد ، قول المرتل في
الكنيسة المارونية بلسان الانفس المطهرية :

اصحابنا لا تهملوا من يرقد في مطهر نيرانه تتوقد
وان تسألني ما الانفس المطهرية اقل لك ، ثاني مرة : هؤلاء قوم
يهلكون ، مؤقتاً ، كما تقف الحكومة الصحف ، فيظفرون بالنار
كما علمتنا امنا الكنيسة الكاثوليكية ، ليدخلوا السماء انقياء ...
ولهؤلاء البؤساء سفير « رسمي » على الارض هو الاستاذ الغلبوني ،
ورثه المرحوم والده فيما ورث ، الوصاية عليهم ، والعمل البري .
لنشلمهم من بحيرة النار بواسطة القداسات والصلوات . ولكن ميديا
المطران مبارك شجب العمل اخيراً ، فقطع اللقمة ...

اما ما بقي من القصيدة ، فشر سائغ محتمل ، بل هناك شعر
رصين ما مس قط قابوت عهد الفصاحة لولا قوله حين ذكر الصديقين
ميشال وامين تقي الدين :

فرسا رهان جلدیا فی حلبه لم ندر ایها الفتی الصندیدا
اقول ان السياسة افسدت لغة صاحب المعالي ، ومراسم
الحكومة التي تفوق النمل عدأً نسته مواد دستور الخلیل وسیبویه
والاخفشین فما ذکر التعليق والالغاء ، مع ان مراسمینا اکثر
تعليقاً والغاء ، واطنه لا ينسی واحداً منها ... وكذلك فعل اذ
قال : كفالك صدودا . وكأني بالوزير قد شعر شعوراً خفيفاً بهذا
اللحن فقال فيما بعد :

شرد اليراع فما اطاع وقلتما كان اليراع براحتي شرودا
فربما كان هذا الغلط من شرود اليراع فامسكه براحتيه كتيهما ،
مع ان القلم من الهنات التي تمسك بيد واحدة ...
في قصيدة ثمر شعر ونثر ، والعذر بيتن ، فالساسة يكثر
من قراءة الصحف ، ولغة الجرائد بعيدة عن لغة الشعر بعدي عن
الثروة . لا يغضب موسى فله أسوة بالمير شکیب عديله في هذا
النصيب الادبي . كلاهما ترعرع شاعراً واكتهل ناثراً . ان قصيدة
موسی هذه متمسكة ، فيها الكثير من الكياسة والوداعة ونكران
الذات . فهو يمدح ، غير مستدرک ، رجلاً جلس على كرسي قعد
هو عليه من قبل ، فحياء الله ، واكثر فينا مثل هذه الاخلاق
الفاضلة .

اما شاعر القطرين بل شاعر الاقطار كلها .. ولا احاشي من
الاقطار من أحد ، كما قال النابغة ، فقد القى بعاهه بصجراء الغبيط
كطوفان امريء القيس . لم يتورع شاعرنا الشهير عن الكلام
الرائع بعد ذلك الجديد الرائع الذي قال فيه شاعر ما :

انت مطران دين شعر جديد فتن المسلمين قبل النصارى
فتوكتاً على عصا الجناس التام، ولكن بلا مآرب أخرى، فجاء استهلاله
بلا براعة كما ترى :

كيف قوّضت يا علم وانطوى ذلك العلم
قابل هذا بقوله في رثاء علي يوسف :
بنات الدهر ، عوجي لانهائي خلا الوادي من الاسد الغضاب
ليتضح لك ان المطران قد أدبر غريره وأقبل هريره .
حدثني الوالد ، يرحم الله موتاكم ويرحمه ، قال : تشكى رجل
سبعيني من ارتخاء في مفاصله ، ووجع في ظهره ، وثقل في رأسه ،
وطنين في أذنيه ، وقصر في نظره ، وكثرة سعلة وقلة أكل ، فقال
له الافندي - الطبيب - كل هذا من السبعين...
ثم يشبه الحليل فقيدنا بالطود والاسد .. ثم تصطف الرواسم
كأنها تلك الحشيات التي يصفها الصبيان لتقوم عمارة ، وهذا
رمز منها :

لهف نفسي على الفقيد فتي الباس والكرم
أروع وجهه أغر وعرنينه أشم
ثم تنضب الدموع وتلين الحجارة ، ولا يبقى إلا أنت تتفتح
القبور وتقوم الموتى وينشق حجاب البرلمان ... كما أصاب الهيكل
يوم موت مخلص العالم ... أما الظلمة فوقعت حقاً لان المطران
يقول :

ودجا في القلوب صبح الاماني وادلهم
وهكذا يمضي شاعر القطرين على سننه ، مقتفياً اثر الذين من

قبله فيدون كل بيت استقام وزنه وصح تعبيره ، حتى يسمعنا
نصف دزينة من (علم الشعب) فيذكرنا بقول المهلهل : قربا مربط
النعامه مني ... فهل لقحت حرب شعر المناسبات عن حبال ... ؟
ولولا خمسة أبيات بعدها فيها شيء من نفحات شعر الخليل القديم
لحلت القصيدة من الشعر ، وانكرت ان يكون خليل مطران
ضيعة لا رئيس اساقفة اقطار ... ثم يعود المطران الى حوكه
الاول فيقول :

ايها المنكرون ان ينقص البدر حين تم
لست ادري لماذا اتعب مولانا قلبه ، اليحل هذه المعضلة شعراً ؟
فاي ذكي ... ينكرها ؟ وكأني بشاعر « سجدوا لكسرى » ،
« هل تذكرين » و « ملحمة نيرون » لم تصعب عليه معرفة نفسه
اليوم فما تفرعن ولا تعرّم علينا : ولكن المطران كاسمه يعمل دائماً
بقول المرتل : القلب النقي المتواضع لا يرذله الله ، فهو يقرظ
نافجاً كل مستعط ثناء ، وكلهم عنده اشعر العرب ، رحم الله
الناطقة مبدع هذه الحكومة !

وتلي قصيدة المطران قصيدة الشاعر القائل :
انا جذع لبنان القديم فما ذوى ورقى ، ولا لوت المصائب ساقى
فهذا البيت صورة الملاط الناطقة ، فشيلي متنبئي الاخلاق ،
والنفس ، والحظ ، وشعره ثم على صاحبه من قبل ، فاسمعه كيف
يفتتح رثاءه :

ابا مكرم لولا العلى والمحامد لما كان محسود ولا كان حاسد
ان قصيدة الملاط هذه من الشعر الرصين ذي المستوى الواحد ،

قال مطران
- ٢٠٤ -
انا لا أخاف ولا أرحى
فرد عليه ما فطر وقال
قال مطران
انا لا أخاف ولا أرحى
كفتى مهياًه وخرجى

فلا تخليق ولا إسفاف . يدوم فيها الشاعر كبواسق ايلول ، ولا
يغيب غيبات النسر ، تعبر قصيدته عن عاطفة مكبوتة فتقذف اللحم ،
ويعلن المأ يذيب الشحم ويقرض اللحم :

هنيئاً لقبر انت فيه ، وحبذا مكان امين ليس فيه مصائد
وكان شبلي كريماً ، كعادته في هذه المناسبات ، فما أكل حق
حزب ولا جماعة ، مدحهم جميعاً على السواء ، ولو تخلص شاعرنا
المطبوع من زنجير « للضرورة احكام » لانبثق نهراً عجائبا لا يجرسه
الاندماج بالبحر . لا أدري من يعني بقوله :

نصرنا وجالاثم عند اختبارهم ندمننا وكم في التجربات فوائد
انني اخشى يا استاذي ، ان تقضي حياتك كلها « داخلاً في التجارب
ولا تنجو من الشرير » ، فوالله انت مظلوم ...

ويمر على الشياح فتتراكم الذكريات حتى تعود به الى مقاعد
المدرسة السوداء - كانت سوداء على عهدنا - فتندفق العاطفة كما
بركة المتوكل فينظمها شعراً براقاً كالفضة السائلة ، حتى اذا بلغ آخر
الشوط وقف وقفة جواد بلغ الغاية ورفاقه لا يزالون في المضمار .
و كأنه يتذكر طرفة فلا يكسل ولا يتبلد بل يقول « الحرب لمن
يريد الحرب » :

عواذل لبنان اذا شتم الوغى فلا تفزعوا فالسيف في الغمد راقد
ولكنما في غاب لبنان معشر اذا غاب منا ماجد قام ماجد
في قصيدة شبلي شيء سماه العرب التضمين كقوله : اذا مات
منا ... وكقوله : الاكل شيء ما خلا الذكربائد . وفيها ايضاً
طباق كثير يذكركنا صناعة حبيب ، ولكنه جاء عفو الخاطر .

تدل القصيدة على طول نفس قائلها ، والملاط لا يدانيه في هذا
حد . إن رثته واسعة المسام ، فهو لا ينخر ولا يشخر فكأنما
يتنفس من كير . تنزهت قصيدته هذه المرة عن التشبيب بمحاسن
ومكارم اخلاق حبيبه بشاره ، فأين ذهب ذلك الغرام ؟ وابن تلك
الشرّة والعرام ؟ أما بشاره فأبى عليه طبعه ألا يذكر بالخير احبابه
ومريديه فقال :

وربّ اخ رأى فرجاً بدمي فقلت رزيت ذمك لو شفاكا
أطمع ان تخلق للثريا فتطفئها .. عدمت اذن حجاكا
أرايت كيف يدجل بشاره ؟ اننا نشتغل ليل نهار لنهديه
الصراط المستقيم ويسمي عملنا قدحاً وذمّاً ، اننا نسلم امرنا لله ونقول :
ان قصيدة بشاره على الكاف المفتوحة كما ترى ، وبجرها الوافر ،
والبحر والقافية كفؤان لهذا الموضوع ، فلنر ما قال . لا ادري
ايها الدين يعارض ام ابا الطيب ؟ فبشاره هتاري المطامع ولكنه
لا يحسن انتهاز الفرص ، ويسعى الى الهييجا بغير سلاح ... ضمن
قصيدته من شعرهما وشعر غيرهما فكأنه يقلد ابا نواس . اما مطلع
قصيدته فجيد ، غير انه لا يخطو ثلاث خطوات حتى يتعثّر باذيال
الغلو والاغراق فيقول :

أجنّ الموت ، ام هو رام كفؤاً

فهز شباب قومك واصطفاك

ان هذا (الهز) ملائم جداً لموسم المشمش ، وعلى الشاعر ان
يطابق مقتضى الحال ، ولكن من يرثي بشاره ؟ ايبكي وزيراً كالحمل
الوديع ، ام يندب كبش نطاح ، سفاحاً جلاداً ؟ والا فكيف

يكون الرجل كفؤاً للموت ؟ ويمضي بشارة راسماً على لوحته صوراً
سخيفة خفيفة كخربشة الاولاد على دفاتر الحُط فيقول: حبيب الارز
بوبؤ ناظريه ... ثم يقول :

اذا احترقت حشاه اسي فقديماً حرقته على مجامره صبا
اذا سلمنا باحترق حشا الارز ، مع اننا زرناه ، منذ ايام ،
فوجدناه بخير وعافية ، فماذا تقول في (قدما) ؟ أعمر المرحوم
ميشال مثل متوشالغ ومات عن شيخوخة متناهية ، متزوداً الاسرار
الالهية .. ؟ قاتل الله الوزن ، بل قلة الذوق والجلد ! ثم تسعف
الشاعر ذاكرته فلا ينسى لف الفقيد بالعلم اللبناني ، فيبدو له اللواء
ذائباً حزناً على المرحوم كأنه امه او ابوه .. الافضل لي ولك
« ولواء » الذمة خصوصاً ، ان تسمع البيت :

ومن شهد اللواء يذوب حزناً عليك يظن امك او اباك
ماذا يعملان يا ترى ؟ المعنى في قلب الشاعر كما يقول العوام ..
رحم الله حنا زكور وزوجته فقد نشرنا بيروقاً في ماتم ولدهما النبيه .
أرايت كيف تكون الصور صبيانية مبتذلة ، وكيف يكون
التجسيد مضحكاً ؟ ان هذا يكشف لك اسرار مخيلة بشارة الواسعة
وابداعه العظيم ... ويبسط لك « سفر تكوينه » لتعلم ان هناك
واحداً آخر يخلق ذكراً وانثى ... فوحّد ربك ما شئت ، وقل :
ان تعدوا نعم الفن لا تحصوها . ففي هذه الدرة اليتيمة الفاظ عذبة
مثل (صاك وزاك) تذكرك اسطورة البدء ، يوم كان روح الله
يرفّ على وجه المياه ... وفيها الجناس الاجل الابجد مثل (وشاكا
ووشاكا) واطرف قوافيها ما تسمع الآن :

إذا وطن اهاب بنا بغيه سبقت السابقين وقلت ها كما
اي قال : (اِحه) ، كما كتبنا نقول حين نلعب القفيزي
صغاراً ... ولا شك ان عقل بشارة الباطن ادخرها له لمثل هذه
الساعة العصيبة . ان في صفاء الازدهان لآيات لاولي الالباب ، وبهذا
تتميز الشعراء . وينتقل بشارة الى التعريض بممدوحيه الذين لم يدر
على مرعاهم اللبن فيقول :

كرهت الشعر بمدح غير حر ولو كان المليك او الملاك
افي الملائكة عبيد يا ترى ؟ ام في القافية مغنطيس جذب بشارة
كما جذب الحليب الخنفشار ؟ انها خنفشارية حقاً ، لا ، قاتل الله
الفسيان ، اليس جبريل مرسل الله عبداً في الملائكة ؟ اما رأينا
شعراءنا كبشارة وغيره يسخرونه في جميع المآتم والاعراس
وغيرها من مواكب ، وقد تعجبت كيف لم يمشوه في مناحه
زكور اما محتجاً مخلقاً كالطائرات ، او ماشياً خلفه ساكعاً ،
منكساً قوادم جناحيه كما ينكس الجندي سلاحه ... كيف غفل
بشارة عن البطل المغوار رئيس وزارة الله ؟ انه سمي المرحوم ،
والارواح المجنحة صالحة للمواكب الرسمية ، فمخايل صاحب سيف
وله في المعركات غبار . كان ولا يزال وزير حربية الرب ، وقد
أعاد الامن الى نصابه يوم ثار الملائكة على الاب الازلي ليقبلوا
حكومته الدائمة ...

وبعد ، فمن قال لبشارة امدح ؟ أما نهيناه وما ارعوى ؟ فالحمد
له على رجوعه فائزاً من الغنيمة بالاياب . لقد صح به قول المثل :
خفة الرأس تتعب السيقان . ولكنني أكذب عيني واذني ولا

أصدق أبداً ، فما وجه بشاره وجه من يتوب . فهو مستعد أن
يذري كلما طابت الريح .

ويحاول في البيت التالي أن يبري شعره من المديح فيقول :
إذا غنى حماة الحق شعري فكم غنى البشامة والاراك
يطل به الزمان على الليالي شعاعاً من هناك ومن هنا
إن شعراً يغني البشامة والاراك وحوله ما حوله من سحر
الكون - حتى في البوشرية التي لا تطلب منها العافية - ليس شعر
شاعر بحق له القول :

ويا وطناً كسوفاه جمالا على العلات انفسنا فداكا
فلندع هذا الان فما هنا محله ، ولنعد الى البشامة . لماذا خصها
الشاعر بالذكر وهي بنت عم النقاخ؟ أليس بمعذور لو تركها في ذقن
اهلها؟ انه لم يرها قط ، ولكن التقليد الاعمى أجراها والاراك في
شق قلمه ، ولاجلها استحق صاحبنا لقب شاعر العرب . لست أقول
شيئاً في (شعاعاً من هناك ومن هناك) إلا انها تصك الآذان
حين تنشد ... وشاعرنا يصك كثيراً حين يجري في مضمار الاحتيال
على الخلود ...

بشارة ايضاً — الدكتور حبيب ثابت

ويبلغ بشارة تصوير العاطفة فيقول شعراً :

خليلي كيف أنسى عهد كنا وقد نسج الزمان لنا وحاكا
تطوف بنا مجنحة الاماني فتعبث في مفارقتها يداكا
ولم افق هناك يفيض سحراً كأنك قد طبعت عليه فاكا

الثلاثة من جيد الشعر لو الاكثار من « قد » التي لا تستسيغها
اذني في النظم ويكاد يغص بها حسي . ثم لو قال الشاعر (يوم كنا)
بدلاً من (عهد كنا) لأمن شرّ هذا النبوءة . أما (تعبث في مفارقتها)
فقد أساء بها الشاعر من جهتين : الاولى لغوية فعلى شاعر العرب
الاكبر أن يحسن التعدية ، والثانية فنية ذوقية ، فقد شكّ مفرق
مجنحة الاماني حين جمع . أما البيت الاخير فتصوير جميل لا يضيره
النقص في بعض خطوطه وألوانه . وما أجمل صرخة بشارة الصادقة :

فيا ذكرى الاحبة مات قلبي فاني لا احس له حراكا
ففي (مات قلبي) حياة فنية لا حد لها ، والشاعر يصدق دائماً
حين يحدثنا عن قلبه ، فهذا الفتور الذي تحسه في شعره اليوم يأتيه
نبأاً أكيد عن احتضار هذا القلب الذي أحسن شوقي مخاطبته

أيضاً حين قال :

واليوم تبعث فيّ حين تهزّني ما يبعث الناقوس في النساء
ويتذكر بشارة امين تقي الدين فيطربه اطراء يستحقه ادب
الامين وذوقه الفني . ثم تسنح الفرصة فيغتنمها شاعر حماة الحق
ليقول مثل شوقي القائل :

رواة قصائدي فاعجب لشعر بكل محلة يرويه خلق
فيسمعنا :

ذكرتك تملأ الآفاق باسمي فتنفخي الزهور شذا شذا
اذا انشدت قافية بقطر جعلت طراز بورتها ثنا
كان البيت الاول حسناً لولا ركوب الشذا على الشذا . اما
الثناء المطرز البردة فزمنه مضى وراح ، ذاك كان يا اخي يوم لم
يكن نقد ولم يكن تجديد ، يوم كان التقريظ يكال بالمد للشعراء
ويقولون : أحشفاً وسوء كيلة ؟ اما اليوم فالفأس ملقاة على اصول
الاشجار ... اما بلغك ان الدنيا تغيرت ، وان الحرب العظمى
قلبت الارض بالطول والعرض ، فماذا تبتغي منا يا حبيب القلب ..
وانت اللاهج بالبشامة والاراك بفخر جزيل ؟ اذن ليس الحق
علينا . تحرك قليلاً ، ثم من فرشتك نقم معك ، فكل ما في
الكون يردد في مسامعك « ديوغراسياس » . أنسيتهما ؟ تذكر فجر
مدرسة الحكمة ، وحنجرة قسيس الليل ولم نلومك
فمناخ البوشرية لا يساعد على القيام الباكر ...

يعلم الله يا عزيزي ، اننا لانرى فرجاً بدمك - فرج الله كربتك
و كربتنا - اما ان هناك ثوباً نطمع ان نخلق (لها) فنطفئها .. فما

نظن . ليت هناك مسرحة كالتي رثاها الشاعر العربي ... وان كنت
لا تصدقنا فعلى قليل سنوجه المجهر صوب ثرياك ونريك ان وراء هذه
النجوم السبع عشرات مثلها ، قاتل الله خداع النظر ، كم يرينا
الاسود ابيض !

ويتذكر بشارة قول زهير : يعز عليّ حين ادير عيني . فيضعه
في محله . اما شطر المتنبي فجاء كقوله : ووضع الندى في موضع
السيف بالعلی . فقول بشارة :

وتدعونا البلاد فلا نبالي (انشيتها اذاة أو هلاكا)
لا يصح إلا اذا كان محل بشارة من الاعراب « مضافاً » الى
ميشال زكور .. واذا كان قوله هذا كقولي ، مثلاً : انا والمستر
فورد اغنى خلق الله ، فبشارة لا يجازف في السياسة ولا يغامر ، فهو
في اقل حساب نصف إمّعه ... وهناك بيت آخر لا بد من التعليق
عليه وهو ختام قصيدته :

ويا وطناً كسوتاه جمالا على العلات انفسنا فداكا
اما المعنى فمتى كسا بشارة هذا الوطن جمالا وهو القاعد
كالزبرقان ؟ فشعره كما حدده لنا ، إما مديح للذين يسميهم حماة
الحق ، وإما غناء للبشامة والاراك . واذا نظرنا الى المبنى رأينا
(على العلات) تعل القلب ، ولو قال : على علاته نفسي فداكا ،
لكان الخطب اهون . وانا اضمن له تسامح ميشال . قد فداه ميشال
واستراح ، فالله نسأل ان يطيل بقاء بشارة ليغني البشامة والاراك ،
وحماة الحق عند اللزوم ، واياه نعظم لهذا الجمال الذي خلعه ويخلعه
كل يوم على هذا الوطن المحتاج الى خلع امير شعراء العرب ...

وان قلت ايها القاري العزيز: ما هذا التعتت ؟ وأي فرق بين قولنا : على العلات ، وعلى علاته ؟ قلت هذا ينبئك به ابن الاثير فاقرأ المثل السائر ، فليس في مكنتي قول كل شيء .

والآن قد بلغنا « مسك الحتام » أي قصيدة الدكتور حبيب ثابت . انها من الشعر الطري الناعم كغزل البنات وشباب المرنى . فيها من طرافة ملبسه شيء كثير ، ومن اناقته ما لا يجد . لسنا نغالي اذا عددناها قصيدة الموسم بل قصيدة العام ، فلقد سبق الدكتور ثابت شعراء مهرجان زكور . في قصيدته خيال الشاعر وفن الناظم ، وفيها حمى العاطفة - والابداع حمى - ولكن بلا انتفاض كحمى الربع ولا هذيان كاللور الحبيث . والخلاصة ان قصيدة ثابت بريئة من عواء النادات وهرير الناديين .

بكى حبيب صاحبه ميشال كما بكى داود صديقه يوناتان بن شاول ، بيد انه لم يقل كقاتل أوريا: قد ضاق ذرعي عليك يا اخي يوناتان ، لقد كنت شبيهاً اليّ جداً ، وكان حبك عندي أولى من حب النساء ، وقد أحببتك حب أم لابنها الوحيد ...

أدرك الدكتور ان الشعر صور والوان ، ومعان راقصة كالفراشات حول ثغور الازهار ، فسارع على رسله لا هادئاً ولا متعسفاً فشبه صاحبه بالامل ، وذاك الامل أشبه بالفراش يرف ويلعب حتى :

هبّت عليه من الرياح سموها فاذا الفرّاش مشرّد ومخضب ويطل هذا الامل على الوجود هنيهة فيشعشع ويكوكب ، فتغمر المنى الروابي الحضر ، ويلهب الوهج الرمال الحمر ، ويدوي الربيع

المعشب . في القصيدة وحدة ، وفيها الوان الطراز المعلم ، وهذا الذي سماه العرب تديبجاً ، وقد أجاد الذي قال :

بيض صنائعنا ، خضر مرابعنا سودّ وقائعنا ، حمر مواضعنا
لقد عرفنا التلوين قبل الذين اتخذهم شبابنا مثلاً أعلى ومموهم
رمزيين ، ولكن القدماء لم يذهبوا فيه الى أبعد الحدود فلوّثوا ما
لا لون له ، حتى انهم لم يقنعوا بتلوين الماء .. انهم لم يقولوا كمتطرفة
شعراء الفرنج : صراخ السنونو الازرق ...

وفي القصيدة بحر شباب يعجّ ويصخب ، ومركب ضال - غير
سكران كمركب ملومه - يتنكر له الشاطيء .. وهناك كف الموت
تحمل منجلاً وتضرب حيث ميشال :

فهوى كفرخ النسر من عليائه لا يشتكي الماء ولا يتعذب
ان (فرخ النسر) هذه لا تعجبني ، وليت الشاعر نزه قصيدته
عن معنى مبتذل كهذا ، كما انني ارفض (يتعذب) رفضاً باتاً ،
فالشعر العالي لا يقبل الزغل ...

ويدخل شعر حبيب تقع السياسة فلا تفسده ، ويغتر في
السرايا تصونه لغته الشعرية التي يتعمدها ، وتتغلب صورته والفاظه
على سرد الاخبار المحلية التي تهتك حرمة الشعر ... احتزم حبيب
بقرعات الفن ، وألقى نفسه في العباب فنجاً ولم يفرق ، وبلغ شط
الختام غير عاجز عن الخلق والابداع ، واليك هذه الصورة الرائعة :

ارابت بلور النهار محطماً يبكي عليه بمقتلين المغرب
ام راعك البدر الذبيح مجندلاً بين الغيوم السود وهو معصب
ام راعك الليث المحصور مصفداً لانت ملامسه ولان الخلب

ام راعك الطفل الصغير ميتا لا الأم تسمع مشتكاها ولا الأب
خفف عليك فكل حي في الوري

يأتي الى وادي الدموع ويذهب
الابيات مطمئنة هادئة ، واكاد اراها باسمة ، رغم ما صور
الشاعر من احوال . انها كصاحبة عمر حين افرخ روعها . ما خلع
عليها هذه الحلة القيصرية الا لفاظها التي أحسن الدكتور تزويجها ،
وشفاها من « الامراض الجلدية » التي تذهب بالكثير من الحسن ،
ولكنها لم تخل من (لو) فقد كنت افضل ان يقول : يبكي عليه
بمقلتيه المغرب ، فالتعريف أولى لثلا يظن ان للمغرب اكثر من
عينين وما بكى على ميشال الا بشتين .. بينما أصحاب حبيب أقاموا
الارض واقعدوها ، وبشارة حرق الارز ...

ثم لو قال : كل الخلب ، او لفظة اخرى مشدودة بدلا من
(لان) لمت له الموسيقى ، فالفنان لا يتكل على الوزن وحده .
و كنت افضل ايضا ان يقول : لا أم تسمع مشتكاها ولا أب ، إذ لا
حاجة الى التعريف ، وفي التنكير غنى عن « لل ولل » التي تخفف من
شدة التقطيع ، فاللام رخوة واللامان أرخى اذا اجتماعا . اما وادي
الدموع فهذا لقب خلعه الابهاء اللاهوتيون على امنا الدنيا ليستروا
عورتها . اما الشعراء المرحون ، حتى في الرثاء ، فلا مبرر لاعتناقهم
هذا اللقب . ان الفن وقع لا يستحي ...

مسكينة الدنيا ما كولة مذمومة مثل خبز البخيل . اما انا فلو
سئلت التنازل عن سنة واحدة بوادي الدموع لقاء الف أعطائها في
الآخرة لما رضيت . ومن يقل غير هذا فهو موسوس ، او معطل

المحرك فلا بد له من الوقوف ... فيا لله من هؤلاء الذين يحبون
الينا الموت . انهم يريدوننا حيوانات مغامرين ...

وشاء حبيب ان يرد العجز على الصدر فتجاوز هذا المقطع ليقول :
ونعيش بالامل النضير ونرتوي من مدمع الماضي البعيد ونشرب
وغوت بالآلم المرير يلقننا أمل بألوان الغمام مذهب
وهذه مودة الابرار والصديقين التي بشرنا بها بولس الرسول
بقوله : ان الذين يموتون بالرب لا ينبغي ان تحزنوا عليهم كسائر
الناس الذين لا رجاء لهم . ليت حبيباً وقف على شفار وادي
الدموع ، فما نفع الجناس والطباق قصيدته شيئاً . كما انه ليس في
رد العجز على الصدر بلاغة سحبان ، فدعه لغيرك يا حبيب ، انت
لا تحسنه . واذا طبعت ديوانك وأثبت فيه هذه القصيدة الجديدة
بالبقاء فاحذف هذين البيتين ، كما أنني الفت نظرك الى (وهو
معصب) ففيها رائحة الطب ومطهراته وأخمدته ، فدع هذا لمرضاك
وأعف منه قراءك .

هذا شعر نخب ان نقرأه ، ونحب ان يحتذى ، فلا هو بالغامض
المقوت ، ولا بالواضح المكشوف العورات . انني اهنتك يا حبيب
فقد ربحت المعركة وبيّضت وجه الفن ، كما اهني زميلك الدكتور
ابا اللمع ذلك الاديب الذي يزج نثره في معترك الشعر فلا يقصر عنه
بل يسبق الكثيرين من ناظميه .

وبعد فلنف . فلنقل كلمتنا في شعر بشارة عامة ، فشاعر
العرب ينتظر ...

قد سئمت الان فليتنظر ايضاً !

غذاء الخلود

قال امرسون : يجب ان أفعل ما يعني شخصيتي ، لا ما يفكر الناس ان أفعل . وقال ريمي غورمون رداً على غوت : ان النقد السلبي ضروري ، فكثيراً ما نضطر الى تحطيم تماثيل غير محكمة الصنع ، وطرحها في البوتقة .

أعجبت العرب خطة شعرائهم فلم يميلوا عن طريقهم ، وأثّموا أصنامهم الادبية ستة عشر قرناً ، لم يشكوا قط الا بالصفات الزائدة على هذه الالهة فقالوا : هذا شعر منحول ، وهذا مسروق ، وهذا مسبوق اليه الخ . أما الصفات الاصلية فما عرضوا لها بخير ولا بشر الا قليلاً ، بل قدسوها تقديساً وجعلوا خطأهم قواعد فارتبكنا بها . وهكذا عاش الابناء على ملة آباءهم يعبدون ما عبدوا ، وان خالفت معتقدهم بكلمة قالوا لك : أدينك يا مارك ..؟

ما شعر بشارة في القرن العشرين الا هُبل الجاهلية ، فهو تقليد شعر خلا من العناصر التي تشبع مجاعتنا الروحية . وبشارة ، في نظر المنصفين ، آلة ذات وتر واحد ، اما في نظر نفسه فكآلة الفارابي الغريبة الشكل ، يبكي ويضحك وينوّم مثلها ... يريد ان

ينطق بالسنة عديدة كالرسل الاطهار حين حلّ عليهم البارقليط ...
وعدته أكلها العث ، وديباجته حلّة غسلت وكويت .

يطمع بشارة مخلود هذا الشعر الذي يقوله ، ولا يدري انه كجبن
الزكرة لا يسلم طويلاً .. فليته يتداركه بملح الشخصية الذي يضاد
الفساد والتعفن .. ولكن من اين له هذا الملمح وهو شاعر تفكير
لا شاعر الهام ؟ ترعرع بشارة وفيه كثير من ملامح البهاء زهير ،
فقال في عنفوان شبابه شعراً لا أدري كم يعيش . فبعضه شعر حي
ان فاته التجديد لا يفوته حسن التقليد ، فيه شعور حار والحرارة
تضمن الحياة الى اجل ما .

اما اذا استثنينا العاطفة المتقدمة فبشارة أضعف الشعراء في
صوره ، فقير في ابداعه ، وموسيقاه موسيقى دفّ مخشخش .. أما
هو فيرى انه أغنى خلق الله ، على مائدته الف لون ، والخمور المعتقة
تتدفق كنعب أفقا . يصدق بشارة كل هذا ويشكره تعالى ويبيوس
الارض . وهو يظن ان نعمة ربه حلت عليه بشكل حماسة ولا يبعد
أن يكون الله قد صاح ولم نسمع : هذا هو ابني الحبيب ..
ان بشارة قانع ، والقناعة كنز لا يفنى ، وما للدرويش وللناس
فهو راض بما قسمه الله ، لا يطمع بالزيادة . يرى في كشكوله دنيا
لا حد لها ولا طرف ، يسكن كوخاً يحسبه قصرأ من قصور
الف ليلة وليلة .

اذا استعرضنا شعر بشارة كله - ما خلا المأخوذ عن الفرنجية -
وأبنا صورته من عادات العرب ولكنه جدّد فرنيشها ، فهمه ان
يلتقط من أقبية القدماء بعض الدمى فيجلوها برماد العمل ويجعلها

آيته للناس . فبشارة بعدد ، في عالم الادب ، عالماً أثرياً ينبش
الاثر الدفينة ويعرضها في متحفه ، ولو كانت تصلح لمتحف اللبناني
لأغناه وكساء جمالاً كما كسا الوطن ...

قال بشارة شيئاً يوم كان قلبه ينبض ، اما اليوم فقد مات
— كما قال — ولحق به الشعر . اعاضنا الله بطول بقاء الامير والهمة
الصبر الجزيل .

لا يحمل الشعر اذا كان كالـ حركات هندسية ، ولا يصلح للبقاء ان
عافته يد الفنان ، فشعر بشارة يحدثنا عن متاعب يزيد بها بؤس
التفكير وفقر التعبير ضنى وشقاء . وكيف يثري مقعد لا يؤمن
بفوائد الاسفار الخمس ؟ فلا تعجب ان قال في رثاء زكور : حبيب
الارض بوبوء ناظريه ... أي يا حبيبي ، يا بصبوص عويناتي ، ولو كان
بشارة من دير القمر لقال له : يا غلاتي ، فالخطة اليوم عزيزة غالية .
ولا تعجب ان سمعته يهني فخامة رئيس الجمهورية — اده — بالعود
قائلاً — وهو يهني كل راكب وقادم —

هنيء الارز فالرئيس أطـ لا يا حبيب القلوب ، اهلا وسهلا
فاذا كنت جبلياً عتيقاً مثلي تتبادر الى ذهنك تلك الاهازيج
اللبنانية — التراويد وتندكر :

طل القمير على العربان رحلم يا سعد من لو مع العربان رحالي
فهذه الترويدة الحافلة بالصور الشعرية يستقبل بها اللبناني القادمين
عليه في افراحه . اما بشارة فبدون هذه الصور يقابل الرئيس ...
ولاجلها يطلب ان نضفر له اكليلاً من غار لبنان ، بينما
نراء كأنم نوح ينتقل من « طيتونة » الى عليّ قى .

كم استغلب عليّ الضحك اذ سمعت هذه التوريدة المنظومة
شعراً ! شاء من قرأها علي ان يبلوني كما بلا لبيداً قومه قبل ان
يهجو لهم النديم الذي يولج فيها اصبعه ... فعرفت دونما تردد انها من
بضاعة شاعر العرب والعجم . ان اغنية العوام التي ذكرتها أغنى
منها فناً ، واخصب اسلوباً فناظماً يرحب بزائره الكريم مستعيناً
بالخيال ويشبهه بالقمر المطل ، وهو لم يصغره اضطراباً ، كما يفعل
الشعراء الرسميون ، بل للتجيب أيضاً ، فاهيك انه يقول حقاً .
فالقمر الذي يطل يكون قميراً ، ثم يصف عاطفة صادقة فالقمر
ينتظر وتفتح له القلوب حيث الزيت شيخ الانوار ، والسرير زينة
الديار .

ويا ليت شعري ، هل في بيت بشارة شيء من روعة قول العامي :
« يا سعد من لو ؟ » ففي هذا النداء الرمزي المغربي ما لا تجد بعضه
في قول بشارة : « يا حبيب القلوب ، اهلا وسهلا » قال الشاعر العامي
ما شاء وتركك تفكر ، اما بشارة فبقى كلاماً معرباً يذهب جُفاء
لانه لا ينفع الناس ...

لا ننكر ان شعر بشارة هذا من السهل الممتنع فمن يستطيع
غيره ان يقول :

هنيء الارز ، فالرئيس اطلا يا حبيب القلوب ، اهلا وسهلا
فيجمع التهنئة والارز والرئيس ، وطلته ، وحبيب القلوب ،
واهلا وسهلا ... ان هذا لمن جوامع الكلم في زمن فسد فيه لسان
العرب : انا اعطيناك الكوثر فصل لربك وانحر . لو كان الكلام
من بحر الطويل أو البسيط حدثت احداً نفسه ان يأتي بشعر من

مثله ، ولكنه بحر الحُفِيف ، والحُفِيف ضيق ، لا يلجئه إلا الفحول العتاق المذاكي .

فما اسعد عصرنا بشاعره القائل للرئيس أيضاً :
أيها الشاعر الذي ينظم المجد قصداً بكل حسن تحلى
حسبك الشاعر الذي ينظم الخلد وما ضراً ان يكون مقلداً
اظهرها (قصيداً) لا قصداً كما كتبت ، ومهما يكن من شيء
فالبلاغة تسكره ففي (بكل حسن تحلى) الف جمال تجلى . فكان
المتنبى عنانا وشاعرنا بقوله :

فتى ما سربنا في ظهور جدودنا الى عصره إلانرجي التلقيا
فيا لسعادة عرب القرن العشرين بشاعرهم الذي ينظم الخلد في
مسلخه ، ويصنع من فرائه جبة لامارة الشعر .. وقد اجتمعت
لبشارة في هذه القصيدة مرافق لم تجتمع لآكل الرؤوس الذي
وصفه الجاحظ ، فهي اخر ما استنبطته القرينة العربية ولن تبلغه
عبقرية فرنجي مهما طهر وزحر .

راجع قصيدة بشارة في زكور وافحصها فحصاً افرادياً كما
يفحصون بزر القز في كورسكا ، او في عينطورة كسروان ، فان
عثرت بمعنى ليس من مترادف احاديث العوام فلك مني ما تتمنى ، ان
كان في مكنتي ...

ان الاشياء لا تقول شيئاً لشاعر العرب ، فعيناه في قفاه ، فهو
شاعر غير نباتي . الجمال البشري وحده يوشوشه فيقول الشعر تارة
حيّاً وتارة نيّاً ، وهو في كل حال قال الذي عنده فمن البغي
والعدوان ان نسأله تجديدآ .

حدد ادغار بو الشعر بقوله « يجد الشاعر غذاءه الخلد في الكواكب المتلاثلة ، وفي ثنانيا الازهار ، وفي الاشجار الضخمة المنحنية صوب الشرق - كخروب كفرعبيدا - وفي الانجم اللاطئة بالارض ، وفي تموجات الحصاد ، وفي قمم الجبال المزروقة ، وفي مواكب الغيوم ، وفي لمعان الجداول المظلمة ، وبريق الانهر الفضية ، وفي هدوء البحر ، وفي اعماق الينابيع المعتزلة حيث تتمرأى النجوم .

انه يراه جلياً في اغاني الطير ، وعلى معزف Eole ، وفي تنهدات رياح الليل ، وفي اصوات الغابة المؤثرة ، وتموجات الشاطيء ، وفي صفير الاحراج ، وفي عمق السوسن الشهي ، وعبير المساء الساحر ، وفي الجزر البعيدة المجهولة .

انه يجده في كل تفكير سام ، وفي كل الفرائز النقية ، وجميع افعال البطولة ، وفي نكران الذات . انه يحسه في جمال المرأة ، في ملاحظة مشيتها ، في تألق عينيها ، وموسيقى صوتها ، في ضحكاتها العذبة ، في تنهداتها ، في حفيف ثوبها ، ووسوسة حليها . »

أرأيت اين يجد الشاعر غذاء الخلود ؟ فبشارة لا يعنيه شيء من هذا ، فهو جشع ملهوف لا يحيا بالروح ، وحياة الجسد قصيرة العمر ...

فسنة بشارة في الحب : نقل فوادك . ولكنه سرعان ما ينسى الحبيب الاول ! اذا رأى أحب وتحرّق ، وقد شهد هو على نفسه بقوله :

افحتم عليّ ارسال دمعي كلما لاح بارق في محيا

أرأيت كيف يشط رباله كلما رأى طلعة ؟ فلو رافق بشارة في
حبه شخصاً واحداً أو اخلص لمحبوب لوصف لنا تطور هذا الحب ،
وقال شيئاً جديداً ، ولكنه مبال مع الهوى يراجع الدرس لكل طالب
جديد يدخل مدرسته ... ان بشارة كالحجل لا يخرج من منطقته
مهما تكاثر عليه الصيادون . اما اليوم ففي لبنان شعراء تجاوزوا
التخوم المحبوس بها شاعرنا الذي غنى شعره حماسة الحق والبشامة
والاراك . ولكنني اشهد ان بيت بشارة السابق لم يقل احلى منه شاعر
غزلي حتى اليوم .

الشاعر هو من يدل على ما عنده كما يدل النبات على النبع
الدفين في القاع . لا اعني بذلك هذا الغموض الذي مني به شعراؤنا
الجلدد حتى انتهوا الى ادغال الاحاجي والالغاز ، وبدت حاجتهم
القصوى الى المواد الاولية . فهم يرددون كلمات بعينها ، وتعابير
مرت بها رياح الصيف . آثروا بمحبتهم الفاظاً خاصة فأقبلوا عليها
كالغوغاء في سوق النبطية . واللفظة كالمراة متى كثر عشاقها لاتبقى
تلك العقيلة المصونة . فتنهم الاب بريمون والشاعر فاليري فتهافتوا
على الوان وانغام واحدة فاصبحوا كأنهم واحد . ما سموا حتى
انخطوا . نقرأ قصيدة احدهم فنجد مفرداتها وتراكيبها عندهم كلهم ،
وصورهم هي هي كأنهم يستقون من بئر واحدة وبدلو واحد ...
وقد نصحت زعيم هذه المدرسة ان يخرج من هذه الدائرة - دائرة
اللفظ والكنى والرموز المعلومة - لثلا يصبح شعره طقطقة وشوشة ،
وان يفتش عن ذات أخرى يستقل بها ، أما الآن فقد اجتاحت
بلاده ، والعوض بالله .

لست أقول ان الكلمة دابة معلوم حملها ، بل أقول ان على الشاعر ان يحملها ما تطيق . فعلى شعرائنا ان ينتهبوا للحروف فموسيقاها معدومة عندنا ، وكل اتكالنا على الوزن وعلى عبارات مترجمة عن فرلين ومالرميه وبودليير ورمبو وسامان وفاليري وغيرهم . فلنتقن علم فسيولوجيا اللغة لنحسن تركيب الاجسام ، ولنعديل عن اخذها مركبة كالعقاقير الطبية التي تصدرها الينا اوروبا . انما يداوى المرء باعشاب بلاده كما قال الحكيم العربي .

انهم يريدون الشعر موسيقى بلا فكر ، ولهذا قلت منذ ثلاثة اعوام : ان هذا الشعر كثير الفوسفور ، قليل الفيتامين . فالشعر عندي فكرة موسيقية تضاف اليها طراوة النفس التي لا يكون الشاعر بدونها . والعوام يقولون : نفسه خضرا ... وهذه النفس الخضراء هي التي تقول شعراً اذا أمدها الخيال اما خضرة النفس فلبشارة منها حظ غير قليل ، اما الخيال فليس له أثر في شعره الذي يطل به الزمن على الليالي ...

لقد صرفنا سنوات ونحن نقول له كخ ، كخ ، وهو مهاجم مستقيل ، فهل يتسبب بهذا الشعر يا ترى ؟

قال رنان : « ان نفسي مستحوم بشكل طائر البحر حول ابواب كنيسة مار مخائيل ، ويقول عنها الفلاح اذ يراها إنها نفس كاهن يطلب الدخول الى الكنيسة لتلاوة قداسه » فعلق محرر الديبا على هذه الكلمة بقوله : « ولكنها ويا للأسف ، لا تجد ابداً اولاداً يخدمون هذا القداس » . اما نحن فاننا نتمنى لصديقنا بشارة قداساً احتفالياً ، وبالعصا والتاج ، ايضاً ، ولكن نحذره ،

قشامسة اليوم ستمحوهم الايام ، فهل يجد حينئذ من يحمل له المبخرة ؟
ان هذا الجنون في الادب العربي وليد عصور ، انتهت المنافرة ،
يوسرى في عروق الذرية حتى انتهى الى بشارة الذي تخيل شعره
اتطير شعاعاً من هناك ومن هنا كما . اما انا فيظهر لي ، والعلم عند
الله ، انه لا يبقى منه الى حين غير بعيد الا ابيات كثيرات الضرات .
واننا نصارح بشارة وامثاله ان تاريخ الادب لا يخلد الا الشخصية
والتجديد ، فهل عند بشارة شيء من هذا ؟ ليفحص ضميره !
سيعلم التاريخ يا عزيزي اننا لا نرى فرجاً يذمك . وعلى ماذا
نحسدك ؟ اننا لا نطمع ان نخلق (للثريا) فننطقها . اننا نبحث
الثرى حيث انت ونحن مقيمون .
انني اعرف نفسي واثق باخلاصي للادب والفن . اما هذا
الغف الذي تضيق به أنت فهو جبلة ، فلو ملك على المرحوم والذي
الذي فطرني ، فسب دينه ، او ترحم عليه ، فما قدر كان ...

ثلاثة دواوين للعقاد

وحى الأربعين

نظم (مورين) ٣٣

لا أدري لماذا يحلّ بنا الفرع الأكبر وينخلع قلبنا كلما ذكر
أدباء مصر الفرعونية . أغولُ هي ؟ أتضرّ الأدب العربي شيئاً هذه
الفرعونية التي يتبجح بها بعضهم ؟ يا ليت شعري أين هي ؟ ومن
يدلني عليها وله مني دنيا اعرض من الجنة ؟

ومن يخلقها ؟ أهؤلاء الذين يفتشون عن دفاتر جدودهم العتيقة ؟
أليست أكثر منسوجاتهم اكفاناً مفسولة مبسطة ؟ انهم لم ينبشوا
بعد ناووساً واحداً مصرياً لانهم عاجزون عن الخلق ، وهذه آثارهم
تدلّ عليهم .

سألني واحد كيف تجد فرعونية طه حسين . قلت : لا اهتم ولا
انصب بما يقوله الاستاذ ويدعو اليه لانه هو لا يعرف ماذا يريد .
فأقصى امانيه ان يذكره الناس ، وخير زلفى للشهرة عنده هذا
البدع . ليتة يرينا نموذجاً من هذا الادب الفرعوني الذي يحلم به
فنجعله فرعوناً جديداً في دولة القلم . وهل اذا ذكر المصري رع ،

وأبليس العجل الاله ، واللبناني ادونيس وقدموس والزهرة نسبي
ادبها فرعونياً فينيقياً ؟ اذن الفرد دافيني عبراني فقد نظم موسى ،
وبنت يفتاح ، وشمشون وغير ذلك . والاختل جاهلي وثني لانه
حلف برب الراقصات ، بالهدي المحمرة مدارعها . واذا شئنا الرد
على كل ما يقوله طه حسين في الزمان وما انتهينا . ما لنا ولطه ،
هذا عارض من حمى الشهرة يعاوده كل سنة . لقد صدق المشرق
التركي - اسمعيل ادم - حين شبهه بولد ورش يخرب آنية البيت
ويشوش نظام متاعه حتى اذا غضبت امه وهزل له أبوه القضيبي استدار
وقبع في الزاوية يضحك كأنه يبكي .

لا أنكر أن الاستاذ طه دكتور بلدي من الجامعة المصرية ،
ودكتور سربوني من الحي اللاتيني ، وامس حاز واحدة اخرى
ويحوز ايضاً . الله كريم . ولكنه ولو نكح من هؤلاء الجامعات
ما طاب له رباع وخماس يبقى خير ما عنده أنه شيخ ازهري يستطيع
كلام العرب . ربما صار طه رئيس الجامعة المصرية لا عميد احدي
كلياتها ولكن كل ما خلق الله وما لم يخلق من القاب لا يمنعني من
أن أعدده مشاعباً في دولة الادب يشغلها بما لا طائل تحته . إن قلت
أزرق قال احمر ، وهلم جرا . فخير البر السكوت عن شنشته .

لا تعجب ان ذكرنا طه في معرض كلامنا عن العقاد فقد كان
بينهما - في ايام العز - مخالفة هجومية دفاعية . اما اليوم فلا ادري
ماذا فعلت بهما الايام .

موضوعي اليوم العقاد الشاعر . خبروني أن له ، غير دواوينه
الثلاثة التي بيدي ، أربعة اخرى سماها الديوان كما سمي نحر سيبويه

الكتاب . إذن للعقاد سبعة دواوين . لك ان تسميها ضربات بني
اسرائيل السبع . أو سبع بقرات فرعون العجاف ، أما انا فهي
عندي كرجال الكهف تحسبهم أيقاظاً وهم رقود، لو اطلعت عليهم
لوليت منهم فراراً ، ومللت منهم رعباً . فايك ان تفعل كعأوية ..
وبعد ، فلنعد الى الثلاثة وأولها «وحي الاربعين» وإخاله سماء
كذلك تيمناً بالانبياء الذين يكلفهم الله برسالاته في هذا العمر ، لا
عملاً بقول الشاعر : وماذا تبتغي الشعراء مني ...

فالعقاد ، متع الله الادب بطول بقاءه ، سيلزم باب ربة الشعر
ولو فات المئة والاربعين ورده الله الى ارضل العمر . فهو شاعر برغم
انفي وانفك وانف كل من نطق الضاد ، يردُ الفرات زيره
والنيلا

اما الديوان الثاني «هدية الكروان» فلاستاذ يستسفر فيه
نفسه عنا الى عالم الطير . جعله «بعض الهدايا التي يتصل بها السبب بين
عالم الطير وعالم الشعراء .» (ص ١٠) فعسى ان تذكر الطيور ان
الهدايا على مقدار مهديها فتقبلها منه وتؤوب معه ...

اما ثالثة الاثافي فأخر ما انزل على قلم مولانا الجليل ، وعنوانه
«عابر سبيل» . اتضع الاستاذ في مقدمة هذا الديوان وافهمنا انه
يؤدي رسالة الحياة الحاضرة ، تلك رسالة هذا الديوان الجديد
«عابر سبيل» وهو اسم يدل على مرماه . ولست اقول انه ادى
هذه الرسالة ولكن ارجوات يقنع القراء بانها رسالة قابلة
الاداء (ص ٨) .

ولكنها يا سيدي المتصافي ، ستظل في شباك البريد بشرط

التأدية حتى يقبض الله لها من يؤديها . العقاد ككاهن ذرب اللسان
يحفظ التوراة والانجيل والكتب البيعية كلها ، فيحسن الوعظ
والارشاد ولكن غرائزه تعوقه عن العمل بما يعلم ويعلم . انه
الاستاذ القدير حين يضع دساتير الفن بمرسوم أو إرادة سنية ،
ولكنه يعجز عن المطابقة لأن الشعر سليقة . وان صقله المرن
بعض الشيء ، كما توهم العقاد ، فلا يجعله شعراً ، وبرهاني ان الاستاذ
الجليل بلغ الخمسين من عمره المديد ولا يزال نظمه كما كان .

كان بشار بن برد جالساً امام بيته ويده مخرصة ، وامامه طبق
تفاح ، فحاول أحدهم سرقة فضربه على يده ، فقال له الرجل :
انت أعمى ؟ فكشّر ابو عبدة ضاحكاً واجابه : يا احمق ، واين
الحس ؟ ان في الشعر شيئاً ادركه ادراك بشار ولا ادري كيف
اعبر عنه ، ولكنني اشهد انني لم احس بشيء منه عند العقاد .

اقرأ مقدمات دواوينه فاصبح : يا بارك الله ! احسبني امام شاعر
لا يجارى حتى اذا تجاوزت الوصيد رأيت شعراً هزيباً كذئب
البحثري ، وظننتني اقرأ دفاتر المتمرنين في الصفوف الوسطى لا نظم
اديب كبير . اننا لفي زمن كثرت فيه « الاصول » فاكثر
الشعراء يضعون لنا في صدور كتبهم خريطة دنيا وحيهم لئلا
نكون من الضالين . والعقاد اول من فعل هذه الفعلة . يقول في
مقدمة وحي الاربعين ان « التعبير الجميل عن الشعور الصادق » هو
حدّ الشعر . فلنجعل هذه التسمية في اعناقنا لعلها تنفع وتقيننا شرّ
توابع العقاد .

هذا كلام احلى من العسل ولكن هل استطاع العقاد شيئاً

من هذا ؟ نعم ، لقد طبق مفصل الشق الثاني ، أي الشعور الصادق ،
اما الشق الاعلى - التعبير الجميل - فيعجز عنه ولو عمر مثل نوح .
لست اشك بشعور العقاد الصادق ولكن هذا لا يكفي . ان
هذه الحجة لا تقلي عجة . كثيرون جاؤونا بها فما غفرت لهم وزراً .
ليت للعقاد شيئاً من التعبير الجميل فيستر به هذه العورة ! اما الاخلاص
وحده فلا يفتح باب الخلود . لا بد من الفصاحة وحسن التصوير في
الفن ، والا فهيات ان يدخل العبد ملكوت العبقريين .
قال العقاد في كتابه الفصول : « الكلام العاطل ليس ادباً ،
واما الذي يستحق ذلك هو الذي يكسو الفكرة ثوباً من الجمال
والجلال . »

فأين الجمال والجلال في هذه الكتب التي يسميها دواوين شعر ؟
هذا نسل معوّه يحتاج الى وقف ذرية ليعيش .. فليوص به الاستاذ
أميناً من بعد العمر الطويل ... لست اجحد تجديده في العناوين
فوحى الاربعين وهدية الكروان وعابر سبيل اسماء لا يستهان بها ،
ولست بالشيء القليل . قد فعل العقاد كشعراء العالم اليوم ولكن
الملبوس لا يصير القسوس . لا يغضب العقاد ان نصارحه بما في
نفسنا ، فهذا شعر جاف كأنه الخطب اليابس ، وباليته الخطب
فيخرج ناراً ونوراً ! فما هناك الا دخان يعمي الابصار قبل ان
تأتي السماء ...

كأنني بهذا الفقير حين وضع حدود الشعر والشعراء للناس قد
وقف امام المرأة فوصف لنا ملامح تحيلها في ذاته الكبرى ، فقال
« ولكن المبتدع من يكون له ينبوع يستقي منه كما استقوا -

أي القدماء - ولا قبل بذلك إلا لمن كان له سائق من سليقته يهديه
إلى مواقع الماء ، وبصر كبصر المدهد ، يزعمون أنه يرى مجاري
الماء تحت أديم الأرض وهو طائر في الهواء .

يتوق العقاد أن يكون المدهد أو زرقاء الهامة ، وهذا هو
« الشعور الصادق » ، ولكن العين بصيرة واليد قصيرة . فتجمل
يا صاحبي ولا تنس أن الله مع الصابرين ! إن نيتك حسنة جداً فلعل
الآلهة ترق لك وتعرف بابك فتزورك ولو مرة ، فلا تروح من هذه
الدنيا وفي قلبك شيء من حتى .. انظم ولا تيأس من رحمة الله ،
فلولا تسع مني وتسهر ليلة القدر لعل الفن يهيك من لدنه ولياً .. !
ويقول العقاد : « لكل ذهن جلوة ولكل طبع بارد سورة ،
والريشة الميتة قد ترفعها الريح إلى حيث تحوم اجنحة الكواسر »
ثم يقول : « نحن عسيّون أن ننظر إلى ذلك الشعر ، فإن كانت
صادقاً مؤثراً فهو من شعر الطبع ، والا فهو من شعر التكلف » .
هذا بعض ما قاله في مقدمة ديوان حليفه المازني ، والعقاد كما
قلت من أفهم كتاب مصر للفن . أنه لم يغفل شذرة بما قاله الأجانب
فيه ، ولكنه ، واحسرتاه ، غير فنان ، فهو حرير بأن يرثى له ،
وماذا يصنع أن كان شيطانه حروناً ؟

والعقاد يحدد الشعر في « خلاصة اليومية » هكذا : « ليس الشاعر
من يرصع قصائده بما يبهل ويخلب من الحواطر البراقة ، والمعاني
الخطابية المتلائية ، وليس من يزن التفاعيل ولا صاحب الكلام
الفخم واللفظ الجزل ، ولا من يأتي برائع المجازات وبعيد التصورات
غالاوّل ناظم أو غير ناثر ، والثاني كاتب أو خطيب ، والثالث رجل

ثاقب الذهن حديد الخيال . انما الشاعر من يشعر ويشعر .
ونحن نقول : ان الشاعر غير من يحب الشعر . والعقاد يحب
الشعر حتى الاستشهاد ... ولكن ما الحيلة وجنة الشعر مفتاحها
البيان ؟.. ما قول الاستاذ بمجيلة مزينة نظيفة ، وبأخرى تحاكيها
جمالا ولكنها منخرقة السريال علقت باردانها روائح القطار ، صفراء
الوجه من وقود الادخانات كقوم جرير ؟ يضحكني جداً أن أراهم
ينشدون خمرة التجديد من معصرة الاوزان والقوافي والاغراض ،
فما هناك الشعر . ان النفس واللسان يخلقان الفن لا المدارس
والدرس . فما بضاعة العناوين التي ترعب الاطلاسم ورقي . وما
أشبهها بصرر اليوم المغطاة بورق القصدير البراق .

لا يراود آلهة الفن الرفيع عن نفسها الا العبقرى ! وما أحلى
البله والجنون اذا كانا عبقرين . وان يعجبني في العقاد شيء فهو
هذا الايمان المكين بفننه ، انه كأولئك المتجهدين في دنيا الفن
يقومون الليل الا قليلاً ، على رجاء الساعة التي يحملون فيها كتابهم
بيمينهم .

كاد العقاد يكون منقطع النظير ، فهو كثير الاطلاع ثاقب
الفكر ، يناقش أكابر مفكري العالم . ولكن تعبيره الشعري ليس
كما يجب فانحطت منزلته قليلاً عن شكسبير وغوت ، ولا نقوله
راسين وهيغو لانه يرى الشعر الفرنسي جلبة ، وهو لا يحب ان
يقعقع بالشان .

اذا طالعت دواوينه الثلاثة التي اتفق على تجميعها برميل حبر
وقنطار من الورق وغابة من الاقلام تحسبه مسماراً يصدر شعراً في

دواوين ، وبضاعته أشكال وألوان ، فكأنه دكان الضيعة فيه جميع
حوائع البيت ... وليس الذنب ذنب الاستاذ فهو عارف بأصول
الفن ، ولكن الكلام يتعصى عليه ، وفنه كقناة عمروبن كلثوم لا
يلين ويشج قفا المثقف والجبين . نفسه تطلب ومعدته لا تقطع ،
فيقعد ملوماً محسوراً .

خذ هذا العنوان الرائع « عيد ميلاد في الجحيم » فماذا ترى في
تلك القصيدة وهي من خير وحي اربعينه ؟ بياناً دون الوسط ،
وشعراً أبجش تغلب عليه صنعة النثر وصبغته ، وعلى ضوء قوله :
« انما الشاعر من يشعر ويشعر » ، رحت أفقش في جحيمه ولا
فرجيل يهديني ، فما وجدت خيالا يرضيني ، ولا شعوراً يسليني
فعدت بخيبة أردد : ما لي لا ارى المدهد ..

القصيدة غراء فرعاء مصقول ترائبها ، ولكنها مقعدة ، تخلو
من الاهتزازات والنبرات والصدى البعيد ، كأنها الشوحه في
إسفافها . أنكون في جهنم ونبرد ؟ أنحضر عيداً ونحزن ؟ ثم نقول :
ان الشاعر من يشعر ويشعر ..

اذا تصفحنا وحي الاربعين رأينا مبوباً أحسن تبويب ، فيه
تساوق أكاد لي ان العقاد يفتش عن مواضعه تفتيشاً بل هو
ينظمها ليسد بها فراغاً ، ويملاً بياضاً معلوماً من الورق يخرج منه
كتاباً للناس . وللاستاذ فلسفه بل الاستاذ يحب الفلسفه جداً ،
وفلسفته لا مطه فيها ولا عطر . من شاء فليؤمن .. اقرأ فلسفه
حياة (ص ١٧) فهي تتناول الكون وما وراء الكون : الاله ،
الحاود ، السعادة في الدنيا ، الخير والشر ، الحلال والحرام . كل

هذه المعضلات يدرسها الاستاذ الاعظم في خمسة عشر بيتاً فقط ،
وهذا كثير ، فخير الكلام ما قل ودل .. وهأنذا أذكر لك
الحائقة لتذكرني بها :

شرعك الحسن فما لا يحسن فهو لا يحلو وان حل الحرام
ليس في الحق اثم بيّن غير مسخ الحسن او نقص التمام
ما عدا هذين بما يمكن فاستبحه وعلى الدنيا السلام
بخ ، بخ ، الا اثنتين فلا تقرهما ابداً . هذا هو الكلام ،
وهذا هو التعبير الجميل عن الشعور الصادق ، حد الشاعر العظيم
والشعر الرفيع ...

هذه آية صغرى من الباب الموسوم « تأملات في الحياة » وهناك
اشياء غيرها لا تحصى . في هذا الباب خمسة وثلاثون عنواناً في ست
وعشرين صفحة منها هذا العنوان : « انذار الغضب الى الحق
المحتجب » ، وقد فهمت معناه فما هي اللفظ اغراب . ذكرني
هذا السجع بطالب اسمه كنعان . سأله رفيقه ان يكتب له سبعة
في اول كتابه كعادتهم في ذلك العهد فكانت : يا رب يا رحمن
احفظ عبدك كنعان . فزاد عليها صاحبنا اسم والده الكريم وضيعته
فصارت : يا رب يا رحمن احفظ عبدك كنعان ديب من دلبنا . اما
العقاد فحافظ على روعة السجع وبلغ الحق المحتجب هذا الانذار
الخطير :

ان جئت طوعاً فجيء او لا فلا تبرح خفاءك
فأي وليد لا يستحي بشعر كهذا ؟
وفي هذا الباب ثلاثيات ورباعيات كرباعيات فيلسوف العراق

المرحوم الزهاوي ، اسمع قول العقاد :
 الموت طرّاق على الأبواب عافٍ كالعفاة
 الموت أئذا فخذ ما تستطيع من الحياة
 وعندي ان الزهاوي قال احسن من العقاد الف مرة يوم نظم :
 لا تقف قدام لذاتك مكتوف اليدين
 انت لا تأتي الى دنياك هذي مرتين
 وتحدث الامام عن النور فوفقه الله الى بيت عليه مسحة شعرية ،
 ولكن بعد زحير كزحير امام عصبة ابي نواس في محرابه ، فقال :
 عجبت لأرض تخطر الشمس فوقها
 وتشرق فيها كيف يطررها الغم
 فكانها خمرة ابن الفارض فما سكنت والههم يوماً بموضع ...
 ها نحن على وصيد الباب الثاني وعنوانه « خواطر في شؤون
 الناس » . فلنقف قليلاً عند ثلاثة أبيات عنوانها « عدل الموازين » ،
 ولا تعجب لكثرة العناوين وقلة الشعر فالحياة قصيرة ، والاستاذ
 يريد ان يقول في كل فنّ ومطلب :
 إننا نريد اذا ما الظلم حاق بنا عدل الاناسي لا عدل الموازين
 عدل الموازين ظلم حين تنصبها على المساواة بين الحر والدون
 ما فرقت كفة الميزان او عدلت بين الحلي واحجار الطواحين
 اما عدم عدل الموازين بين الحلي واحجار الطواحين فلا يكون الا
 اذا كان ناصبوا بها ليل . لست الاستاذ وضع هذه السفسطة في ميزان
 منطقته ووضع قبالتها العيار ليعرف قيمتها . وقد اضحكني بعدها
 بيتان عنوانهما « شطور » :

دليل على ان الكمال محرم اناث خلقنا بينها وذكر
فما المرء في جسم وروح بكامل ولكن كل العالمين شطور
اتقول لي ماذا ينظم الاستاذ؟ واية فكرة يخرج لنا هذا الهدهد
المتوَج ؟.. اللهم اين انت ، أخرجت ابويننا من الجنة لتنزل بنا
هذه الدواهي ؟

و كأنه يعارض اخاه ابن الرومي بهذين البيتين ، فاسمع لعلك
توافقني :

من ساء بالناس ظناً دون ما ألم احقّ عندي بسوء الظن والتهم
أسىء ظنونك لكن مكرها ابدأ كمن يظن ببعض الآل والحرَم
ثم لا يحجم عن نظم الكلمات المأثورة مثل : اعرف ما ترميه
تعرف ما تجنيه ، فيقول :

تعلم كيف تستغني اذا ما شئت ان تغني
فمن يجهل ما يلقي فقد يجهل ما يجني
رحم الله ابا العتاهية وساحة الملوك... وليسبح لي الاستاذ
ان اذكره انه وقع هنا بما خطأ به جبران من ترك الجزم بمن ،
ولكن فلينعم بالا فهذا جائز ، كما قلنا منذ اعوام .

وفي شعر الاستاذ كثير من الرجوع المعدّ والرواسم البالية ، وإن
لم تكن هذه جاء بكلام كأنه الحديث كقوله في تكاليف العظمة :
تنصف الامة الضعيف ولا تنصف يوماً عظيمها المظاوما
قلت ان العظماء لا يحتاجون الى من ينصفهم ، فهم يأخذون
حقهم غلابا لا التماساً . انهم يفرضون انفسهم فرضاً على الناس كما
قال بودلير .

وقال الاستاذ بيتاً في العبوسة ينم عن نفسه الكبيرة :

قطوب كريم خاب في الناس سعيه

احب من البشرى بفوز لثيم

اما حكمته في مصائب النخوة :

وانخف ما استطعت منهم يخالوا أمنهم من اذاك غما يعد

فينتشيّة عربية ، والاستاذ بمن قرأوا الاثني .

وهذا باب ثالث عنوانه « قصص وامثيل » افتتحه الاستاذ

باسطورة اكاروس اليونانية فقال في هذا الموضوع قصيدة هي اطول

منظومات وحي الاربعين تدل على طول نفس الناظم ، وان ذكرتنا

بعض قوافيها بيوم عصبص وهلوف . وما عليها ، فلشعراء العظام

مثل المتنبي وغيره هفوات بلاغية كهذه . لا تحلو القصيدة من شعر

رصين ينسينا بلادة ما سبق من الفلسفة الرخيصة الركيكة . وقد

لفت نظري منها بيتان لسبب اذكره لك ، البيت الاول :

وسر قدماً ، ان المطار لواحد ولكن سبيل الأوج ليس بمقرب

شرحه العقاد هكذا : أي انك اذا طرت الى الامام أو الى

فوق ، فالمطار واحد . ولكن المطار الى فوق لا يقربك الى قصدك ،

وانما يقربك اليه ان تطير الى الامام :

والبيت الثاني :

وللأمس شوق ان يرى الغد طالعاً

فان مات يوم قبل ماضيه فاعجب

وهذا شرحه : لا يجب الاب ان يموت ابنه قبله فيكون كالغد

الذي غرب قبل امه .

قد رأيت العقاد في هذه الشروح والتعليقات يفعل فعل المكاري
حين يسعف بغله اذا اسند في الجبل وركب تحت الحمل ... فيا
لضيعة التعب !

ثم تأتي قصيدة « هو وضميره » فاذا بها حوار على طريقة الشاعر
الانكليزي هاردي . ثم تليها خير قصائد الديوان تفكيراً وتعبيراً
وتلويحاً وإيماءً ورمزاً ، عنوانها « كعبة الاصنام بعد الزلزال » . انها خير
ما قرأت للعقاد بعد تلك اللعب التي ضيع وقته في نظمها وقتلنا
بقراءتها ، فهنا مسرح خيال وفكرة شاعر . ولكن اذا قسنا
الاستاذ على قوله السابق : لكل ذهن خامد جأوة ، ولكل طبع
بارد سورة النخ . وجدناه لا يستحق لقب الشاعر . لينتظر لعل الله
يفتح عليه بشيء آخر .

لنته يقلل من ادخال المضارع على المضارع كقوله : لم اشأ
اهجرها ، فهذا قبيح .

وتليها قصيدة بين الشاعر وعروس شعره فيزجرها بقوله :
كفى يا عروس الشعر خيبت آمالي و كذبت احلامي واشمت عذالي
انعم بالاء يا استاذ فليس في الموت شماتة . ان عروس شعرك
عانس ولا ادري اعليك الحق أم عليها ، فلا تفلتها متى أقبلت ، ولا
تقل لها كأبي تمام : ليس ذا وقت الزيارة . فاعذب الأكل القنص .
افعل ولا حرج .

أما الحميم فمخمة في الشعر ، ومثلها « أنجع نفسي حزناً كمن
بجنا .. » ألا تراها بنت عم المعضع ؟ وان جاء ، فلعلك باخع نفسك ،
فالشعر غير النثر .

وأثقل منها هذه « حفزت » وحفزي في قولك :
ان منعت لذة حفزت لها فكيف حفزي من لم يكن منعاً
ان هذه الزعارير في الشعر العقادي فوق العدد والحساب ،
ولو شئنا استنصاها جميعاً من شعر « امير الشعراء » لاستعنا بجلدهم
الاستاذ كافور ...

وحي الأربعين ايضاً

كدت مرات أكفّ يدي عن قصاع العقاد فنفسي لا تشتهيها .
والغريب ان نفسي ما كانت قط عيوفاً ، فلماذا هذا الغنج والدلال ؟
انها غير ملومة ، اما قطعت جبهة قول كل خطيب ، واختارت
معارف مصر ديواناً لعلّي الجارم ولم تختار للعقاد غير النثر ؟ يا ليت
امر هذا الاختيار يصير اليّ لأوجب على معاهد العالم العربي جمعاء
تدريس دواوين العقاد ثلاثتها فيكون لنا منها الفيات فلسفية علمية
تفوق حقاً ألفية ابن معطي . وهكذا يتكافأ عصرنا وعصر ابن مالك
والشيخ ناصيف البازجي !

اليس عجباً ان أخرج من هذه الدواوين كما تخرج الشعرة من
العجين لا يعلق بهذا كرتي بيت واحد ؟ وان تحلفني حلفت لك ، غير
آثم بربة شعر العقاد . فيا ضياع تعب سيد قطب ! لقد خسر قوة
تذكر في تمشيط الامتاز وجلوته ... فتعمقه في درس « غزل العقاد »
لا يقل عن تنطع مار توما في تحقيق الثالث الاقدس واثباته .
لا يستبعد ان يكون في « غزل العقاد » تلك الشخصية التي
كشف عنها الغطاء سيد قطب فأرانا ستة وجوه لو يشتد اكثر لسببها

وكان لعصرنا رؤيا جديدة وتنين جديد ... قد يكون لشخصية
العقاد هذا المدى البعيد ، ولكنها ، يا ويحها ، شخصية بلا شعر .
فبيانها لا يطاوعه ، ويده لا تؤاتيه ، وهو شاعر بعينه فقط ، والحرب
هينة على النظارة .

هذا رأينا في العقاد . اما العقاد فيحلم ، وهو راقد في الظل
الخلف البنفسجي ، بأن سيقوم في أعقاب الدهور ، عند ظهور الامام
الذي يملأ الدنيا عدلا ، عقاد آخر ينتبه لمحاسن عقادنا الحاضر ، ويغلي
شعره كما فلدّى هو شعر ابن الرومي . فان صح هذا الحلم واصبح
الشعر رصيناً يزدرى الموسيقى والرقص لانها يخففان الوقار ، صار
عباس محمود العقاد اول الشعراء الاربعة والابقي ثالثهم - لا اقول
رابعهم - لا يبرح مكانه الذي وضعناه فيه حتى تقوم ناقة صالح ،
ويهب كافور للمتنبى ضيعة او ولاية ...

نحن الان عند باب « وصف وتصوير » من وحي الاربعين ، وفي
وصف للعقاد غنة دموسية حلوة ، يطالعك بها الفتح المبين في مشروع
حليم الجديد ، اي تحويل شعر القرآن نظماً واليك منه نموذجاً بلا
ثن . قال حليم ينظم سورة البلد :

اقسمت في هذا (البلد) وبوالد وبما ولد

أترأه لم يره احد حتى تمتّع بالعرين ؟

ليت صاحب الملحة الجديدة تعقل « فلا اقتحم العقبة » فدونها
ما جاء في الآية الثالثة عشرة من هذه السورة ، أي فك رقبة ،
- بالمعنى الاصلي اللبناني .

اما مولانا العقاد فيصف خليج ستانلي او حمامات البحر في

الاسكندرية على النمط الدموسي فيقول في وصف المستحبات :

تلق الطويلة كالقصيرة والساحنة كالصلف
برق السحاب طوالها وصغارها برق خطف
والسهم يقصد ان جثا رامي السهام او اشتوف
ومنها :

ألقى هن بقوسه قزح وادبر وانصرف
عيد الشباب فلا كلا م ولا ملام ولا خرف

قد افاض غيري في تحليل القافية الاخيرة فلا ادنو منها بل ادبر
وانصرف كقزح ، وان اهاب بي العقاد :

قف في عبورك (غير مأ) ومن يعبر وقف
اجبته : تعذرني وانت كريم ، فقافيتك تستغيث بموت المتنبي
وعوده ...

أرأيت الحرايش التي يسميها هذا الفقير تصويراً ؟ ان الشاعر
يجسد الجماد ويربك الاساطين عذراى مائسات كقول شوقي في
« انس الوجود » :

ايها المنتحي بأسوان دارا كالثريا تريد ان تنقضا
قف بتلك القصور في اليم غرقى ممسكا بعضها من الذعر بعضا
كعذارى أخفين في الماء بضاً ساجحات به وأبدن بضاً

لا فرق بينها سوى ان احمد شوقي يحبي ، وعباس العقاد يميث .
سيحشرني العقاد مع الذين مدحوا احمد شوقي لانه هو نقده ، اما انا
فأتلو عليه آية الاعشى :

وما ذنبنا ان جاش بحر ابن عمكم
وبجرك ساج لا يوارى الدعامصا
او ترى الحياة ، يا امير نفسك ، ما تجتة صاحبة في حمامات
الاسكندرية فما تريد على ان تنصب قلبك هدفاً ..؟ الفن يا معلم ،
هو امرك هذه المشاهد الهاربة وجبسها الى الابد بين دفتي كتاب
او صلبها على لوحة . اما انت يا صاحبي
فهنفت فليحي الجمال وقد يعاقب من هتف
فبدلاً من ان تصف لنا الجمال الزاخر الذي تغتيت به في نثر
وناقشت اكبر المفكرين رحت تسجل نظماً ماجريات رخيصة
تذهب مع الدوي ، وما تفيد الا الدلالة على انك تفهم الشعر كلاماً
أبعد غاياته مطابقة الصرف والنحو والعروض . فما عذر زورقك
الشعري ، والرياح تجري كما تشتهي ؟ اذا كنت تضحي وتختصر
كعمر صاحب نعم ، فهلم الى قطرنا ، الى حمامات طبريا ، فلعل
قريحتك الجامدة تسيل .

وتحت عنوان « القمر » يعارض العقاد صاحبه ابن الرومي
في : تبرجت بعد حياء وخفر ، فيقول بيتين جيدين :
كلما اشرق في الليل القمر وسها الناس ولاذوا بالحجر
خلت ارواحاً تداعت للسمر زمرا تهمس من حول زمر
لقد قلت « في الليل » من وقار البيت وجلاله ، والعقاد يعلم
ان القمر سراج الليل المنير ولا يطلع نهائياً ، ولكن الوزن استقام
بها وهو لا يرمي الى ابعاد من « التعبير الجميل » في الفن .
ان للفن فتنه الشبكة على وجه الملبحة ، والعقاد لا يحسن حبك

هذه الشبكة . يطوف حول أسوار اريحا نافخاً في أبواقه، والاسوار لا تسقط لان زمن سقوط الشمس قد انقضى . فالشاعر شاعر يتمثل أغراضه ويخرجها من نفسه كما تصنع النحلة شهدها . لا حياة فنية بدون هذا الهضم ، فالعشب لا تخرجه الدرة لبناً صريحاً الا بعد أن يمر في الف مازق ، وكذلك الفكرة لا تحول شعراً إن لم تمر بخلايا النفس الشاعرة . والذي يزعم ان العقاد يجبل هذا يأثم ولكنه يحاول الاندغام بالاشياء فتتنكر له وتنفر منه وتقوم العداوة بينهما ، ولا إكراه في الحب . فما يسمونه رقة وحناناً لا أثر له عند العقاد، ولهذا يرسل الشعر معقداً كذنب الضب . لا شد ولا لز في نظامه كأنما هو حياكة الخوص .

اقرأ باب « غزل ومناجاة » . ففي هذا الباب تصوّر لا بأس به لولا حبسة في لسان ناظمه بل لولا تلك اليبوسة التي تجفل المحبوب . في القصيدة الاولى « مباراة بين الشفاء » يصطنع العقاد الاسطورة ويجعل الرب حكماً في هذه المباراة فيحكم ذو الجلال لشفاه الملاح غير مبال بشفاه العباقر والجبابرة لانه ، عز وجل ، جميل — كما خبرونا عنه — ويحب الجمال . ورب العقاد هذا عنده ما عندنا نحن البشر ، فسجل حكمه ومهره اذ دعا اقرب الملاح اليه :

وقبل مبسمه قبلة تضرّم منها مكان الحجل
وقال اجل تلك أغلى الشفاء فأصفوا جميعاً وقالوا اجل
أما العقاد الذي هو اشد عارضة من الرب ، ففوراً اعترض واستأنف وميّز ونقض وأبرم قائلاً :

بذا حكموا بعد طول المطال فليسمعوا رأيي المرتجل

إذا التمسوا مثلاً للشفاء قلت لهم شفتيكم المثل
لثمت الحياة بلثمتها وعادت بعد السوا الغزل
يظهر لي ان صاحبي العقاد يحب شيئين في الدنيا : الضياء
وخصوصاً اليوم المشمس ، والقبلة وهي اولى لباناته من الحياة . إنه
يؤثر القبلة على كل هنات الحب والله اعلم ... ولكنه لا يحسن
التحدث عن مفعولها ، فكان الحجل الذي تضرع حين قبل الرب
مبسم الملبح غير بارعة .

وتلي هذه المباراة الطريفة قصيدة « المعاني الحية » : اي الوجوه .
في هذه القصيدة بعض الشعر فعليك بها في الديوان ولا تنس أن
عنوانها أشعر منها .

ها قد بلغنا أشهر قصائد العقاد وعنوانها الكبير « غزل فلسفي »
وعنوانها الصغير « فيك من كل شيء » قد شرحها سيد قطب في
الرسالة شرحاً لاهوتياً ، واليك مطلعها :

فيك من شمس الضحى العين التي ترسل الملح مضيقاً في الظلام
فيك من بدر الدجى احلامه حين يسري نائماً بين نيام
لا اناقش نظم العقاد كلمة كلمة ولكنني اتعجب لتوفق العقاد
الى لفظة شعرية هي (احلامه) ، فقد كادت تقيم البيت لولا عجزه
الذي يكوي كدابة اصابها البيطار .

وماذا ايضاً في حبيب العقاد ؟ فيه من كل ما خلقه الله في التوراة
في ستة ايام ، واليك جدولاً مطعماً ، فيه : من طلعة الربيع ،
وبرق وغمام الشتاء ، وغناء الطير ، ونوح الحمام ، وخرير الجدول ،
ونظر الوحش ، وانفتال الحوت ، وسطوة النسر ، وخوف النعام ،

إذاً هذا الحبيب بر وبحر كما يقول العوام . ان الامانة الفنية تقضي علي
الآن بايراد الكلام بمخذا فيره بل بنصه وفصه كما عبر السلف الصالح :
فيك من نار الحياتين الهوى هل حياة الحي الا من ضرام
ان عجز هذا البيت فلسفة طبيعية فتفهمه جيداً . اما عجز
البيت التالي :

والذي أرهبه وأسفا هجرك المدعو بالموت الزؤام
فقد قصر فيه العقاد عن بيت البارودي ، فأين قوله : هجرك
المدعو بالموت الزؤام ، من قول ذاك : أخو فتكات بالكرام
اسمه الدهر ...

قيل ان احدهم نادى غلاماً باسمه عبد الله فما ردّ عليه حتى نسبه
الى أبيه ، فقال له : أطرش أنت ؟ أدعوك مرات ولا تردّ علي ؟
فضحك الفتى وقال : كلنا يا سيدي عبيد الله . فأجازه معجباً بذكائه .
وسمعا غلام آخر اسمه حمزة فخرنها يحلم بالجائزة ، ولكن جوابه
المدّخر : كلنا حمامين الله لم يطعمه خبزاً .. وكهذه قول العقاد :
هجرك المدعو بالموت الزؤام ...

فلنعد الى الجدول لثلاث ففوت القاري شيء من هذا المحبوب ،
وفيه : من نقص الدنيا وقام الآخرة ، وطيب الملائكة ، وغني
الشيطان وآثامه ، وسكرة الحمرة ، وغذاء القوت ، وريّ الماء ،
وهيام الجوع ، وحظ وافر من الارض ، وحظوظ من سماء لا ترام :
أجديد ؟ إي نعم قال الصبا أقديم ؟ إي نعم قال الوسام
ولا تعجب إن رأيت اسلوباً افرنجياً في القول فشاعرنا يحب
التجديد ... وفي هذا الحبيب شيء من هندسة علوية لم اذكرها لك .

وفيه من الشاعر ومني ومنك ، ومن جميع الناس ، ومن كل موجود وموعد توأم - هذا شعر - فهو إذن أزلي أبدي وسع كرميه السموات والارض .. فليت الشاعر لم يسه في هذه القصيدة « النورانية » عن ذكر كل ما في هذا الحبيب اللذيذ . ليته نظم لنا شعراً كل المقادير التي فيه من كربون ، وكليسيوم ، وحديد ، ويود ، ومغنيزا ، وفوسفور ، وكبريت ، وسود ، وبروم ، وفليور ، وسليسيوم ، واكسجين ، وهيدروجين ، ونيوتروجين ! بل ما ضره لو ذكر ايضاً المواد المركبة مثل كربونات البوتاس ، وكالورير السوديوم ، ليرى الغناء العظامي ، والكرماتين ، والنيكلايين ليشق من متانة خلاياه ونشاطها ، والالبومين ، وغيرها ليرى كيف دهنه وشحمه ، والفلو كوجين ليرى كيف تكون كبده أرقية أم غليظة ، فيأخذ حذره ويأمن غدره ... ناهيك بما في هذا من فائدة جزيلة للطلبة إذ يتعلمون أهم « دروس الاشياء » بسهولة . فالشعر سهل حفظه .. رجاء - ليت الاستاذ الجليل يشبع هذا الموضوع درساً وتحليلاً فيحدثنا عن نفس ذلك المخلوق العجيب ، أحلّت فيه عند الولادة كما يزعم افلاطون ، أم بعد الحبل باربعين يوماً ان كان ذكراً ، وثمانين ان كان انثى ، وهذا رأي ارسطو المعلم الالهي وعليه مارتوما ... فلاستاذ يحب الفلسفة وله فيها جولات تذكر فتشكر ..

حقاً ان الشعراء في كل واد يهيمون ، ولكن العقاد يهيم وهو غير شاعر .. انه يقول الشعر كالزجل وهاك البرهان : يبدأ الزجال اللبناني كل دور بآخر شطر من الدور السابق ، وكذلك يفعل العقاد ، وان كنت تتمني فاسمع قوله :

هذه الروعة هل تجمعها في مدى يوم لحوم وعظام
 لا وربي بل دهور غبرت قبلما تتقنها الايدي الكرام
 قبلما تتقنها الايدي التي نسقت انواعها وهي حطام
 انتبه جيداً فهو يهدي اليك رأي دروين منظوماً ، ثم يقول :
 ان نفوي اليوم من دنياهم وابعوا لي من الزاد المرام
 ثم قالوا ما تشا منا فخذ قلت هذا وعلى الدنيا السلام
 قلت هذا وتقدمت الى هوة الغيب وفي الثغر ابتسام
 أليس هذا كأسلوب الزجل ؟ وما في فصاحته هذه خير ، فهو
 دون عروضنا البلدي شاعرية وتصوراً وعاطفة ، وزاجلنا لا يقول :
 قبلما تتقنها الايدي الكرام ، ولا يذكر حبيبه كالقصاب فيقول :
 لحوم وعظام .

ونمر بأربعة أبيات عنوانها « مائدة » احسن الشاعر الرمز اليها
 والتعبير عنها :

مائدة اسرف في طهيها عشرين عاماً عبقرى الزمان
 مدت لنا طوعاً فما عذرنا اذا تركنا لقمة في الحوان
 فللاستاذ تهنئاتنا الحارة بهذه المائدة الدهرية التي اوجت بيت
 شعر . أما « سعادة في قمقم » فاسطورتها تافهة ، ومثلها « عيد
 ميلاد » التي الف بها العقاد ثلوثاً من الشمس والمسيح والحبيب
 صاحب العيد ، وقد وصف الشاعر ثلوثه الجديد بمنظوم دون النثر
 الوسط . واليك نموذجاً منه لتحكم عني :

النور والحسن واليقين تحتفل اليوم في مكان
 اما فكّ هذه الرموز الهيروغليفية فكذا : النور للشمس

والحسن لصاحب العيد ، واليقين للمسيح ، والثلاثة ولدوا في يوم واحد . فافهم ولا تنشغل عما بقي من بلاغة ساحرة :

احدى وعشرين من سنين قد تم في أوجها القران
اي عمر صاحب العيد ٢١ ربيعاً ..

ثالثكم تم بعد حين فليض ما شاء في أمان
وليتهف المنشد الفصيح بالحمد في العيد والغناء
كلاهما مغنم ربيع لعاشق الارض والسماء

قد لا تصدقني وتقول في قلبك : هذا كلام منحول . لا والله ،
انا شككت مثلك ، وقد فركت عيني مرات وحملت جيداً لأنني
كدت لا اصدق ان أديباً كبيراً كالعقاد يذيع شيئاً كهذا على
الناس ، ولكن وحي الاربعين حي يرزق فافتح (ص ١٣١) .

وغير « بنبضات جديدة » فنهفو اليها ولا نقع الا على سراب .
وتسير قافلتنا في هذه الصحراء فنبلغ فصلاً جديداً عنوانه « قوميات
 واجتماعيات » اوله قصيدة عنوانها « الى المحسنين » القيت في احتفال
سنوي لجماعة بطنطا سنة ١٩٣٠ ، فاسمع بعضها :

يا جيرة الاحسان والمحسنين لبيكم لبيكم أجمعين
من يسمع الملهوف حق له - لا ريب ان يسمعه السامعون
من عين شمس جئتكم ناهلاً من عين شمس لا تراها العيون
حيث في محفلكم اخوة بناتها في الخير صنو البنين
مرحبكم أخت عيساكم وكلكم آمنة أو امين
ومن روائعها :

يا غارسي الاحسان في طنطنا ما خصبكم فيها بماء وطن

وطندنا لغة في طنطا ، وقد تم علماء اللغات القديمة ، والمولعين
بالآثار .. وللشاعر ما لا يجوز لغيره . وبلي هذا البيت الاخير نظم
بعض آيات الكتاب العزيز ببراعة يقصر عنها حلیم :

ظل ظليل وجنى رحمة ربان يؤتي أكله كل حين
ويعقب هذه أبيات وجهها الى غاندي يوم افطاره ، منها بيت
يعلمنا فيه العقاد نظرية التلقيح للجذري وغيره اذ يقول لغاندي :
خذ من قرارة دائم لدوائهم بعض السقام من السقام ضمان
ومن يقول بعد هذا لا جديد تحت الشمس ؟!

وتلي الدرة « الطندناوية » قصيدة « الاستقلال السوري » وقد
قضينا لها ما يجب منذ ثلاث سنوات واكثر . وها انا ذا اسرد لك
ختمها البديع لاذكرك بذلك الجمال الفني :

وخذوا التهاني من مهتي . نفسه بغد يطالعكم بالاستقلال
اما رأيت انوار الجمال الفني تتدفق من : خذوا التهاني ، ومن
مهتي . نفسه ، ومن يطالعكم ؟ اما المعنى فليس ظاهره كما تسمع
وتقرأ كل يوم : نهني . أنفسنا ونهني . بكم الوظيفة الخ ، بل هنالك
اسرار دفينه لا يعلمها الا الله والراسخون في العلم من شرائح العقاد .
عاب العقاد على شوقي شعره القومي الاجتماعي وانتقده انتقاداً غليظاً ولما
حاول هو ان يقول مثله وقف حمار الشيخ في العقبة ...

اما باب « فكاهة » فيتألف من عشر صفحات لا فكاهة فيها .
شبهت فكاهة العقاد بفكاهة صاحب لي كان يقول في نهاية نكته :
انتهت اضحكوا ! فليت عقاداً يلحق بديوانه ليدلنا على ما يحسبه
فكاهة !

اما وقد أعيت ولم اجد تفكها واحدة فخذها من قصيدة
الاستقلال السوري فتكون فاكهة في غير أوانها ، كما يقال :
بوركت من وطن يجل شهيد في حبنا القى عصا الترحال
هل طرق سمعك قبل الآن مثل (في حيث) ؟ هذا هو السحر
الحلال بعينه فتعلمه ولا تعمل به ...

أما « متفرقات » وهي عشر صفحات ايضاً ففيها ، والحق
يقال ، بيت جيد وهو مطلع رثاء حافظ :

أبكاء وحافظ في مكان تلك احدى طوارق الحدثان
ولو أرجعنا تفاريقه لأصحابه لم يبق للعقاد شيء . وهنا ينتهي
وحي الاربعين ، اعاننا الرب واياك على احتمال هدية الكروان ،
وعابر سبيل .

انني لأرحم العقاد رحمتي لقبیحة تحشر نفسها بين الحسان وهي
مؤمنة بجمالها .. فما اكثر المغرورين في الدنيا ، واولهم العقاد
الشاعر الذي يردد بينه وبين نفسه : والله ممتّ نوره ولو كره
الكافرون .

هدية الكروان

نقط ٣٣

موضوع بحثنا ، اليوم ، هدية الكروان ، وهذا صنع كوشي
الاربعين ، عام ١٩٣٣ ، والغريب ان يكون « هدية الكروان » له ما
قبله وما بعده . وهو خير نظماً من « الوحي » و « العابر » ، فبعد ما
ظهرت مخايل النجاة على عقاد هدية الكروان انحقت في « عابر سبيل »
الذي تحسن قراءته تحت مصباح السكة الحديدية الاحمر خوفاً من
التصادم ...

ما افلحت سفارة هدية الكروان الى عالم الطير بل كانت
كرحلة ملائكة الله الى قوم لوط ، رضوا من الغنيمة بسلامة
الجلد ... فدواوين العقاد ثلاثها بيضات دجاجة واحدة . كلها طرح .
لا احداثك اليوم إلا عما لا يجوز السكوت عنه . العقاد طمّاح وفي
نفسه آمال وليس في القدر فطانة ... يريد ان يكون امير شعراء
بل يريد ان يكون فاتحاً ، وهذا هين عليه فهو جد مطلع على الشعر
العالمي ولكن القريحة حرون لا تسعفه ، وموسيقاه موسيقى صنع
مشقوق .. واغرب ما في شعره أنه كله باج واحد . اروعه تحت
الوسط ، ورذله دون كل رذل ، فهو بهذا يبذل الشعراء طراً ..

والعقاد يؤيد قولي ويشير اليه من حيث يدري أو لا يدري اذ
يقول مخاطباً الكروان :

زعموك غير مجدد الأخان ظلموك بل جهلوك يا كرواني
اننا لا نظلم ولا نجهل ، وقد آلمنا ان نقول للاعور : انت
اعور ! فليطرطر العقاد ما شاء فليس له غد في عالم الشعر .
ويقول في قصيدة أخرى :

وانك مفرد في الطير لحناً وما استفردت في تلك الحُصا
اذا شابهتنا في النقص حيناً فإين (المشبهاتك) في الكمال
هذا رأي العقاد في نفسه ، وهو يحدث الكنة لتسمع الجارة .
أما نحن فما نراه يشبه الشعراء إلا في النقص ، ويقصر عنهم في الكمال ،
وما أكثر الأدلة على ذلك . نخذ مطلع قصيدة عنوانها : على الجناح
الصاعد :

حادي الظلام على جناح صاعد يا ارض اصغي يا كواكب شاهدي
وقابله بشطر بيت لشاعر وسط هو ولي الدين يكن :
وهذي بحمد الله مني براءة فيا أفق سجلها ويا أنجم اشهدي
لترى الفرق بين شطرين تكاد تكون الفاظهما واحدة . وحسبك
هذا دليلاً على ذوق العقاد الفني . اذا كان العقاد يصأى كالفرخ على
الجناح الصاعد فيقول :

أنا صائد لصدائك لست بصائد لك انت يا كروان فأمن صائدي
فكيف يكون على الجناح النازل ... وللاستاذ ابيات يشفع
فيها للغراب فعسى ان يقوم ، بعدنا ، من يشفع له بين طيور الشعر ،
ويرق لفاخته الروحية وبجاعته الفنية ، فهو كما قال عن نفسه :

شاعراً عاشقاً وقاري. كتب قرأ الكتب دارساً فأطالا
ولكنه عاجز عن تحويل تلك القراءة شعراً لأنه لا يستمري
ولا يهضم . والقراءة ، وحدها ، لا تعمل الشعراء .. الشعر يحتاج
الى الكيمياء التي تخلق من اتحاد عنصرين عنصراً جديداً وهذا لا
يحسنه العقاد .

والاستاذ يحب القبلة على رضا لا قنصاً كما يا كلون « التبتولة »
عندنا . يريد على كبر هامته ان يزق كالفرخ ، ولهذا قال :
ويزعمها قبلة من أخ فقيم إذن قطفها في حذر
وفي (ص ٥٨) يقوي كذلك الشاعر في :

يا مبرماً أهدي حمل خذ وانصرف الفتي جمل
ومن اين له طرافة تلك ؟ فهل من يقول لي ماذا يعني بقوله :
طلع الصبح حزينا عاطلا أتواه كان بالقرب يزان
وسرت انفاسه يا حسرتا اين انفاسك يا زين الحسان
ان يا زين الحسان رقيقة ناعمة لا تشكو من شيء ولكنها ليست
كزين الشباب لابي فراس . ان للكلام مواطن يدركها الشاعر
الملمهم ويرشده اليها ذوقه للفني ، وهذه الغريزة ضئيلة جداً عند
العقاد . لم نبلغ بعد ما نعني فاسمع غير مأمور :

وتجلى الباب لي عن زائر من أودائي كأننا أخوان
اسمعت قبل اليوم بتجلي الباب ؟ وهل حلت بروكاه كالتي تلي
هذا التجلي ؟ وان سيقوم في القرن العشرين من يسميها شعراً في
في ديوان ؟ لم ينته الشوط بعد فاسمع :
فتعلمت ولبي شاردا . . . كيف يكسى الود ثوب الشنان

قال لي الافق : جميل . قلت لا بل دميم ، قال : زاه ، قلت : فان
قال : زيد قلت : حاشا ، فاثني نحو عمرو ، قلت : كلا بل فلان
فمضى يعجب مني قائلاً : أسلام ؟ قلت بل حرب عوان
الاستاذ ينظم نظرية اختلاف النظر باختلاف الاحوال والاخلاط
فافهم ان كنت لبيباً ! اما قصيدة « ساعي البريد » فصالحة جداً
للتربيل الكناسي وهي على لحن :

ان ساعدت عذرايا فزت بكل منايا
يا عين ذات الطهر اسعي بمحو خطايا
واليك قول العقاد للموازنة :

لو لم يكن خطابي في ذلك الوطاب
لم تطو كل باب يا ساعي البريد

ليت شاعرنا « العالمي » يطالع رواية ايفان بونين - ضحية
الحب ليعرف كيف يتحدث الادباء الكبار عن الخطاب -
(المكتوب) في العرف المصري .

ومحدثنا في صفحة (٦٥) عن قبلة بغير تقبيل ، اي قبلة
لاسلكية ، او لحس الفرن على راحة الكبة :

تمت القبلة التي نشهها كلها غير ضم ثغر لثغر
تم منها شوق ورف شفاء وهوى نية وخفقة صدر

حدثنا ابن خلدون عن احدهم قال : ذاكرت يوماً صاحبنا ابا
العباس بن شعيب ، وكان المقدم في البصر باللسان لعده ، فانشدته
مطلع قصيدة ابن النحوي ولم انسبها له ، وهو هذا :

لم ادر حين وقفت بالاطلال ما الفرق بين جديدها والبالى

فقال لي على البديهة : هذا شعر فقيه . فقلت له : ومن اين لك ذلك ؟ فقال من قوله : ما الفرق ، اذ هي من عبارات الفقهاء الخ . ونحن نرى في اكثر دواوين الاستاذ نظماً لا ندرى بمن نلصقه كقوله مثلاً :

هكذا الحب دواليك فمن لم يكن لم يكن قط حبيباً
وعلى ذكر ابن خلدون نقول : ان في شعر عقادنا شيئاً كثيراً
من نثر ابن خلدون ، والعقاد متأثر جداً بأسلوب صاحب المقدمة
وعلومها ، وقد تكون هي التي اوحى اليه « عدل الموازين » فقد
جاء فيها ما يشبه ذلك (ص ٤٦٠ طبعة بيروت)

وهناك قصيدة « تم تم » يبيع فيها العقاد الكون كله من حبيبه
بيعاً صحيحاً باتاً تاماً بالتسليم والتسليم .. فاين همار وموسوليني
يقصدها ويريجا المستر تشمبرلن من متاعبه ومظلمته التاريخية !...
لسنا نطالب الاستاذ بلات نظم ، ولات نثر (ص ٥١) فاخوه
المتنبي قال حتى لات مصطبر ... وعليه ان يفوته . ولكننا بكل
حشمة ووقار ننبهه الى قوله عند تسليم الزهر :

تسلم زهرك المحبوب في السهل وفي النجد
تراه ضاحك العينين تراه فاضر الخد

فجزم (تراه) واجب هنا وهو لا يحتمل التعليل والتأويل ،
وان رأى فعل امر غير جازم الجواب فيكون من غير هذا الضرب .
والعقاد قصيدة في « المنديل » يفضل فيها الكتان على الحرير زاعماً
ان « الحرير نسج الديدان التي تذكر الانسان بالموت والقبر فيجمد
من يذكرها » . هذا الشرح نثرأ اما النظم فهذا :

فماذا تنسج الديدان من ذكرى لمن سعدا
وما الديدان والذكرى ومن ذكر اسمها جمدا
وما ذكر (يحمد) في نثره الا لقوله جمدا في شعره . قلت ،
اذن ومن ير التفاحة بذكر الزبل ، ومن يأكل البيض بذكر ما
يذكر ، واخيراً ، والذي يراني ويرى العقاد مثلاً بذكر أشياء
كثيرة . . . فما أبشع تقليد العقاد واثقل فلسفته ، يريد ان يجاري
ابن الرومي بهجو الورد ، وابن المعتز بهجو القمر ، والا فما بدرينا
انه شاعر كبير . . ؟

وقر نفحة شعرية في صحراء العقاد لا ادري من اين هبت .
احب ان تستنشقتها معي لتفرج عنك وتقول ، سبحان محيي العظام
وهي رميم . العنوان « حلم اليقظة » :

ابن مضى الحلم الذي كنت اراه ههنا
اذا صحوت والتفت عن شمالي موهنا

*

وكان عندي حلماً في يقظة الليل المديد
اسمع من انفاسه نسمة فردوس بعيد
والعقاد معاشه حين تكفيه بوسة . إقرأ قوله في ثرثرة (ص ٨٠)
ألا تراه كقول الزجال المصري الذي حدثنا عنه الاستاذ المازني
وروى من قوله في الرسالة (عدد ٢٧٧) :

يا بتّ انا بدّي أبوسك بسّ أبوسك
واطرب واحظي بكؤوسك رقيّ شويّة
وفي « النجوم السواغب » يوزع العقاد البوس بلا حساب ،

يهب نسيم الليل عشرين ، والروض كذلك ، وهلم جرا :
وخذ يا نسيم الليل عشرين قبلة وخذ مثلها يا روض ، انك غاضب
اي لا ترعش ، وهكذا يعدل الاستاذ ويجبر الحواطر كلها ،
وما على الكريم شرط ..

اما هذه الواو في : ومسكينة هذي الكواكب (٨١) فخطأ
شنيع من كاتب حريص على اللغة وقواعدها ، ونحن لا نغفر له ما
دمنا نعلم أولادنا : البلاغة معرفة الفصل والوصل .

أما « كلماتي » فقصيدة حركتها خذروفية كمكفوف بديع
الزمان . واذا شرح ابن الرومي بيتاً ببيت ، فالعقاد يشرح
كصاحبه نثراً وشعراً ، مفردات ومعاني حتى مثل : عن كتب ،
وشتات ، وكوى ، وكثيراً ما يكتب فصلاً في هذا الديوان وينظمه
شعراً ، وهو على حق لان نظمه كما قلنا لا يؤدي فكرته كثره .
إقرأ (١٣١) .

لا أحدثك شيئاً عن قصيدته (صنوف حب) بل احبلك على
الرسالة لتسمع الاستاذ سيد قطب ينادي عليها كصاحب صندوق
الفرجة - صندوق الدنيا بمصر - : تفرج يا حبيبي على عذتر ، صاحب
السيف البتار ، عذتر ابو الشوارب . . والعقاد يغزو صاحبه ابن
الرومي احياناً فيؤوب بالنهاب وبالسبايا ، مثل صبغة الله ، ومثل :
علق الله في عذاريك مخلاة ولكنها بغير شعير
فيقول :

أليس كفى هذا السواد فزدته سواد غراب في لحاك معلق
كم يكون للرجل ، لحية او لحى يا ترى ؟ العامة لا الشعراء عندنا

يقولون : تضرب في لحاك ، فهل أخذها المعلم من هناك ؟ ويزيد
بيت العقاد رونقاً وبهاء وفناً وجمالاً قوله : أليس كفى . فيا ضيعة
التعب في الدرس وقراءة الكتب الطويلة .

اما قصيدة : البيلا، البيلا، البيلا، فقد ذكرناها بما تستحق في غير
هذا الموضع ، وليس هنا الا تصفية الحساب نهائياً بيننا وبين
هذا الفاضل .

وللعقاد هجاء ولكنه لا يقرأ ، لان الهجاء يحتاج الى شاعرية
فذة ، والعقاد لم يكن يوم قسمة الحظوظ على الشعراء . ونختم
هدية الكروان ببعض الرثاء . والذي عندي ان قصيدته في رثاء
حسن الحكيم تشبه الشعر الرصين .
حاشية طاووسية :

كان الذي خفت ان يكون ! وسألني احد ادباء العاصمة ، وهو
لا يصدق ، ان الشعر الذي رويته من نظم العقاد . ظن انني نخلته
اياهم تمكماً به فنفيت التهمة عني فقال : اذن اخترت لنا اردأ النظم ،
قلت ، من ذا وذا ، ولو تعلم أن « فيك من كل شيء » آية العقاد
الكبرى لما قلت هذا . لقد نشرتها ارضن المجلات واطهرها كما
نشرت غيرها من آياته ، وكلها بعون الله من هذا الحوك . إن
دواوين العقاد فوق الارض لا تحتها فاطلبها ان تشك باماني .

وافترقنا على ان انشر له في اول مقال نماذج من خير ما نظم
العقاد . وعدت أقلب الدواوين الثلاثة ، فرأيتها كأبناء بنت
الحوشب بالمقلوب . وبعد حيرة غير قصيرة خطرت ببالي العودة الى
ما نشره مارنوما العقاد - سيد قطب - دليلاً على شاعرية صاحبه

وأسلوبه لينفاً حصرماً في عين (الرافعين) . ووفاء بوعدى لصاحبي
ذاك انشر هنا شيئاً من ذلك الشعر وادع الحكم للقراء ، ولا حق
للعقاد عليّ فشاهده من اهله . ولا بد لي - قبل نشر نماذج سيد
قطب من شعر العقاد الرفيع - من ان أعود الى الوراء ، الى سنة
١٩٣٤ فبين يديّ عدد من مجلة الاسبوع اهداه اليّ احباب العقاد
في ذلك الزمان . العدد رقم ٣٥ وتاريخه ٢٥ يوليو سنة ١٩٣٤
واليك ما كتبه سيد قطب تحت عنوان معارك النقد في مصر :

« فأما هدية الكروان فقلت عنها انها منتهى النضوج الفني
للعقاد . انها سلمت من بعض اشياء كانت تغض من الجمال الفني
الكامل لبعض شعر العقاد ، وهي ما اسميته « قسوة القلب » ،
وعنيت به ان يحتجن الشعور الطليق في ثوب أضيق واقسى مما يلائم
هذا الشعور الطليق .

تلك كانت آرائي التي ابديتها بعد دراسة كاملة والتي لازلت
اعتقدها ، رغم ما دار من الاحاديث بشأنها ، ولكن فليسمع
الناس ما أعقب هذا النقد من احاديث ومن غضب ومن عتاب .
فاما العقاد فهو ساخط حائق ... ساخط لانني جمعت بينه وبين
ابي شادي في مقال ، وحائق لانني اقول شيئاً عن قسوة القلب في
بعض شعر العقاد . واقابله فيعلن هذا السخط ، وهذا التبرم ،
ويذكر انه لا يفهم معنى للجمع بينه وبين ابي شادي في مقال ...
وهو كذلك لا يسلم بقسوة القلب في بعض شعره ولا يبيع لي
ان أوجه هذا النقد لان منشأه هو قصوري عن فهم شعره . وان
على الناقد ان يرتفع لمستوى الشاعر وليس على الشاعر ان يهبط

لمستواه .

وكان العقاد مهتاجاً ولكنني كنت هاديء الاعصاب فشرحت
النقطة الاولى بما اعتقد . واما النقطة الثانية - قسوة القلب -
فكنت فيها عند موقي الاول كذلك . وذكرت ان الناقد الذي
يكتب محاضرته عن ديوان وحي الاربعين للعقاد فيفهم دقائقه فهما
يرضى عنه العقاد لا يقصر عن هدية الكروان وهي أسهل من وحي
الاربعين . (. . . كذا) وافترقنا وفي نفس العقاد شيء احسه
ولكنني آسف له وان كنت لا أنوي التأثر به « (الاسبوع عدد ٣٥٥)
وتمر الايام فيكتب سيد قطب ، بعد اربع سنوات وثلاثة اشهر
وسنة ايام بالضبط (الرسالة ٣١ اكتوبر ١٩٣٨) مدافعاً عن اسلوب
عقاده فيقول :

« بل انني لأريد ان افهم كيف يكون الاسلوب العربي الرصين
المشرق ، اذا لم يكن كالقطعة الاولى من الديوان الاول بعنوان
« فرضة البحر » حين يقول :

قطب السفين وقبلة الربان ياليت نورك نافع وجداني
يرجى منارك بالضياء كأنه ارق يقلب مقلتي ولهات
وعلى الخضم مطارح من ومضه تسري مدلهة بغير عنات
تخفى وتظهر وهي في ظلماتها باب النجاة وموئل الحيوان
بل كيف يكون الاسلوب العربي المشرق اذا لم يكن مثل
قصيدة « عزاء » حين يقول :

يا شاكياً وصباً احاط بنفسه اربع عليك لكل يوم كوكب
حمل فؤادك ما يؤودك حمله اني لاجلد للهموم واصلب

فاما حين يطلبون الرصانة وقوة الأسر وجزالة الاسلوب وفخامة
التعبير فان الجزء الاول من ديوان العقاد يجيبهم الى طلبتهم في
عدة قصائد اذكر منها « وقفة الصحراء » وفيها يقول :

هضابك أم هذي أو اذني عيلم وهل فيك من ود لغير التوهم
تخايلت كالدينا وأقفرت مثلها فلا تخدعيني انني لست بالظمي
ايا ربّة الآل الحلوب وانما

الى الآل ركب الناس جمعا فاعلمي

واما حين يطلبون السلاسة والعدوبة فما أكثر ما يجيب ديوان
العقاد الاول وحده الى ما يطلبون :

يهنيك يا زهر اطيّار وافنان الطير ينشد والافنان عيدان
طوباك لست بانسان فتشبهني اني ظمئت وانت اليوم ريّان
هذا الربيع تجلّى في مواكبه وهكذا الدهر آن بعده آن
وبعد سرد هذا الشعر الذي نقلت بعضه لك اثباتاً لامانتى الفنية
يقول : (الرسالة ص ١٧٨٠) :

« تلك نماذج مختلفة من اسلوب العقاد . فاذا استغنينا بالجزء
الاول وحده فنحن واجدون للعقاد كثيراً من شعر الاساليب
الفخمة الجزلة والاساليب الرصينة المتينة والاساليب العذبة السلسة
وكل ما يعنيه الاسلوبيون ببدايع الاسلوب . ودع عنك ما وراء
اسلوب العقاد من معان وفكر واحاسيس وعوالم واسعة من الفن
الفريد . »

هذا ما كتبه الاستاذ سيد قطب رداً على الرافعين وقد زالت،
والحمد لله ، « قسوة القالب » العقادي التي انتقدها ، وصار اسلوب

العقاد عربياً ، رصيناً ، مشرقاً ، قويّ الاسر ، جزلاً ، فخم التعبير
سلساً ، عذباً ، متيناً ، في لغة قطب ، وناعماً ، ليناً ، كفراء
القطط والشعالب في لغتي .

قد يكون الشعر كالفحم يصبح الماساً اذا طمر زمناً طويلاً ،
فليطمر العقاد دواوينه ولينتظر ...

اما صاحبي البيروتي فليُنظر في هذا الشعر الذي سردناه له فهو
خير ما في يدي من نظم العقاد . والعقاد بمن يرفعهم الله الى اسفل
- في النظم .

عابرسبيل

نقط ٣٧

عابرسبيل احدث ما اخرجته معمل فورد الشعراء ، يتوخى فيه الاستاذ عباس كعادته مواضع ينظمها كلاماً موزوناً مقفى لتكون أدباً مصرياً . ومثله كنا ، في ايام الولودية نخطط المدينة ونبنى الشوارع والبيوت .. رأى العقاد كما قال في نقده أحمد شوقي : - « وقد نظرت الى العصور الحديثة بعد الاسلام فلم اعثر على شاعر واحد أنبته مصر يذكّر بين أعظم الشعراء وتسمع له رسالة من رسالات الحياة ، فكل شعرائها عرب أو مقلدون للعرب ، وكل هؤلاء وهؤلاء عالة على الادب ونفاية ضئيلة أولى بها ان تنبذ وتهمل . ونظرت الى العصور القريبة فأحصيت من نظم شعراً في مصر منذ خمسين سنة ، فاذا هم كلهم - الا قليلا - يرجعون الى أنساب غير مصرية ويحسبون في المصريين وليسوا منهم في غير النشأة والاقامة . وأغرب من هذا انك لا تجد في هؤلاء واحداً يثابر على النظم بعد الثلاثين او الاربعين ، كأنما هي شاعرية الشباب التي تخف بهم الى النظم والغناء في إبانها ، وليست هي بشاعرية البيئة وسليقة القومية التي تفتأ فتية في الانسان طول الحياة » (ساعات بين الكتب ص ١٠٣) -

لعلك أدركت مثلي ان العقاد ينظم « عن سابق تصور وتصميم »
كما يعبر المحامون ، ويظل ينظم حتى يقتل الكثيرون من قرائه
فتحل عليه عقوبة المتعمد ..

ليتني اترجم لك نقد جورج ديها مل لشعراء فرنسا الذين يفتشون
عن مواضيعهم في قاموسهم لاروس ، كما يفتش العقاد عنها في
السكة . ارجع الى هذا الفصل الطريف في كتابه الشعر والشعراء
(ص ٦٤) واذكري باحير . فالعقاد يلتقط مثل اولئك ، مواضيع
« عابر سبيل » ليؤدي رسالة مصر التي لم يؤدها شاعر مصري - فكل
شعراؤها عرب او مقدون للعرب - فهو اذن « عابر سبيل » حقاً في
أزقة الادب ، يموش كروم مصر بعد ما نامت النواطير عن ثعالبها ..
حاول تمثيل الكنانة المحروسة في مدينة الشعراء فكان غوذجاً
غير مرغوب فيه .. والا فما هذه المواضيع العجيبة الغريبة التي يعجز
عنها الفحول فكيف بالثنيان ؟ .. قال النابغة الذبياني :

واستعجبت دار نعم ما تكلمنا والدار لو كلمتنا ذات اخبار
هكذا يكتفي الشاعر العربي بايقاظ شعورك ويتركك في شغل ،
فشعارهم خير الكلام ما قل ودل . اما العقاد فركب كتفي « البيت »
كأنه غريمه ، وانطقه بالكلي والجزئي حاسباً أنه يخلق أدباً مصرياً ،
كأنما ليس في بيروت وحيفا ودمشق وبغداد وجدة بيوت تؤجر ،
وفنادق فيها الناس من كل الاجناس ، ودكان كواء وواجهات
دكاكين ، كما ستري إذ نعرض عليك حوائج « عابر سبيل » .

أنطق العقاد البيوت بكل رخيص مبتذل كما فعل في قصيدته
« فيك من كل شيء » التي ازعم انه استوحاها من زميله شكسبير

في قصائده الغزلية Sonnets رقم ٥٣ و ٩١ ، كما استوحى «ربة شعره»
من رقم ١٠٣ ، و «طلع الصبح كثيباً عاطلاً» من رقم ٩٧ و «الظن
بالاهل والحرم» من رقم ٩٣ . راجع أناشيد شكسبير هذه لتعلم
كيف يجني الشاعر العظيم أضاميم الزهر ، وكيف يحشّ من يجمع
العلف ...

خبرنا النابغة ان الدار عندها اخبار كثيرة وما سألها شيئاً ، اما
العقاد فكان مستنطقاً بليداً . افتتح «عابر سبيل» بقصيدة عنوانها
«بيت يتكلم» فوصف السكان الذين تعاقبوا عليه وابقوا فيه
مخازيهم كالذي ردّ مدح ابن الرومي . وكان العالم احد المستأجرين
فقال فيه العقاد :

حشا بالورق اليابس والاخضر حيشاني
اظن (حيشاني) خطأ صوابه حيطاني ، الا اذا كانت من غريب
العقاد ... او لوناً من الوان الادب المصري الذي يجربشه ... اما
نظرية النشوء والارتقاء التي اقام نفسه وصياً عليها - بعد الزهاوي -
فتجدها في «أمام قفص الجيبون» . قدم لها بصفحتين الاربعاً من
النثر كانتا اشعر من قصيدته . فتعلّم الجلد مني واقرأها . ثم يعطف
على الجيبون بقصيدة اخرى لانه لم يصدق قوله فيه حين زاره احد
اصحاب العقاد فكانت هذه كالخيار عند رخص السعر ينفخ البطن
ولا يغدّي .

وينتقل الى « واجهات الدكاكين » و « اصداء الشارع » ،
و « عصر السرعة » و « عسكري المرور » فيقول في هذه كلها شعرا
يستحي الوليد ان ينسبه اليه . وشر من هذه كلها قوله في «طيف من

حديد ، أي السيارة ، فاسمع بعضه :

ذاك بعد وانسياب وظلام وانسجام
اي شيء ثم يجري هو طيف لا كلام
اي شيء ذاك الا الا طيف يسري في منام
يطرق العين وهيايات بالسمع يرام

ان تعقد المعنى فاقراً الشرح ، فنثر العقاد وشعره متكافلات متضامنان .. اما هيايات فشرحها لنا : بعد جدّاً ، لثلا يفوتنا معناها . فكأنما زيادة الالف الهاوية احتملت زيادة جديداً . لقد اضطرت عبقرية العقاد الى هذه اللغة في هيايات والا فكيف يرزأ الادب المصري بهذا البيت الفريد ولا يفيض النيل ويزلزل الهرم كما قال بشاره الخوري ؟ واحب لك ان تعلم ان الصغاني روى في هيايات ستا وثلاثين لغة ، وصاحب القاموس اوصلها الى احدى وخمسين ، فليت العقاد يستعملها كلها في نظمه العتيد فتكون ادباً عقادياً حقاً ! اليس من التجني ان تموت مثل هيهاء وأيهاء وأيهان وهيايات ؟ ويرى العقاد في مصر فنادق تتجمع فيها الناس من كل جنس فيقول :

ففيها يافث حيناً وشيث وفيها تارة حمام وسام
هكذا يؤدي كبار الاساتيد رسالة بلادهم ويخلدون امتهم في كتاب ... اما قصيدة « بعد صلاة الجمعة » فلا بأس بها ، وهي خير ما عمل العقاد من شعر حتى الان . فيها وصف جيد وتعبير مقبول ودرس وتحليل لأشكال المصلين ، وكلهم في نظره ذوو رياء :
لعلمهم صلوا له ارتجلا فاختلفوا ما بينهم سؤالا

فلو اجاب السائلين حالاً صب على رؤوسهم وبالا

وألقى المخطيء بالمصيب

قوام الشعر شيان : شخصية عامرة مسيطرة تسوقك بعصاها
ولا تسأل الى اين ، وموسيقى وخيال فاتنان . وفي هذه القصيدة
تسيطر شخصية العقاد فتحسن انك امام مشهد حي .

ثم يصف « القطار » و « الحى » و « الدينار » فيرى المال يجر
المال كما يقول العوام . ولا يحرم « كوا الثياب ليلة الاحد » من
قصيدة تضحك المجدلية تحت الصليب ، وسأحكمك هذه المرة فاسمع
بعضها وهو خيرها - بدمتي يا اخي :

لا تنم . لا تنم انهم ساهرون

سهروا في الظلم او غفوا يجلمون

انت فيهم حكم وهم ينظرون

في غد يلبسون في غد يمرحون

قلت : وفي غديأكلون ويشربون ويتكلمون ويضحكون
ويهمضون ... الى آخر كل ما انتهى بواو ونون . رحم الله
توفيل غوته ونونيته الشهيرة .

وفي « بابل الساعة الثامنة » يصف صراخ الباعة وهي قصيدة
تقرأ ايضاً ، اذا استعنت بالله ، ويقبح في « وليمة المأتم » اشنع
عادتنا فيجيد اذ يقول :

ثقل على الحزن أكل الطعنا م ومن يشتهي أكله أثقل

فيا ايها الناس لا تولموا على ميت واحزنوا واعقلوا

فليست مجاملة الراحلين اذا انقطع الزاد ان تأكلوا

وينتقل الى « سلع الدكاكين في يوم البطالة » فيقول فيها هذا
الشعر الذي اعجز عن نعته :

مقنرات مغلقات محكمات
كل ابواب الدكاكين على كل الجهات
تركوها ، اهملوها

يوم عيد عيده ومضوا في الخلوات
(البدار) (ما لنا اليوم قرار)
أي صوت ذاك يدعو النا س من خلف الجدار
ادركوها اطلقوها

ذاك صوت السلع المحبو س في الظلمة ثار
ماذا تقول ؟ اما في مصر عاقل ينصح هذا الرجل ؟ المروّة
يا ناس ! انقذوا أخاكم وكفوا عنا شعوركم !

راجع « عابر سبيل » فالقصيدة هناك بجملتها وعظمها . وفي
مكنتك ان تضيف الى هذه ايضاً كل ما انتهى بألف وتاء مثل
ثروات شعوزات و... فتصير شعراً عقادياً مثلها وتزيد في ثروة
الادب المصري .

المهم الله اختنا القديمة اجمل الصبر على رسالة يؤديها باسمها هذا
البافنوس الجديد ، وطواط اناقول فرانس .

تعذرني ان عدت بك الى الورا لحمة لأنقل اليك ابيات « عصر
السرعة » فهي مصرية عالمية . قال لا قرض فوه ولا عاش من يشنوه ،
واولهم هذا المارون عبود الغاشم الجائر . اسمع :

طار في الذرى هام في السهول

مسرّع الخطى	حينما يجول
ما له عدا	عدوة الوعول
ما له سطا	سطوة السيول
في صعوده	يشبه النزول
تلك سرعة الها	رب العجول
تلك سرعة الحا	ثر الملول
تلك سرعة الآ	ثم الخجول
ابن سرعة ال	سعي والوصول

واين مار توما العقاد - سيد قطب - يشرح لنا هذه الدواهي؟
فوالله ، وحق من نفسي بيده ، لو قدم لي احد تلاميذي ورقة
كتب عليها مثل هذا الحكي لصفعته بها واعطيته صفراً ... وما افا
في ذا يا لهمدان ظالم . امثل هذا يتحكم بشعراء العرب ويقول
ما قال ...؟

ويصف « المنازل في الشتاء » و « الطريق في الصباح »
و « معرض البيت » و « متسول » و « بعد الغروب » وكلها من
الباج العقادي الفريد .. والفاية تأدية الرسالة العظمى ، رسالة
الادب القومي ، رسالة البيئة ، رسالة الفرعونية . فياخجلة الذي
طغى من هذه المومياوات ..

اما « اناشيد واغاني » ففيها رائحة الشعر . فالنشيد القومي
والنشيد الآخر « على مقتضى الحال » والانشيد التي نظمت للآنسة
نادية تشبه الشعر لانها تقليد للعرب . ولا غرو ان اجاد الاستاذ في
« على مقتضى الحال » الذي طعن فيه على وزارة كانت مولعة

« بمكايده » كما قال فهو ابلغ ما يكون حين يكتب بالنبوت
فتغطي عاطفته عورة فنه .

وفي « عابر سبيل » قوميات ايضاً احسنها « يوم الجهاد » .
و « عيد بنك مصر » قصيدة حية فيها ابيات تجري مجرى الامثال !
كقوله :

ومن قال يا امتي وفترتي كمن قال يا امتي جندتي
اما قصيدة « نقل سعد » والرائية التي اولها : احسنتم الصبر ،
فقد اشبعناهما درساً وتحليلاً .

وينتقل الى باب « تأملات » فتعاوده النوبة . ثم تقرأ ست عشرة
صفحة كل كعكها من العجين العقادي فتوثي لناظمها لانه قاسي
اهوالاً في صلبها بقوالب شعرية لا هندمة فيها ولا ذوق ، ولكنه
ان لم يغنم بها اعجابنا فقد غنم ثناءنا . على ثباته في محنته تلك .
والثبات فضيلة فعسى ان لا يكف عن قول الشعر فيكون شاعر
البيئة ، ويعرب عن سليقة القومية التي (تفتأ) فتية ، كما
توهّم فعبّر .

وفي عابر سبيل لون جديد عنوانه « ربيعيات » فيه قصيدة
على الحاء عنوانها « عودة الكروان » . لقد صدق القائل :
من صبر نال ومن لجج كفر ، ولولا وقار الادب لزغردت
كالنساء في جلوة العروس .. قد بلغت قصيدة فيها شعر على غير
عادة العقاد الرزين الرصين صاحب البرج الحصين ، كما سماه الدكتور
اسماعيل ادهم المتمشرق التركي :

مرحباً ايها البشير ومرحى بعد طول السكوت ليلاً وصباحاً

جاء نارئد الكراوين في جنح من الغيب يفتح العام فتحاً
فاذا الليل خافق وظلام الليل طلق وآية الليل فصحي
لا فض فوك يا سيدي الشاعر الكبير ، فآية الليل الفصحي
تسوى ديواناً كاملاً .

فكان الربيع معنى قديم في طويل الزمان يزداد شرحاً
عشت ونعشت يا استاذ :

مرحباً بالذي قد ارتجل السا عة اوحى في الدهر ما ليس يوحى
المعبد الزمان جيلاً فجيلاً وهي في ضحوة من العمر أضحي
ويربنا الحياة وهلة حلم تنجلي عالماً وتعبو لها
امة الطير لا عدمننا نصبحا منكم يبهج الحواطر نصحا
كل من بشروا من الناس بالخير عيال على العصافير طلحي
ان كلمة العصافير لا تملأ البيت الاخير ، فليت للعقاد ديواناً
صغيراً - حنة ديوان - من هذه البضاعة ، ففي قليلها غنى عن
كل صرره وبقجه . وهنا ايضاً يدرك الاستاذ انه لا يقول شعراً
الا اذا كان عالة على العرب .

وليعذرني العقاد ان استود ما وهبت ، فبناء على دستور الشعر
والشعراء - راجع مقالنا الاول - لا نستطيع بقصيدة ان نسميه
شاعراً كبيراً . ولهذا نستعيد لقب الشاعر الكبير الذي خلعنا عليه ،
فقانونه حرمة هذا الميراث الادبي . وقدماً قالوا : على نفسها جنت
براقش .

والعقاد نظام متفائل يرى العيش جميلاً وهذه طبيعة مصرية
فيناديك :

قل ولا تحفل بشيء انما العيش جميل

ويجد متاعه الجديد في الشتاء والحريف :

من جديد المتاع يوم خريف تحت وهج السماء عاد ربيعاً
وحياً في الاربعين وديع تحت بث الغرام شب سريعاً
ولكنه وحى من يحبو الى الحسين ، وهذا ايضاً خلق مصري
يرضى بما قسمه الله له ويضرب الدنيا « صرمة » . أما في باب « رثاء »
و « متفرقات » فيعود الى نهج الحلي وغيره من شعراء عصر
الانحطاط فيقول للذي اسمه « موفق » :

عش يا موفق دائم التو فيق مقروناً بسعد

ثم يجانس ويورّي في « تحية موسيقية » الى ملك العراق ارسلها
ليكون له « شراع وراء دجلة يجري » كشوقي فقال : « غازي
قلوب الشعب ... غازي العدى . كعهد اخيك مأمون . في موطن
بهذاك مأمون . » وهذا ، كما تراه ، علمك صديء .

ويقول في رثاء صديقه غانم محمد :

اغانم اني في مصابك ذاهل قليل التعزي سافر الحزن مضر
عرفت ابا فتح تولاه رمسه اخا في وغي الايام لا يتقهقر
لقد انقضى زمن البهلوان ، اما أراحتك منه مطالعة نيتشه
يا استاذ ؟ مضت ايام كان الشاعر من يقول :

عباس عباس اذا اقتحم الوغى والفضل فضل والربيع ربيع
ويحتم العقاد ديوانه بفكرة دلت على عقله الراجح ، وعلى طبيعته
المصرية التي سماها الدكتور ادهم فرعونية ، فهو ليس كبعض
ادبائنا الذين لا يريدون ان يموتوا . هو عقاد واحد لا غير ، اذا راح

راح ، بعكس صديقنا الاستاذ نعيمه الذي هو في الوجود كالو كيل
الدوري : كلما عزلته فهو و كيل . وهبنا الله قدر حبة خردل من
هذا الايمان الذي يقول للجبل انتقل فينتقل .
أسمع كلمة العقاد المنطقي في « على اطلال الدنيا » وبرهانه
ذا الحدّين قال :

« اذا انطوت الدنيا ولم يبق من ابنائها احد فليس هناك
خسارة وليس هناك من يشعر بالخسارة . الى ان قال : واذا حسبنا
ما للدنيا وما عليها فالنتيجة صفر ، لان النتيجة هي العدم . والبك
هذه الفذلكة وهي خاتمة الكتاب :

البك ومنك من وجدوك حيناً ومن فقدوك بعد ضياع عمر
حسبنا جانبيك على استواء فيا لك خيبة ختمت بصفر
انتهى الديوان .

ليست حسبتنا تختم بصفر بل ارى العقاد يستحق ثلاثة من
عشرين - المعدل المدرسي اللاتيني - او ١٥ من مائة في المعدل
الانكلوسكسوني . وما اخاله الا راسباً في امتحان القريض ولو
عمر كليد ...

*

لقد عدت مجلة الهلال الغراء في تقويمها سنة ١٩٣٨ ديوان «عابر
سبيل» حدثاً ادبياً جديداً ، فهل دفعها الى ذلك بعض مواضيعه
مثل : « كوا الثياب وواجهات الدكاكين » وغيرها ؟ اراد العقاد
ان يؤدي رسالة مصر شعراً فهل أدى شيئاً ؟ وهل تكون الرسالة
في هذه المواضيع ؟ وهل يكون التجديد بالتعبير عن الاهرام :

بالآطام المخددة؟ يرى العقاد التعبير لا شيء. ويحاول خلقه فلا يقدر. فهل نفعه بنافعة هذا الشعر، بل هذه المواضيع التي يلمّها ويضعها في كشكوله؟ يقوم الشعر على الحق والجمال - كما قال شلي - وصاحبنا ان عرف الحق فشعره بريء من الجمال كنسوان تغلب في عين جرير. وشلي يقول ايضاً: « للغة الشعراء لون خاص وصدى موسيقي يوافق الصوت وبدونه لا يكون الشعر » فهل للعقاد شيء من هذا؟ ليفحص شعره في غرفته كما فعل الخليل يوم وضع علم العروض...

يعلم العقاد ان المفاجآت من عناصر الشعر الجوهرية فيحاول خلقها فتأتي صورته رخوة متأثرة بجماعة الاقليم. فليس لحواتيمه زخم المضخات، وهو يبقّا بقاً فعل الاطفال حين يتراشقون بالماء.. اما الموسيقى التي يقلد بها الشاعر اصوات الطبيعة وحركاتها كما فعل المتنبي، والتي يعبر بها المعنى عن عاطفته فلا يعني العقاد منها شيء. كل الفاظه وضعية حقيقية لا تتسع لأخيلة الشعراء. فالشعر عنده انطباق اضلاع وزوايا..

قال بول كلودل: « لا يعرف الانسان الطبيعة حين يمتزج بها بل حين يضيف ذاته اليها ». والعقاد يعرف الدنيا ويريد ان يضيف ذاته اليها ولكنهما يظلان كلماء والزيت.

يقول هازلت: « الشعر لغة الخيال والعواطف، وهو اللغة العالمية التي تصل القلب بالطبيعة. ليس الشعر فرعاً من فروع التأليف، وكل شيء يسمو في الحياة بمقدار ما فيه من شعر. » فهل في دواوين صاحبنا شيء من هذا؟

لا ، ان شعره حكي لا اكثر ولا اقل . واغراضه تخرج من شق قلمه هزيلة كالمساول . يريد ان يخدع ابصارنا بعناوينه لتقوم الساعة ، بيد ان الساعة لا تقوم لان العقاد لا يقول شيئاً . « فالوصف المجرد للاشياء الطبيعية ، والافصاح المحدود عن الشعور الطبيعي مهما كان قوياً فعالاً لا يستطيع ان يحدد الشعر وغرضه دون ان يسمو بالخيال » فهل للعقاد شيء من هذا ؟

قال ديهامل ايضاً : غاية الشعر هي التعبير عما هو خالد ، وليس كل من حمل قلماً خليقاً ان يخلد اية مادة كانت . هؤلاء نادرون . اما العقاد فالشاعر في نظره من يعلن انه يحب الحق والجمال ، وكفى . كأنما الشعر هو فعل الايمان - نؤمن - في المسيحية ، او كلمة الشهادتين في الاسلام . فمثل ابن عمنا العقاد يقوم الف شاعر في كل دهر ، ولكن العشب يبس ولا يثبت للقيظ الا القمح . لقد اكثرت من كلام هازلت لان الاستاذ يؤثر اليرد على المتر ، ويرى الشعر الفرنسي جعجعة وجلجلة . فليسمع ايضاً مايقول هازلت : « وخشونة النثر وهلهلته وركاكته قاضية على فيض الخيال الشعري . ولكن الشعر يقضي على هذا ، فهو موسيقى اللغة بحبيبة لموسيقى العقل » .

فليت العقاد يأخذ من نفسه ساعة نشاطها ولا يبلى يده بكل موضوع . على كل من يؤدي رسالة كما يتمنى العقاد ان ينتظر الوحي ، فهذا الشعر العقادي الذي هو كنز الطغرائي لا يؤمر احداً ، ولا يجعل الشاعر قومياً . والحمد لله ان بشارة وعديله العقاد المتراحمين على الامارة ، قد انقضى حلمها الذهبي وانقلبا على الجانب

الوحشي ...

ان طابع العقاد منطقي وجدلي لا يعرف الالوان والظلال ،
يجب النور والضياء ولعل هناك سببا اجهله انا . قد يكون المزاج
الفرعوني الذي دلني عليه الدكتور ادهم ، فالجماعة عبدوا الشمس ...
والعقاد يؤمن بالمران ، فليتمرن لعله يفلح ، ولكن أيهان -
لغة في هيايات العقاد - ان يخلق التمرين جبارا . والغريب ان يحلم
واحد كهذا بشاعرية عالمية . فقد قرأت في مجلة الامام - التي
تكرم بها عليّ محبّوه - انهم ترجموا له قصائد الى اليونانية لتقابل
بشعر زميله هوميروس ... (الامام ، اول ديسمبر ١٩٣٤) .

وعلى هذا القحط والمحل والقحل يعده سيد قطب ، ولا يستحي
فوق عشرة من شعراء العربية مجتمعين ، وفوق هيفو وموسيه ويبيرون
وشلي (الرسالة عدد ٢٢٨) . ويرى ايضا في مكان آخر ان الشعر
العربي في كل اطواره ليس فيه ما عند العقاد . واليك نموذجا مما
علقه هذا القطب على احدى آيات عقاده التي سماها « يوم الظنون » :
« يا للهول ، لكما قرأت هذه القطعة سرت رعدة في مفاصلي
وقشعريرة في كياني ، وأحسست امامي بانسان يعتصر نفسه قطرة
قطرة في ألم مبرح عظيم » .

ولكن أيقول لي قطب ماذا خلف الجبل بعد هذا المخاض ؟
كأن سيد قطب خال نفسه امام ذئب الفرد دافيني .. فهنئاً لمن له
في الدنيا سيد قطب ، وان كان هذا لا يجدي فهو يسلي ويضحك ،
رحم الله المتنبئ ...

ماذا يجدي تعدد الاحباب وتلبد الافكار كخضرة الدمن والشعر

نظم تذهب بنضرتة لفحة حر ؟ وهل يمتاز الادباء الا بالاسلوب ؟ ان
العقاد ينظم بعقله ، والعقل لا يعمل الشعر الخالد .. وعنايته بالوحدة
التي اكتشفوها عند صاحبهم جورجيس - ابن الرومي - لا تعمل
الفن . فالشاعر الملهم يخلق الوحدة دون ان يفكر بها . العقاد
كطفل يلعب بالفراشة ويتصيدا كأصحاب المجموعات ليحلها علمياً
بينما الشاعر يتأملها ويصفها ويعجب بها .

« العالم - الكلام لهازلت - يحمل الجاحب الى بيته ليراها على
ضوء العلم فلا يرى في الغد الا حشرة رمادية اللون . اما الشاعر
فيزورها مساء عندما تشيد لنفسها قصرًا من النور الزمردي تحت
فروع السوسن العطرة واشعة الهلال الباردة » .

اما العقاد السياسي الجريء فآثره ضئيل في دواوينه الثلاثة .
انها تصور العقاد المحب القاعد الذي يأتيه رزقه رغداً ولا يخرج من
البيت . وقد خفت أشواقه وبردت همته القعساء في « عابر سبيل » .
والعاهة الكبرى في هذا الكلام الذي يسميه العقاد شعراً أنه كله
من طراز واحد ، ولو كانت وجوه الناس هكذا لاشتماز الناس من
رؤية الناس . وبالاختصار ان العقاد الفنان نائم منذ ثلاثين سنة حول
البركة - بركة حسدا - ينتظر الساعة التي يحركها بها الملاك ليلقي
بنفسه فيها ، فياليتني مسيح لأقول لهذا المقعد المسكين : احمل
ميربك وامش .

واذا صح تشبيه شيء بصيرة طمسون فذاك شعر العقاد . لا
اقبله بناجي وابي شادي وطه والصيرفي والحفيف وبشر فارس
وصالح جودت ومبارك وكل من يقول شعراً بمصر . فكل هؤلاء

حتى زكي مبارك خير منه - في الشعر - وان عدلت شعراء هذا
العصر فهو سكت الحلبة . ودواوينه كنانيب اللقاح تصلح لوقت
محدد ..

مالي اقول هذا ؟ فمن يدري ان العقاد لم يرشح نفسه لجائزة
نوبل الادبية كما تقدم طنطاوي جوهري لجائزة السلام ، فالبدار
البدار قبل انصرام شباط اللباط ...
الى الدكتور طه حسين بك .

يا صاحب العزة
فتشت كثيراً في منظومات صاحبك العقاد فما رأيت ذكراً أمراً
أو اباً ، فما تراك تقول فيه بعد خمسمائة عام - لو عدت الى
الدنيا - اكما قلت بالمتني ؟؟

٢ - ١٩٣٩

انتهى

فهرست الاعلام

٢٤٠ ، ٤٣ ، ٣٨	ابن مالك	١٤٩ ، ٨	آدم
٢٥٧ ، ٢٣	ابن المعتز	١٢٥	آرجو (في الاسطورة)
٢٤٠	ابن معطي	١٤٥ ، ١٠٢	ابراهيم (النبي)
٢٥٥	ابن النحوي	٢٩ ، ٢٢ ، ١٦	ابراهيم ، حافظ
٢٧٧	ايلس	١٤٣ ، ٩٥ ، ٣٢	
١١١	ابو بكر (الصديق)	١١٣	ابن ابي عتيق
٣٦ ، ٣٠ ، ٢٩ ، ٢٨	ابو تمام	٢١٣ ، ١٧٧ ، ١٥٠	ابن الاثير
١٢٠ ، ٧٨ ، ٦٨ ، ٤٠ ، ٣٧		٥٦	ابن الاعمى
٢٠٥ ، ١٩٧ ، ١٣٨		٢٥٦ ، ٢٥٥	ابن خلدون
٧٥	ابو سليمان	٢٣٦ ، ١٤٥ ، ٣١	ابن الرومي
١١٩ ، ٢٤ ، ١٢	ابو شادي ، زكي	٢٥٨ ، ٢٥٧ ، ٢٤٣ ، ٢٤١	
٢٧٨ ، ٢٦٠		٢٧٨ ، ٢٢٦	
١٣ ، ١٢	ابو شبكة ، الياس	١٠٧	ابن سينا
٢٥٥	ابو العباس (بن شعيب)	٤٨ ، ٢٦ ، ٢٤	ابن عباد (صاحب)
١٠٠ ، ٩٩	ابو عبيدة (بن الجراح)	١٦٤	ابن عباس
٢٣٦ ، ٤٤ ، ٢٧	ابو العتاهية	١٥٩ ، ٦٤	ابن عقيل
١٨٦	ابو الفوثن (بن البحتري)	٢٣٥ ، ١٠٨	ابن الفارض
٣٧ ، ٩	ابو فراس (الحمداني)	١٨٥ ، ١٧٨	ابن القارح
١٥٤ ، ١٥٣ ، ١٥٠ ، ١٢٦		٤٣	ابن القدوس

٥٥	امام ، محمد	٦٧	ابو القاسم الطنبوري
٢٨ ، ٢٧ ، ٢٤ ، ٢٣ ، ٢٢	امرو القيس	١٢٠	ابو كرب (من اقبال اليمن)
١٢٩ ، ١٢٩ ، ٩٧ ، ٧٨ ، ٥٢		٢١٦ ، ١٩١	ابو اللمع ، الامير رثيف
٢٠٢ ، ١٥٦		١٩١	ابو نادر ، مراد
٢١٧	امرسون	٢٨ ، ٥٥ ، ٦٨ ، ٧٣	ابو نواس
١٦٢	انطونيوس (القديس)	١٠٧ ، ٩٣ ، ٩١ ، ٨٤ ، ٧٩	
١٢٥	ايلياء (النبي)	٢٣٥ ، ٢٠٦ ، ١٤٨	
١٨١	ايوب (النبي)	١٨	احشورش (التوراة)
٢٢٦	البارودي ، محمود سامي	١٢ ، ١٣ ، ٢٨ ، ٨٧	الاخطل
١٠٠	البارودي ، فخري	٢٢٧ ، ١٣٦ ، ١١٩	
١٠٨	(الباعونية ، عائشة	٢٠٢	الاخفش
٥٨ ، ٥٣ ، ٤٩ ، ٢٩ ، ٢٨	البحثري	٨٢ ، ٨٠ ، ٧٧ ، ٧٦	اده ، اميل
١٤٨ ، ١١٨ ، ٨٧ ، ٧٧ ، ٦٨		٢١٩ ، ١٠٥ ، ٨٣	
١٧٢ ، ١٨٦ ، ١٩٢ ، ١٩٦		٢٧٧ ، ٢٧٣ ، ٢٧١ ، ٢٢٧	ادم ، اسماعيل
٢٢٩		١٠٤ ، ١٠٣	ادوار (الملك)
١٢	بدوي الجبل	٢٢٧ ، ١٩٥	ادونيس
٢٢٣	بريمون (الاب)	٩٩	ارخميدوس
١٢٢ ، ٧٥ ، ٤٩ ، ٤٧	بروتتير	٢٤٧	ارسطو
٤٧ ، ٣١	بريدوم ، سيللي	٢٠٢	ارسلان ، الامير شكيب
١٠٠	باستور	١٨	استير (التوراة)
١٥٠ ، ١٢٦	بشر بن عوانة	١٦٦	اسحق الموصلي
١٣١ ، ١١٦ ، ٦٥ ، ٣٢	بشار بن برد	١١٦	الاسمر ، محمد
١٤٥ ، ١٤٦ ، ١٤٨ ، ١٦٠		٧٩	الاشعري ، ابو موسى
٢٢٩ ، ١٧٠ ، ١٦٨		٢٤٢ ، ١٥٤ ، ٩٧ ، ٤٩ ، ٣٥	الاعشي
١٩٨	بشير (الامير)	١٦٣ ، ٥١ ، ١٧	اغوستينوس
١٩٤ ، ١١٠ ، ٢٥	بطرس (الرسول)	٢٤٧	افلاطون
١٢٧ ، ١٠١	بولدوين ، ستاني	٩٤	الياس (النبي)
١١٣	بلغفور	١٢٠	ام المحسنين

٢٧٨	جودت ، صالح	٢١٨ ، ٢٠٦ ، ١٥٧ ، ٢٨	البهاء زهير
١٠٤ ، ١٠٣	جورج (الملك)	١٨	البهائي
٢٧٩	جوهرى ، طنطاوي	٢٢٢	بو ، ادغار الن
١٤	جيد ، اندره	١٠	بوانكاريه
١٤١	حيقته ، يوسف	٢٣٦ ، ٢٢٤	بودلير
١٤٥ ، ١١٥ ، ١٩	الحجاج	٢١٦ ، ١٩٣	بولس (الرسول)
٢٢ ، ١٨ ، ١٦ ، ١٥	حسين ، طه	٢٥٥	بونين ، ايفان
٣٦ ، ٣٢ ، ٢٥ ، ٢٤ ، ٢٣		٢٧٧	بيرون
٣٩ ، ١١٦ ، ١٦٤ ، ٢٢٦		١٥٠ ، ٢٨	تأبط شرا
٢٧٩ ، ٢٢٧		٢٥٦	تشمبرلن
١٩٠	الحسيني ، الحاج امين	٢٠١ ، ١٩٢ ، ١٨٩	تقي الدين ، امين
١٩٠ ، ٩	الحريري	٢١١	
١٨٩ ، ١٨١	الخطيئة	١٣٩	تقي الدين ، خليل
٢٥٩	الحكيم ، حسن	١٩٦ ، ١١٦	توتنخامون
١٠٧	الخوراني ، الشيخ ابراهيم	١٢٢	تين
١٢	الخوماني ، محمد علي	(٢١٦ - ٢١٣)	ثابت ، حبيب
١٠٤	الخويك ، الياس (البطريك)	٨٣	ثابت ، ابوب
١٠٠ ، ٩٩	خالد بن الوليد	١٨٥	الثقفي ، طريخ بن اسماعيل
١٥٩	الخطيب ، لسان الدين	١٨٣ ، ١٦٤ ، ١٦٢ ، ١٥٧	الجاحظ
٢٧٨	الحفيف ، محمود	٢٢١ ، ١٩٤ ، ١٩٣	
١١٦ ، ١١٦	الخليل بن احمد (الفراهيدي)	٢٤٠ ، ١٢٦ ، ١٠٨	الجارم ، علي
٢٧٥ ، ٢٠٢ ، ١٦٣		١٧٩ ، ١٠٤	جبرائيل (الملاك)
١٥٥	الخنساء	٢٠٨ ، ١٨٠	
١٢ ، ١٣ ، ٣٢ ، ٤٨ ، ٥٣	الحوري ، بشاره (الاخطل الصغير)	٢٣٦ ، ٢٥	جبران ، جبران خليل
٦٣ ، (١٠٠ - ٦٥) ، ١٠٤		١٠٩ ، ٨٧ ، ٢٨ ، ١٢	جرير
١١٠ ، ١١١ ، ١٢١ ، (١٢٧) -		٢٧٥ ، ٢٣٢ ، ١٨٦ ، ١٤٠	
١٢٦ ، ١٨٠ ، ١٤٩ ، (١٩٥)		١١٤	الجميل ، انطون
		٩١ ، ٧٩	جنان (صاحبة ابي نواس)

١٢١	رامي ، احمد	(١٩٨ -) ، (٢٠٦ - ٢١٢) ،
٥٦	رستم ، اسعد	٢١٥ ، (٢١٧ - ٢٢٥) ، ٢٦٧
١٩١ ، ٩٣ ، ٩١	الرشيد ، هارون	٢٧٦
٨٦ ، ٥٨ ، ٤٤	الرصافي ، معروف	١٣
١٠١ ، ١٠٠		٨٤
١٩٤	الرضي ، الشريف	١٨٨ ، ١٨٧
٢٢٦	رع (الاله)	٢٧٧ ، ٢٢٧ ، ٥٠
٢٢٤	رمبو	١٧٠ ، ١٦٧ ، ١٦٣ ، ٥١
٢٢٤ ، ٩	رنان	١٨٧
١٧١	رنتجن	٢١٣ ، ١٧٨ ، ١٤١ ، ١١٦
٣٠	روزفلت	١٩٦
١٢٧	روستان	٩١ ، ٧٦ ، ٢٩
١١٩	رومانوس ، انطون	١٠٤ ، ١٠١ ، ٨٠
١٤٥ ، ٧٧ ، ٥٩ ، ٤٨	الريحاني ، امين	٢٤١ ، ١٩١ ، ١٩٠ ، ١٨٩
٢١٢	البرقان بن بدر	الدندشي ، عبد الرزاق
٢٣١	زرقاء اليمامة	١٣٨ ، ١٣٧ ، ١٤٣ ، ١٤٢
١١٨ ، ١١٧ ، ١٠٨ ، ٦٩	زغلول ، سعد	١١٣
١٢٥ ، ١٢٣ ، ١٢٢ ، ١٢٠		٥
٩٠	زكرياء (النبي)	٤٥
٢٠٧	زكور ، حنا	١٢٥
٢٠٠ ، ١٩٨ ، ١٩٧	زكور ، ميشال	٧٥
٢١٢ ، ٢٠٨ ، ٢٠٧ ، ٢٠١		١٦٥
٢١٩ ، ٢١٥ ، ٢١٤ ، ٢١٣		٢٧٧ ، ٥٨ ، ٣٠
٢٢١		١٣٨ ، ٣٢
٥٠ ، ٤٤	الهاوي ، جميل صديقي	٢٧٦ ، ٢٦٥
١٥٤ ، ١٢٨ ، ١٢٢ ، ٨٥ ، ٦٥		٢٣٢
٢٦٦ ، ٢٣٥		١٩٩ ، ١٣٩ ، ٧٢
٣٥ ، ٢٧ ، ٢٥	زهير بن ابي سلمى	٧٢
		الرافعي ، مصطفى صادق

١٢٠، ١٠٦، ٧٧، ٧٦، ٧٤	٢١٢، ١١١، ٨٧، ٣٧
١٩٦، ١٤٩، ١٤٣، ١٢٦	٢٨، ١٣
٢٥٠، ٢٤٢، ٢١١، ٢١٠	١٨٧
٢٧٣، ٢٦٤	٢٢٤
٣١	٢١٦
١٠٥	١٧٦، ١٧٣، ١٦٨
(٦٤ - ٤١)	١٧٨، ١٧٧
١٥٢، ١٥١	١٣٦
٢٤١	١٤١
١٥٥	١٢٦
٦٦	٤٩، ٧
٢٧٨	١٨٩
٢٠٥، ١٩٠، ١٤٤	٢٢٧، ٢٠٢
٣٠	٨٨
٢٧٦، ٧٥	٢٢
٢٧٨	١٧
٢٧٨، ١٩٤	١٥٥، ١٤٧
٩٢	١٩٨، ١٩٠، ١٥٩
٢٤	١٧٩، ١٧٨، ١٧٣، ١٦٨
١٩٨، ٦٩	٣٨٣، ٣٠، ١٩٠
٢٩	٢٦٦، ٢٣٢، ٧٠
٢٨	٣٠
٢٦٩، ١٩٤، ١٩٣، ١١٠	٢٧٧، ٢٧٥، ١٢٢، ٣٨، ١٩
٣٨	١١١
٣٠	١٧٤، ١٥٨، ١١٩
١٣٤	١٤
١١٢	٣٤، ٢٢، ١٦، ١٢، ٩
١٢٩	٧٣، ٧١، ٦٨، ٤٠، ٣٩، ٣٢
شولية	سليمان (سفر الامثال)
شيخو، الاب لويس	سنت ييف
الصافي، احمد (النجفي)	السحوأل
صالح (النبي)	السودا، يوسف
صخر (اخو الخنساء)	سيلويه
الصليبي (الدكتور)	سيف الدولة (الحمداني)
الصيرفي، محمود كامل	شاوول
طرفة بن العبد	شبهور
الطرماح بن حكيم	الشدياق، احمد فارس
الطفرائي	١٩٨، ١٩٠، ١٥٩
طمسون	شق (الكاهن)
طه، علي محمود	شكشير
عباس (عم النبي)	٢٦٦، ٢٣٢، ٧٠
عبد الوهاب، محمد	شمر
عبد الحميد (السلطان)	شلي
عبد، محمد الامام	شمشون
عبلة (صاحبة عنبرة)	الشنفرى
عبود، مارون	شو، برنارد
عبيد، مكرم	شوقي، احمد
العجاج	٣٢، ٢٢، ١٦، ١٢، ٩
عدنان (جد العرب)	٧٣، ٧١، ٦٨، ٤٠، ٣٩، ٣٢
العراي، زكي	
عريضة، البطرك انطون	

٢٦٨ ، ١٧٣	غوثيه ، تيوفيل	١٢٩	عزرائيل
٢١٧ ، ٦٨	غرمون ، ربي	٩٦	عزّام
١٠٦ ، ١٠١	فواد الاول (الملك)	١٩١	عزير ، موسى
١٩٦ ، ١١٨ ، ١٠٨ ، ١٠٧		٩٧	عفيفي ، حافظ
٢١٧	الفارابي	١٠٧ ، ١٠٦	العفيفي ، عبد الله
٢٧٨	فارس ، بشر	١٩ ، ١٦ ، ١٢	العقاد ، عباس محمود
١٩٦ ، ١٠٨	فاروق الاول (الملك)	٢٥ ، ٢٤ ، ٢٣ ، ٢٢ ، ٢١	
٤٠٠ ، ١٩٧ ، ١٩٦ ، ١٩٥		٣٣ ، ٣٢ (٤٠ - ٣٤)	
٤٨	فاغيه	١٢٢ ، ١٢١ ، ١١٨ ، ١١٧	
٢٢٤ ، ٢٢٣ ، ١٤	فاليري ، بول	١٢٦ ، ١٢٥ ، ١٢٤ ، ١٢٣	
٢٦٩ ، ٧٤	فرانس ، اناطول	١٢٨ ، ١٢٩ (٢٢٦ - ٢٧٩)	
١٤٣	الفردوسي	١٨٩ ، ٥٠	عقل ، سعيد
٨٧ ، ٣٩ ، ٢٩ ، ٢٨ ، ١٢	الفرزدق	١٢	عقل ، وديع
١٨٦ ، ١٦٤ ، ١٣٨		١٥٣ ، ١٥٢	العظم ، ابراهيم
٢٢٨ ، ١٧٥ ، ١١٢	فرعون (مصر)	١٥٣	العظم ، اسعد
٢٢٤	فرلين	٥٤ ، ٥٣ ، ٣٩ ، ٢٨	عمر بن ابي ربيعة
١٦١	فرنكوشيني (الرسام)	١١٣ ، ١٢٩ ، ١٧٠ ، ١٧٢	
٨٠ ، ٥٥	فرويد ، سيجموند	٢٤٣ ، ٢١٥	
١١٠	الفغالي ، حنا الحوري	١٥١	العمر ، قدرى
٨٠ ، ٧٨	فغالي (الدكتور)	٢٣٣ ، ٢٩	عمرو بن كلثوم
٩٣ ، ٩١	الفضل بن الربيع	١١٨ ، ٩٩ ، ٥٥	عنتره بن شداد
١٦٢	فلوبير	١٧٣	غارنيه ، شارل
٢١٢	فورد (المستر)	٢٧٣ ، ٩٧	غازي الاول (الملك)
١٢١	فوش (المارشال)	٢٥٠	غاندي
٦٥	فياض ، نقولا	١٦٥ ، ١٥٨	الغزي ، فوزي
٩٧	فيصل الاول (الملك)	١٥٠	غصن ، الحوري مارون
٢٢٧	قدموس	٢٠١	الغلبوني
٢٥٨ ، ٢٤٥ ، ٢٤٠	قطب ، سيد	٢٣٢ ، ٣٨ ، ٣٠ ، ١٩	غوت

١٠٥ ، ٢٩	مار شليطا	٢٧٠ ، ٢٦٢ ، ٢٦١ ، ٢٥٩	
٨٩	مار شينا	٢٧٧	
١٤١	مار يوحنا مارون	١٢٨	الكاظمي ، عبد المحسن
١٤٢ ، ١٤٠ ، ٩٦	مار يوسف	٧٦ ، ٦٥	كافور (الاخشيدي)
٢٥ ، ٢٤	المازني ، ابراهيم عبد القادر	٢٤١ ، ٢٣٩ ، ١٠١	
٢٥٧ ، ٢٣١		١٥٩ ، ٦٧ ، ١٤	كبلنغ
١٨ ، ١٧	ماسينيون ، لويس	١٢٠	كسرى
٢٢٤ ، ٢١٤ ، ١١٤	مارمه ، ستيفان	٨٢	كسيب ، خليل
١٠٤ ، ١٠٣	مايسفيلد ، جون	٢٧٥	كاودل ، بول
١١٤ ، ١١٣ ، ١١٢ ، ٢٤	مبارك ، زكي	٣٠	الكحيت ، بن زيد
٢٧٩ ، ٢٧٨ ، ١١٧ ، ١١٥		١٤٧ ، ١١٠	الكيلاني ، محمد اسعد
٢٠١	مبارك (المطران)	١٥٩	الكيلاني ، نورس
١٤٧	المبرد	٧٣ ، ٢٣	لافوتين
٣٧ ، ٣١ ، ٢٨ ، ٩	المتنبي ، ابو الطيب	٤٥	لامتر ، جيل
٦٨ ، ٦٧ ، ٦٢ ، ٥٥ ، ٤١		٤٨ ، ٤٣	لامرتين
١٠١ ، ٨٨ ، ٨٧ ، ٨٣ ، ٧٦		١٩١ ، ٨٢	لبايدى ، صلاح
١٥٥ ، ١٣٦ ، ١٢٠ ، ١٠٣		٢٢٠ ، ١٩١ ، ٣٥	لييد بن ربيعة
٢٢١ ، ٢١٢ ، ٢٠٦ ، ١٦٠		٦٨	لعازار
٢٧٩ ، ٢٧٥ ، ٢٤١ ، ٢٣٧		٢٥٢	لوط
٢٠٥	المتوكل (الخليفة)	٨	لويس ، ييار
٢٦٨	المجدلية	٢٨٣	المأمون
٩٧	المخلق (ممدوح الاعشى)	١٣٤ ، ١٣٠	مار انطون
٧٠	محمد بن عبدالله	٧٢	مار انطونيوس
٨	محمد علي (مولاي)	١٨٨	مار بولا
٢٧٣	محمد ، غانم	١٧٠ ، ٨٧	مار بولس
٥٣	مراس ، فرنسيس	٢٧٠ ، ٢٥٩ ، ٢٤٧ ، ٢٤٠	مار قوما
١٨٥ ، ٧٣	مروان (الجعدي)	٢٩	مار جرجس
١٩٨ ، ١٤١ ، ١٤٠	مريم (العذراء)		

النايفة (الذبياني) ٢٨ ، ٤١ ، ٦٢ ،	المسيح (يسوع) ٨ ، ٧٠ ، ٧٧ ، ٧٨
١٢٣ ، ١٥٤ ، ١٦٢ ، ١٩٠ ،	٨٧ ، ١٠٢ ، ١٢٩ ، ١٣٤ ،
٢٠٢ ، ٢٠٤ ، ٢٦٥ ، ٢٦٦ ،	١٣٥ ، ١٤١ ، ١٤٣ ، ١٨٢ ،
٢٧٨ ، ١١٤ ، ٢٤٢	٢٤٩
٢٥	مطران ، خليل ٢٢ ، ٢٤ ، ٢٥ ، ٩٥
١٩٧ ، ١٩٥ ، ١٩٤	٩٧ ، ١٢٨ ، ١٣٧ ، ٢٠٢ ،
٢٤	٢٠٤ ، ٢٠٣
٣٩	معاوية بن ابي سفيان ٣٣ ، ٩٩ ، ١٠٠ ،
١٧٤ ، ١٠٨	٢٢٨
٢٠٢ ، ٢٠١ ، ٢٠٠	المعري (ابو العلاء) ٤٣ ، ٥٠ ، ٥١ ،
٢٣٠ ، ٧٠ ، ٥٦ ، ١١	١٦٣ ، ١٦٧ ، ١٧٨ ، ١٨١ ، ١٧٥ ،
١٧	معلوف ، شفيق ١٦١ ، ١٧٦ ، (١٧٧-)
١٤٩	١٨٤ ، ١٨٧ ، ١٨٨
٢٣٨	المعلوف ، عيسى اسكندر ١٠٧ ، ١٠٨ ،
٢٧٨ ، ٢٧٦ ، ٢٧٥	١٦١
١٠٨	مكرزل ، نعيم ٨٢
١٨	الملاط ، شبلي ١٢ ، ١٣ ، (٦٥-٨٥) ،
٢٥٦	٩٨ ، ١١١ ، ٢٠٤ ، ٢٠٥ ، ٢٠٦ ،
١١٢ ، ٢٤ ، ٢٣	ملتون ٣٨
١١٨ ، ١١٦ ، ١١٥	المنذر ، ابراهيم ١٣
٢٥٨ ، ٧٢ ، ٢٨	المنذر ، صلاح ١١
٧١ ، ٧٠ ، ٦٩ ، ٦٨	المنفلوطي ، مصطفى لطفي ٢٥
١٣٦ ، ٧٨ ، ٧٣	المهلل بن ربيعة ٢٩ ، ٨٤ ، ٢٠٤ ،
١٩ ، ١٧	موسى (النبي) ١٣٤ ، ١٤٢ ، ١٤٣ ، ١٨١ ،
٢٧٧	موسى ، سلامة ١٠ ، ١٧ ، ٣٤ ، ٥٥ ،
١٧	موسوليني ٢٥٦
٢٣٢ ، ٣٠ ، ٢٠ ، ٨	ميخائيل (الملك) ١٨٠ ، ٢٠٨ ،
٢٧٧	ميشال (الاخ) ٨٨

١١٠ ، ٩٣	يعرب (جد العرب)	١٧ ، ١٠	هيكل ، محمد حسين
١٠٢ ، ٦٢	يعقوب	٨٤	والبة بن الحباب
٢٥٣	يكن ، ولي الدين	١٤	ولز ، هـ . ج .
٥١	يوحنا	١٠٧ ، ٣٨	اليازجي ، ابراهيم
٢٠٣ ، ٢٥	يوسف ، علي	٢٤٠	اليازجي ، ناصيف
١١٢ ، ٢٢	يوسف بن يعقوب	(١٦٠ - ١٤٧) ، ١١٠	يحيى ، ممر
٦٩	يونان	١٥٣	يشوع بن نون

فهرست

٧	أنقد ام حسد ؟
١٦	إمارة الشعر
٢٧	الشعراء
٣٤	عباس محمود العقاد
٤١	أحمد الصافي النجفي
٦٥	الزهاوي ، بشارة الحوري ، شبلي ملاط شعراء الفرخ والترح
٨٦	معروف الرصافي ، بشارة الحوري
١٠١	محصول الشهر
١١٠	بيدر مصر
١١٨	قصيدة الجارم في الملك فؤاد وسعد
١٢٢	قصيدة العقاد
١٢٧	بشارة شيخ السفرة
١٣٠	قصيدة بشارة في فلسطين
١٣٨	قصيدة بشارة في الدندشي

١٤٧	البراعم لعمر يحيى
١٦١	عبقّر لشفيق معلوف
١٨٥	هريستي وزبوني
١٨٩	محصول الشهر
١٩٣	هذه طريقي
	موسى نمور ، خليل مطران
٢٠١	الملاط ، بشارة الحوري
٢١٠	بشارة ايضاً ، الدكتور حبيب ثابت
٢١٧	غذاء الخلود
	ثلاثة دواوين للعقاد
٢٢٦	وحي الاربعين نط ٣٣
٢٤٠	وحي الاربعين ايضاً
٢٥٢	هدية الكروان نط ٣٣
٢٦٤	غابر سبيل نط ٣٧

يصدر قريباً

عن

دار العلم للسلالين

مجددون ومجترون

فصول في نقد شعراء الشباب والمذاهب الجديدة

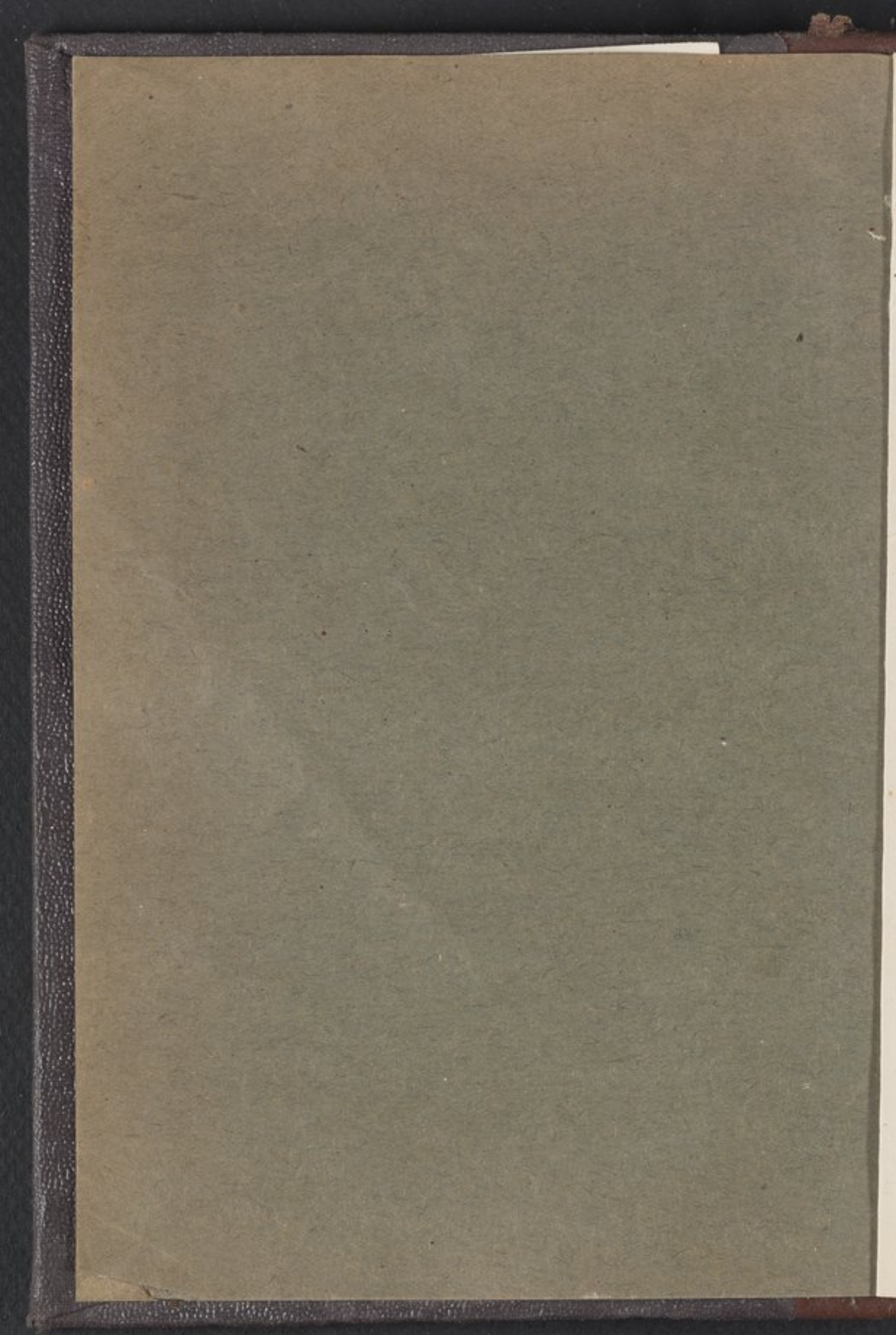
في الشعر العربي

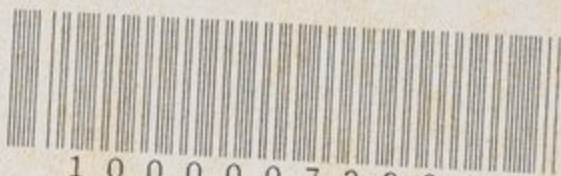
بقلم

مارونه عبود

6. 12387782
1. 13745037

AMERICAN UNIVERSITY LIBRARY





1 0 0 0 0 0 7 2 3 2 1

AMERICAN UNIVERSITY LIBRARY
1111 K STREET, N.W.
WASHINGTON, D.C. 20004

AUC - LIBRARY



DATE DUE

2 NOV 1990

1 AUG

27 MAR 1991

SEP 2001

1 AUG 1991



A.U.C

NOV 1990

A.U.C

9 JUL 1994

1975

MAR

9 APR 1991

